أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com

وفاة العلامة القاضي
الشيخ عبدالله بن عقيل

العدد (٥٥٦) ذو الحجة ١٤٣٢هـ ـ أكتوبر/ نوفمبر ٢٠١١م

ليشهدوا منافع لهم

الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية

الإنسانية في عيون الإسلام

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

إصداراتنا

الوعي الإسلامي
AL-Wael AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

عيدكم مبارك
كل عام وأنتم بخير

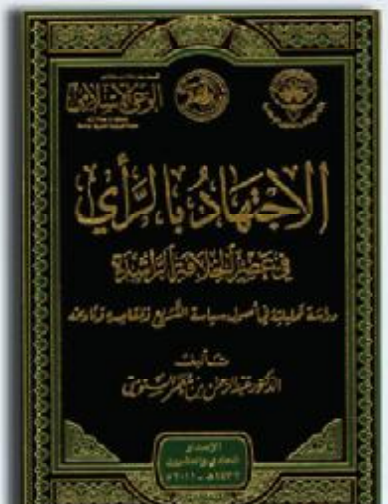

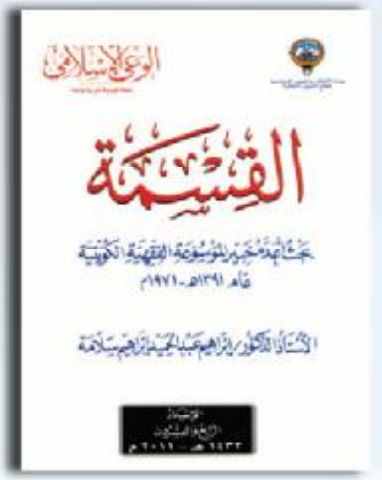

صندوق البريد: 23667 الصفاة 13097 - الكويت هاتف: 22467132 - 22470156 فاكس: 22473709
البريد الألكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com
www.alwaei.com

الافتتاحية

فَقْدُ العلماء

إن المنزلة العظيمة للعلماء والمكانة السامية الرفيعة لهم هي بفضل ما ورثوه عن الأنبياء من العلم والعمل ، فهم المخلصون الذين حفظوا هذا الدين ، وهم العلماء العاملون الذين كانوا أعلامًا يهتدى بهم في ظلمات الجهل ، وأئمة يقتدى بهم ، وبتعليمهم تضمحل غياهب الشرك ومهاوي الضلالة .

روى الإمام الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية له ولأبي داود : «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلمي الناس الخير» .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا ، والعلم يحتاج إليه في كل وقت» .

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله : «قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال : يا بني كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض» .

فوجود العلماء في الأمة حفظ لدينها وصون لعزتها وكرامتها ، لأنهم السياج المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه ، والنور المبين الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه ، وهم ورثة الأنبياء في أممهم ، وأمناؤهم على دينهم ، وهم شهداء الله في الأرض ؛ شهداء بالحق أنه لا إله إلا الله وحده . . قال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ، وهم أهل خشية الله : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .

وهم الوسيلة في تبين الأحكام ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر هم العلماء الذين يستعان بفهمهم على فهم مراد الله ومراد رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ، لأنهم ورثة الأنبياء في العلم والفقه والفهم .

وما كان الله ليهلك أمة من الأمم وفيها المصلحون ، كما قال جل في علاه : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ .

وإذا كانت هذه منزلة العلماء في الأمة والدين ، أفلا يجدر بنا أن نأسف على فقدهم وموتهم؟ ففقدهم ليس فقدًا لرجل صالح فحسب ، ولكنه فقد لجزء من ميراث النبوة .

إن فقد العالم لا يعوض عنه مال ولا عقار ولا متاع ولا دينار ، فقد العالم مصيبة على الإسلام ورزية نزلت على المسلمين ، لا يعوض عنه إلا أن ييسر الله من يخلفه من العلماء فيقوم بمثل ما قام به من الجهاد ونصرة الحق .

في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل» ، وعند البخاري رحمه الله عن شقيق قال : كنت مع عبدالله وأبي موسى فقالا : قال النبي ﷺ : «إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع العلم» .

قال الإمام النووي رحمه الله : « . . . المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة جهالًا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون» .

ومصداق ما قاله الإمام النووي رحمه الله ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

وصدق من قال :

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا فرس تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص
يموت بموته خلق كثير

التحرير

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت
مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٥٦
ذو الحجة ١٤٣٢ هـ
العام الثامن والأربعون
أكتوبر - نوفمبر ٢٠١١ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

الإسلام دين الدليل والحجة والمسامحة ٦

موضوع الغلاف

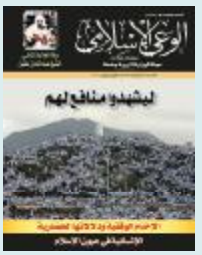

ليس القصد من الحج مجرد تأدية المناسك والعبادات فحسب، وإنما القصد أيضًا ترسيخ عوامل الوحدة وتثبيت مقتضيات الأخوة الإسلامية.

الـــزم قـــدمـــيـــها ٧٦

جامع عمرو بن العاص منارة الإسلام في إفريقيا ٨٢

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣

(٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ فقد العلماء	رئيس التحرير
٤	كلمة العدد/ الحج وطريق النهضة	التحرير
٦	فكر/ الإسلام دين الدليل والحجة والمسامحة	إبراهيم نويري
٩	حوار/ مع الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية	دار الإعلام العربية
١٢	رثاء/ وفاة العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن عقيل	د. وليد المنيس
٢٠	ملف العدد/ليشهدوا منافع لهم (مقدمة)	التحرير
٢٠	ملف العدد/ الحج والأضحية	عثمان إسماعيل
٢٢	ملف العدد/ التسول في الحج معضلة لها حل	عثمان الجوهري
٢٤	ملف العدد/ د.مجدي الهلالي: الحج فرصة الأمة الذهبية نحو الوحدة	منير أديب
٢٦	ملف العدد/ فضائل الحج والعمرة وكيفية أداء الرسول لمناسكها؟	د. بليغ حمدي إسماعيل
٣٣	قضايا/ استغاثة عاجلة من اتحاد الأطباء العرب في الصومال	التحرير
٣٤	تراث/ عارية الكتب	التحرير
٣٦	دراسات/ الإنسانية في عيون الإسلام	د. مسعود صبري
٣٨	دراسات/ مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري	د. بركات محمد مراد
٤٢	دراسات/ المئذنة والمعرفة	د.خالد فهمي
٤٦	دراسات/ الإصلاح ضرورة شرعية وحاجة إنسانية	د.حسين شحاتة
٤٨	دعوة/ المؤمن عمله كله عبادة	جاد الله فرحات
٥١	ملف الأدب/ إعجاز الرواية القرآنية (مقدمة)	عبدالرحمن أبوالمجد
٥٢	ملف الأدب/ أدب المدونات	دار الإعلام العربية
٥٤	ملف الأدب/ الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية	عبدالله محمد الكندري
٥٧	ملف الأدب/ صواب مهجور	حياة الياقوت
٥٨	ملف الأدب/ مكر اللغة ودهاؤها	عبدالله آيت الأعشير
٦٢	ملف الأدب/ تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان	عبد العزيز العسكر
٦٤	ملف الأدب/ الحج في الشعر العربي الحديث	عبدالهادي صافي
٦٧	ملف الأسرة/ التربية هي الحياة (مقدمة)	د. طارق البكري
٦٨	ملف الأسرة/ الأسرة والمدرسة شريكان في تحمل مسؤولية الطالب	تسنيم الريدي
٧٠	ملف الأسرة/ مهارات تحبيب أطفالنا في القرآن	آمنة محمد
٧٢	ملف الأسرة/ الطفل والحضانة	بشرى شاكر
٧٤	ملف الأسرة/ هل نحن شباب مثقف؟	خالد محسن
٧٥	ملف الأسرة/ باقة ورد	محمد محمود غدية
٧٦	ملف الأسرة/ الزم قدميها (قصة)	أحمد عبداللطيف النجار
٧٨	ملف الأسرة/ الرياضة النسائية ضرورة حياتية أم وجاهة اجتماعية؟	محمد عبدالشافي القوصي
٨٠	ملف الأسرة/ كيف نعزز السلوك الصحيح في أطفالنا؟	ليلى محمد محمد
٨٢	منارات/ جامع عمرو بن العاص منارة الإسلام في إفريقيا	دار الإعلام العربية
٨٤	رثاء/ الكويت تودع الشيخ أحمد بزيع الياسين	التحرير
٨٥	كلمة حب ووفاء	كريم راجح
٨٦	حضارة/ ابن فضلان أول رحالة عربي في بلاد الروس	دار الإعلام العربية
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ خطبة الوداع ضرورة عصرية	عثمان حسين

كلمة العدد

الحج وطريق النهضة

تشهد أمتنا هذا الشهر حلول عيد الأضحى المبارك، أعاده الله على المسلمين جميعًا وقد تحققت أمانيهم، وارتفعت رايتهم، وقويت شوكتهم، وعز شأنهم، وانتهت فرقتهم، وبهذه المناسبة يسر إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» أن تقدم أجمل تهانيها وأطيب تبريكاتها لقرائها وكتابها وللمسلمين جميعًا، داعين الله عز وجل أن يعيد هذه المناسبة المباركة على أمتنا وقد تمثلت قولًا وفعلًا الآية الكريمة التي تلاها رسول الله ﷺ وهو على جبل عرفات في حجة الوداع: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣).

هذه حقيقة يجب أن يعيها المسلمون جميعًا حكامًا ومحكومين، بكل ثقة واطمئنان، في طريق النهضة التي ينشدها كل مسلم لنستأنف دورنا الريادي والإيجابي في المسيرة الحضارية والإنسانية المعاصرة.. ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف : ١٠٨).

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥ دنانير/ ٧ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الإسلام دين الدليل والحجّة والمسامحة

علم الجدل أو علم مقارنة الأديان- حسب المصطلح الأكثر شيوعا في الوقت الحاضر- هو علم وفن المجادلة، ومقارعة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة.

وقد سار العقل المسلم- في عصور تألقه الحافلة- وفق هذا المنهج، حيث كان يحقق النصر تلو النصر للإسلام وحضارته وأمته.

وعبر أدوات هذا المنهج الفريد في مقارعة الحجة بالحجة وعرض الدليل على الدليل، اهتدت أقوام واعتنق الدين الحق أناس كثيرون من أهل الكتاب، ومن أجناس ومعتقدات مختلفة!

ويعتبر الإمام الباقلاني واحدا من العقول الجبّارة في فن المناظرة والجدل وبسط الأدلة وفق مقتضيات المنطق العقلي، ومما يروى عنه في هذا السياق أنه ناظر- ذات يوم- كبير بطارقة النصارى، فكان هذا الحوار الرائع الماتع:

- قال البطريق: هل انشق القمر لنبيكم حقا؟
- قال الباقلاني: نعم.
- قال البطريق: فلماذا لم يره إلا أهل مكة؟
- قال الباقلاني: يا هذا، هل نزلت المائدة على المسيح حقا؟
- قال البطريق: نعم.
- فقال له الباقلاني: فلماذا لم يرها أحد منكم؟ نحن قد آمنا بأن المائدة نزلت أيها البطريق، لأن الله تعالى أخبرنا بذلك في القرآن الكريم، فآمنا به كل من عند ربنا.
- قال البطريق للباقلاني: أوما سمعت عن عائشة زوج نبيكم؟

أراد اللئيم أن يطعن أم المؤمنين- رضي الله عنها- على غرار ما أثاره رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول وأتباعه المعاصرون!!

ورد الباقلاني في شموخ: أيها البطريق، هما امرأتان في التاريخ: امرأة لم تتزوج ومع ذلك ولدت، وامرأة تزوجت ولم تنجب.. ونحن برأنا التي لم تتزوج وأنجبت ولدا، لأن الله برأها وقال لها: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)، وأنتم اتهمتم أم المؤمنين التي تزوجت ولم تنجب، والله برأها من فوق سبع سموات وقال: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

فسكت البطريق هنيهة، ثم عاد يقول أو على الأصح يهذي: نبينا أطهر من نبيكم.. عيسى أطهر من محمد.

قال الباقلاني وهو متعجب مما سمع: ولِمَ؟

قال البطريق: لأن المسيح لم يتزوج ومحمد تزوج.

وسأل الباقلاني البطريق: أمتزوج أنت أيها البطريق؟

قال البطريق: لا.. لأن الزواج نجاسة.

فقال له الإمام الباقلاني: كيف تقول: إن الزواج نجاسة، ولم تتزوج أنت، ومع ذلك قلتم: إن الله تزوج بمريم؟

فهل أنت أطهر أم الله العلي القدير أيها البطريق؟! أنت لم تتزوج بقصد الطهارة، ومع ذلك قلتم إن الله قد تزوج.. أأنت أطهر أم الله؟!

وهنا ما كان من البطريق إلا أن صرخ قائلا: وهو يرتعش من هول الحقيقة البازغة: يا إمام، والله لقد قلت حقا

إبراهيم نويري

ونطقت صدقًا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

هذا هو الباقلاني صاحب الأسفار النفيسة «إعجاز القرآن»، «كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الكفر والعناد»، «كشف الأسرار في الرد على الباطنية»، «المقدمات في أصول الديانات».. وهذا هو منهجه في الانتصار للحق ولعقيدة التوحيد الخالص، وهذا هو المنهج ذاته الذي التزمه العقل المسلم عبر حقب إيناع الحضارة الإسلامية السمحة وتألق الفكر الإسلامي الوضاء.

قصة أسير مسلم

وفي هذا السياق المتوهج بأشعة العقل، الطافح بمنادح النظر المؤمن، المسيج بحقائق الأدلة الغامرة نسوق - للقارئ الكريم- قصة هذا الشاب المسلم، الذي انتصر لدينه وعقيدته بسبب تضلعه في هذا الفن الإسلامي العجيب.. فن المناظرة، أو علم المجادلة، والقصة واقعية ومن حقائق تاريخ حضارتنا الرائدة.

قال التاريخ: سيق الأسرى إلى قصر الأمير، وكانت وجوههم ساهمة، طبعها الحزن بمعالمه الكئيبة، وكيف لا يألمون لهذا المصير السيئ وهم يخترقون بلاد

الروم منكسرين لا منتصرين كما كانوا يأملون؟!

ونظروا إلى زميلهم «واصل» الشاب الفقيه الذي ترك دراسته بدمشق واكتتب في هذه الغزوة الفاشلة، كان واصل يبدو غير مكترث بما حدث، فقد استمع إلى حديث رسول الله ﷺ: «ما من سرية ترجع غانمة إلا تعجلت أكثر أجرها، وما من سرية تروع وتحرج إلا استوفت أجرها كله»، ولكن واصلا كان مكتئبا لأمر

واحد، فهو يعلم أن الأمير بشيرا الذي يساقون إلى قصره كان مسلما ثم ارتد، وأن ثمن ردته هذه الإمارة العريضة التي يتطاول فيها! واستعرض بشير الأسرى وكانوا ثلاثين، سألهم عن دينهم، وجادلهم في بعض عقائده، فلما جاء دور واصل أبى أن يرد عليه بشيء، فقال له: ما لك لا تجيبني؟

فقال: لست مجيبك اليوم بشيء. فقال إني سائلك غدا فأعد لي جوابا، وجاء الغد، وأدخل واصل على الأمير الذي بادره الحديث بعد حمد الله والثناء عليه قائلا: عجبا لكم معشر المسلمين، حيث تكفرون بألوهية عيسى وتقولون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، وما يستوي عبد ورب!

ورأى واصل أن يستأمن لنفسه قبل أن يجيب، فاستوثق لحياته قدر ما يدافع عن عقيدته، فلما اطمأن قال لمحدثه: أما حمدك الله وثناؤك عليه فقد أحسنت الصفة، وهذا مبلغ علمك واستحكام رأيك، والله أعزّ وأجلّ مما وصفت، وأما ما ذكرت من صفة هذين الرجلين عيسى وآدم فقد أسأت وأخطأت! ألم يكونا يأكلان ويشربان، ويبولان ويتغوطان، وينامان ويستيقظان ويفرحان ويحزنان؟!

قال بشير: بلى.

قال واصل: فلمَ فرقت بينهما؟

وردّ بشير: لأن لعيسى روحين اثنتين، روح يبرئ بها الأكمه والأبرص ويعلم الغيوب ويصنع بها المعجزات، وروح لما ذكرت من أحوال الناس!

– روحان اثنتان في جسد واحد؟!

قال بشير: نعم.

قال واصل: فهل كانت القوية منهما تعرف مكان الضعيفة؟

قاتلك الله! تعلم أو لا تعلم.. ماذا تريد؟

أريد إنْ كانت تعلم، فلماذا لا تطرد عنها قاذورات الضعف البشري وآفاته؟! وإن كانت لا تعلم فكيف يطلع الغيب من يجهل مجاوره في جسد؟! فسكت بشير محتارًا!!

واستطرد واصل: برضا عيسى أم بسخطه قدّستم الصليب؟!

قال بشير: هذه من تلك.. ماذا تريد؟

وأجاب واصل: إن كان بسخطه فما أنتم بعبيد يعطون ربهم ما سأل، وإلا

الإمام الباقلاني يعتبر واحدًا من العقول الجبارة في فن المناظرة وبسط الأدلة

فبالله كيف تعبدون ما لا يدفع عن نفسه العدوان؟!

قال بشير: أراك رجلا قد تعلمت الكلام فسآتيك بمن يخزيك الله على يديه، وأمر باستدعاء رجل من علماء القسس ليجادل هذا «الشيطان».

فلما حضر القس قال له بشير: هذا العربي له رأي وعقل وأصل في قومه، وأحب أن يدخل ديننا. فأقبل القس على واصل يحتفي به ويمتدحه، ثم قال: غدا أغمسك في المعمودية غمسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك!

قال واصل: فما هذه المعمودية؟!

– ماء مقدس.

– من قدّسه؟!

– أنا والأساقفة من قبلي.

– فهل كانت لكم ذنوب وخطايا؟ أم أنت وهم مبرأون من النقص؟

– كلنا فعلنا الخطايا، وليس هناك مبرأ إلا يسوع.

– فكيف يقدّس الماء من لم يقدس نفسه؟!

وهنا اضطرب القس وحار ثم استدرك: إنها سنّة عيسى بن مريم غطسه يوحنا بالأردن ثم مسح له رأسه ودعا له بالبركة!

فقال واصل: أو احتاج عيسى إلى تعميد يوحنا وأن يمسح له رأسه ويدعو له بالبركة؟! فاعبدوا إذن يوحنا فهو خير لكم من عيسى.

فسكت القس واغتاظ بشير وامتلأ صدره على هذا القس، فصاح به كالمهووس: قم! دعوتك لتتصّره (تجعله نصرانيا) فإذا أنت قد أسلمت!

وانتشر خبر الأسير الفقيه، ومحاوراته الطريفة بسرعة فائقة حتى بلغ الملك وكبير بطارقته، فطلبه إليه وسأله: ما الذي بلغني عنك من انتقاصك لديني ووقيعتك فيه؟

قال واصل: إني لم أجد بدا من الدفاع عن ديني.

فتدخل كبير البطارقة محاولا بوقاره وهيمنته الروحية أن ينهي هذا الأمر، ونظر واصل فرأى تحت أردية الكهنوت جسدا متين البناء، عارم القوة، فسأل الملك بغتة: هل للحبْر الأعظم من زوجة وولد؟

وعرف الملك على الفور مثار التساؤل فقال له: صه.. هذا أزكى وأطهر من أن يتصل بامرأة! أو يستمتع بجسد!

فقال واصل برباطة جأش ويقين فياض: تأخذكم الغيرة من نسبة المرأة إلى هذا، وتزعمون أن رب العالمين سكن جوف امرأة وعانى ضيق الرحم وظلمة البطن.. عجبا! تعبدون عيسى لأنه لا أب له، فلمَ لا تضمون إليه آدم فيكون لكم إلهان، أو عبدتموه لأنه أحيا الموتى؟ فعندكم في الإنجيل أن «حزقيل» مر بميت فأحياه

وتكلم معه، فضموه كذلك إلى شركة الآلهة! أو أنكم عبدتموه لأنه أراكم المعجزات؟

فهذا «يوشع» رد الشمس إلى فلكها إذ كادت تغرب، أو عبدتموه لأنه عرج في السموات؟ فهؤلاء ملائكة الله مع كل شخص أعداد يتناوبون بالليل والنهار، أو أنكم... فقاطعه البطريق: اخسأ يا شيطان.. هذا التجديف أحلّ بك القتل!

فقال واصل: إني أسير.. وثم ورائي منْ إذا بلغه خبري لم يمنعه مسلككم معي من أن يثأر لي.

أيها الملك: سل هؤلاء الأساقفة عن الأصنام التي في كنائسكم هل تجدون لها في الإنجيل مبررا؟ فإن كانت في الإنجيل فلا كلام لنا، وإلا فما أشبهكم بالوثنيين.

قال الملك: وقد أخذته دهشة وانجلت عن بصره غشاوة: صدقت، قد يعقل ما تقول!

وفي هذه الأثناء استشاط القس وامتلأ غضبا، فقال في حالة هستيرية: هذا شيطان من شياطين العرب، أخرجوه من حيث جاء، لا تقطر من دمه قطرة في بلادنا فتفسد علينا ديننا!

وعاد «واصل» ومن معه من الأسرى، وقد بدّلوا انكسارهم بانتصار.

دين الحجة والتسامح

ومن الأمارات الدالة على أن الإسلام وحده دين الحق والبرهان والخلود، جمعه البيّن بين فضيلتي قوة الحجة والمنطق، واحترام العقل والنظر، وبين خلق التسامح والحفاوة بالرأي الآخر، ووجهة النظر المغايرة، ويكفي الإسلام فخرا وسموا في هذ الخصوص أنه خلّد الرأي الآخر في محاورات أنبياء الله الكرام مع بعض أقوامهم من المشركين والكافرين والزائغين، وجعل ذلك الرأي قرآنا، وذكرا يتلى عبر كل العصور والدهور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومما لاشك فيه أن التسامح عند المسلمين لم يقتصر على الجدال العقائدي والفكري والفلسفي، لما يؤمن به الآخرون من أهل الأديان، والمذاهب واتساع الصدر لمناقشة هؤلاء الأتباع في رؤية متزنة، وخلق عالٍ ومنهجية نادرة فحسب، وإنما نجد أن الأمر تجاوز هذه الحدود إلى واقع المجتمع الإسلامي ذاته، وإلى نطاق مختلف الآفاق التي يسمح بها التشريع الإسلامي في التعامل مع أهل الذمة، وتقرير حقوقهم وإنسانيتهم.

فمن مظاهر التسامح الإسلامي أن العرب والمسلمين كانوا إزاء نصارى الأندلس يسمحون لأساقفتهم بعقد مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عقد سنة ٧٨٢م (أي بعد واحد وسبعين عاما من الفتح الإسلامي)، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد سنة ٨٥٢م.

ومن الكنائس القبطية المشهورة التي بنيت في العصر الإسلامي كنيسة «مارجرس» بحلوان وكنيسة «أبي مينا» وغيرهما كثير.

وفي هذا السياق دائما يروي التاريخ أيضا أنه لما غزا التتار بلاد الإسلام، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين ودان ملوكهم (التتار) بالإسلام خاطب شيخ الإسلام ابن تيمية أمير التتار بإطلاق الأسرى فاستجاب الأمير التتري، ففك أسرى المسلمين وأبى أن يسمح بفك أسرى النصارى، فقال له شيخ الإسلام: لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا.. فأطلقهم له.

أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية د. جعفر عبدالسلام:

المسلمون في حاجة إلى مراجعة الذات

القاهرة- دار الإعلام العربية

شدد د.جعفر عبدالسلام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، على استمرار الحملة الغربية على المجتمعات الإسلامية لتذويب ذاتيتها وسلخ هويتها وصولا إلى تفتيتها وصبغها بالصبغة الغربية، لافتا إلى أن التمسك بأصول الدين الإسلامي هو الكفيل بريادة وسيادة المسلمين وتشخيص ما ألم بهم من أمراض سلوكية وفكرية واجتماعية، ودافع بشدة عن أهمية استمرار جولات حوار الأديان باعتبارها أداة للدفاع عن الإسلام وإبراز صورته السمحة، مطالبا الدول العربية برمي الكرة في الملعب الآخر من خلال التقدم بمشروع قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة لتجريم كل مظاهر الإساءة للأديان والمقدسات.. مزيد من التفاصيل في سياق الحوار التالي:

ديموقراطية الغرب خرجت من رحم شورى الإسلام لكن بشكل منقوص

● يعول كثيرون على رابطة الجامعات الإسلامية كقناة من قنوات الدعوة في الدفاع عن الإسلام وإبراز صورته الصحيحة.. فما تقييمك لهذا الدور؟

- بفضل الله الرابطة لا تألو جهدا في الدفاع عن الإسلام، حيث تنفذ حاليا العديد من البرامج والفعاليات لتحقيق هذا الهدف، كما شاركت الجامعات الأعضاء، بل الجامعات والمؤسسات الدولية غير الإسلامية في كثير من الأعمال العلمية التي قامت بها، بالإضافة إلى عمل دؤوب لتطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية، وكذا العلوم الأساسية والاجتماعية؛ لكي تواكب العصر، ولكي تتحرك الجامعات الأعضاء لتبني رؤى التجديد والتطوير التي يعكف على دراستها علماء الرابطة، أيضا نعمل على نشر سلسلة «فكر المواجهة»، ووصل عدد الكتب التي صدرت في هذه السلسلة خمسة وعشرين كتابا تعالج شتى الملفات الشائكة في علاقة الإسلام بالغرب.. كذلك سلسلة الدراسات الحضارية، وسلسلة مركز دراسات الأسرة.

مراجعة الذات

● على ذكر علاقة الإسلام بالغرب.. ألا ترون أن أمتنا الإسلامية عانت طويلا من محاولات غربية لسلخ هويتها كمرحلة أولى لتفتيتها ثم السطو على مقدراتها؟

- لقد تعرض الإسلام منذ مدة طويلة لحملات تغريبية شديدة ترمي إلى سلخ المسلمين من هويتهم وصبغتهم بالصبغة الغربية في شتى مظاهر الحياة، وهو مخطط يسعى إليه الغرب سعيًا دؤوبًا ويهدف إلى فرض الثقافة الغربية بكل ما فيها من عيوب ومميزات على حد سواء، ولقد جرف الطغيان المادي تقاليد أمتنا وأعراف مجتمعنا نتيجة للاحتكاك بالغرب، ولم تقف محاولاته المستميتة لتفتيت وحدة الأمة، وإنهاك تماسكها وضربها من الداخل، لتصير أمتنا بلا هوية، وليدغدغ خصائص الذات الإسلامية وسماتها.

● لكن تقليد النموذج القيمي الغربي غدا داء عضالا تعانيه مجتمعاتنا؟

- الأمر لا يتوقف على التقليد الأعمى للنموذج القيمي الغربي فقط، بل إن هناك داء خبيثا مازلنا نعانيه ويتمثل فيما حذر منه المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي وهو خطورة نزعة قابلية الاستعمار المنتشرة في ثقافة الشعوب العربية والإسلامية، والتي يشاطرها كذلك وجود حالة إعجاب لا متناهي بمنظمة القيم الغربية، وهي ظاهرة مرضية يجب إخضاعها لدراسات وافية بدلا من أن نستيقظ يوما وقد تعرضت ذاتيتنا الثقافية للذوبان.

● وكيف نتجاوز هذه المرحلة المفصلية والمعقدة ونحافظ على ذاتيتنا؟

- التمسك بأصول ديننا الإسلامي هو الكفيل بعودتنا إلى الريادة والسيادة واستدعاء حضارة الإسلام التي أنقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل والفتنة، ونحن نحتاج إلى مراجعة الذات واستعراض سلبياتنا وإيجابياتنا للخروج من النفق المظلم، وأنا هنا لا أدعو لمعاداة الغرب أو مقاطعته، بل نقدر محمود سلوكهم وتقدمهم، بينما نبتعد عن سلبياتهم وقيمهم التي لا تناسب قيمنا وثوابتنا ومقدساتنا.

الإسلام والديموقراطية

● هناك إشكالية أخفق كثيرون في تجسيدها أو صهرها وهي علاقة الإسلام بالديموقراطية.. فهل نستطيع حسم هذا الجدل؟

- لقد وضع الإسلام شكلا ناضجا ومتقدما عن الديموقراطية منذ أربعة عشر قرنا متمثلا في «الشورى» بمعنى الأخذ برأي الشعوب في المسائل الرئيسة كافة، والمشاركة في شؤون الحياة كافة، ومن بينها مسائل الحكم والسياسة الشرعية في الإسلام، ومن ثم فالديموقراطية خرجت من رحم الشورى الإسلامية وإن تم ذلك في شكل منقوص، حيث اعتمد الأوروبيون على معيار الأغلبية التي تحققها صناديق الاقتراع دون أي معايير دينية أو أخلاقية.

التسامح والعدل مع الآخر لا يعني أن نمسخ أو نخرج من عقيدتنا

● هناك من يتحدث عن وجود بعض التعارض بين الديموقراطية بشكلها الحديث ومبدأ الشورى الإسلامي؟

- لا يوجد اختلاف جوهري بين الأمرين إلا باختلاف البيئة التي خرج منها كلٌ منهما، لكن ثمة فوارق منها أن الديموقراطية تفوض شعوبها في اختيار ممثليهم وفقا لما يرونه مناسبًا للأوضاع السائدة، وتتغاضى عما إذا كان النائب المختار متعلمًا أو عالمًا أو مشرعًا، وهو الأمر المعمول به حاليا في الدساتير العربية، حيث تشدد على إلمامه بالقراءة والكتابة وحسن السير والسلوك دون اشتراط الكفاءة أو القدرة على التشريع، في حين تشترط "الشورى" القدرة على التشريع وتحصره فيما يطلق عليه "أهل الحل والعقد" ليكونوا قادرين على الأخذ بيد شعوبهم، وتذليل أي صعوبات أمامهم، سواء فيما يتعلق بالمسائل الدنيوية أو الأخروية.

● لكن ثقافة الشورى الإسلامية مفتقدة في مناهجنا ومؤسساتنا التعليمية.. فهل تعتقد أن الوقت حان لتنمية هذه الثقافات؟

- حقوق الإنسان والعدالة والحرية تمثل ملامح بارزة في الشورى الإسلامية سواء على مستوى العقيدة أو الرأي، ولا تتحقق إلا في مجتمع صحي في ظل الارتباط الكبير بين حقوق الإنسان والشورى، لكن للأسف نفتقد أدبيات الشورى أو حتى الديموقراطية بشكل كبير، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على حقوق الإنسان، رغم أن الإسلام حسم الأمر منذ عقود طويلة وعززه من خلال نظرية المقاصد في الشريعة، والتي أوجبت الكليات الخمس وعملت على المحافظة عليها، وهي النفس والدين والعقل والمال والعِرض؛ لذا فإن تكريس المحافظة عليها يتطلب أن تتحول إلى ثقافة عامة وعملية في المجتمع عبر محاولة تكريسها في مناهج التعليم وفقا لثوابت أمتنا.

الإسلام والآخر

● ركزت كثيرا في مؤلفاتك على مسألة التعامل مع الآخر.. فهل تلقي لنا الضوء على هذه المسألة في ضوء الاتهامات الموجهة للإسلام بمعاداته؟

- التعامل مع الآخر مسألة مهمة في النظرة الإسلامية بشكل عام، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين في أكثر من موضع بحسن معاملة الآخر والتسامح معه، قال تعالى:﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ لكن هذا التسامح والبر والقسط والعدل مع الآخر لا يعني أن نمسخ أو نخرج من عقائدنا وأصول شريعتنا، ولا ينبغي أن نتبع الغرب في كل ما يقوله لنا، أو في كل ما يفعله، بل نحتاج إلى الحفاظ على أنفسنا وعلى ديننا وتراثنا باعتبار أن انسلاخنا عنها يعني موتنا، ويعني أيضا خسارة الإنسانية لمبادئ وتجارب وقيم لعبت دورًا مهمًا في إنقاذها من الأفكار الضالة والمضلة والعنصرية التي تحتقر الآخر وترفض التواصل معه.

● حضرتَ العديد من مؤتمرات حوار الأديان كان آخرها مؤتمرا مدريد والأمم المتحدة.. وهناك شعور بأنها لم تؤتِ أكلها.

- رغم أن مؤتمرات حوار الأديان لم تحقق ما كنا نصبو إليه، ولم تستطع إزالة حالة الاحتقان بين الإسلام والغرب، إلا إنني أعتبر أن استمرارها أفضل باعتبارها تعطي المسلمين فرصة لنفي أي علاقة بين الإسلام والإرهاب والتطرف ومعاداة الغير، والتأكيد على أن الحوار معه واحترام رأيه مبدأ إسلامي في مواضع متعددة، بل السعي إلى ممارسة ضغوط على الغرب خلالها لتبني قوانين وفي مقدمتها حظر الإساءة للإسلام، باعتباره دينًا سماويًا لا يجوز المساس به أو الإساءة إلى نبيه الكريم ﷺ.

● لكن الغرب رفض حتى التعاون معنا لاستصدار قرار دولي بحظر الإساءة إلى الرموز الدينية؟

- هذا يعود لفهمهم المغلوط للحريات، وتأكيدهم على عدم قبولهم بأي قيود على حرية الرأي، رغم مخالفة ذلك لقاعدة ذهبية تتمثل في "أن الحرية لا تعني بأي شكل من الأشكال الإساءة إلى المعتقدات والرموز الدينية" ولا يجب علينا في مثل هذا المقام الاستسلام لرغباتهم، بل التجاسر وطرح الأمر أمام المؤسسات الدولية، وصولا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي نمتلك القدرة داخلها على حشد الأصوات المؤيدة لمواقفنا وعدم اللجوء لمجلس الأمن حتى لا نصطدم بالفيتو الغربي.

التعليم مشروع قومي

● رغم المحاولات المستميتة للدفاع عن الإسلام إلا أن نتاج هذه الحملات حتى الآن مازال محدودًا.. برأيك من المسؤول عن استمرار النظرة المغلوطة للإسلام في الغرب؟

- الغرب لم يضع في اعتباره يوما التعرف إلى الإسلام من مصادره الصحيحة، إنما اكتفى بالقراءة عنه من خلال المستشرقين المضللين، ومن المؤكد أننا نتحمل مسؤولية كبيرة عن قصور في مواجهة هذه الحملات، حيث كان تعاطي مؤسسات الدعوة الإسلامية بطيئًا ولم تقدم دولنا الدعم الكافي لعشرات من المراكز الإسلامية المتناثرة في بقاع العالم حتى تستطيع القيام بمهمتها في تصحيح صورة الإسلام، وكان لافتا خلال جولاتنا ولقاءاتنا مع المفكرين الغربيين شكواهم مر الشكوى من خلو المكتبات ودوائر المعارف الغربية من الكتب الخاصة بالثقافة والحضارة والشريعة الإسلامية، ما دعانا إلى توجيه دعوات لإيجاد مشروع إسلامي ضخم يتولى إعداد كتب ومؤلفات ترد على تساؤلات الغربيين وتشبع نهمهم للتعرف على الإسلام ومبادئه، وتوفر للمسلمين المقيمين في الغرب أفكارًا واضحة للتعامل مع المشاكل التي تواجههم.

● تشدد كثيرًا على حاجتنا الشديدة إلى ثورة تعليمية تعيد الاعتبار لمؤسساتنا التعليمية ولدورها كأداة للتنمية في العالم الإسلامي.. ما رؤيتك في هذا الشأن؟

- يعد التعليم في أغلب دول العالم المتقدمة مشروعًا قوميًا باعتباره مسؤولا عن الأمن الاجتماعي والقومي، وهذا ما نفتقده في أغلب دول المنطقة، من ثم فنحن بحاجة إلى خطة واضحة لتطوير التعليم تسير في عدة مسارات، أولها التخطيط لعقد مؤتمر عالمي في النصف الثاني من العام الحالي للاستفادة من الخبرات الدولية الرائدة في مجال تطوير التعليم مع عدد من المنظمات والجامعات الإسلامية والدولية.. من أجل طرح مفهوم واضح متفق عليه حول تطوير التعليم الجامعي، وإجراء حصر وتحليل لأبرز وثائق التطوير لتجويد التعليم الجامعي الصادرة عن جامعات العالم الإسلامي، ودراسة الآليات والأساليب الكفيلة بالاستفادة من هذه الوثائق المهمة وتطبيقها في جامعاتنا المختلفة، وإجراء «دراسات حالة» لبعض التجارب الناجحة في جامعات العالم الإسلامي، ودراسة إمكانية الاستفادة منها في باقي الجامعات.

● سبق أن أطلقتم دعوة للتطوير من خلال الرابطة.. فما مضمون هذه الدعوة؟ وما الهدف منها؟

- التجديد سنة من السنن الكونية، والإسلام ينبهنا إلى أهمية تجديد حياتنا باستمرار، والقرآن الكريم حث المسلمين دائما على أن يردوا ما لا يفهمونه مما يعرض أمامهم إلى الله ورسوله وإلى أولي الأمر منهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ كما يدعو الإسلام أتباعه إلى التجديد وإلى التدبر والتفكر في مخلوقات الله، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، كما يستخدم القرآن الكريم دائما آيات تشير إلى أهمية إعمال العقل، والاستفادة مما خلقه الله لنا لنفهم خلقه، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من هذا المنطلق وجدت لجنة تطوير التعليم بالرابطة ضرورة النهوض بالتعليم الإسلامي وتطويره، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية، والهدف من ذلك دفع العلماء والمفكرين إلى الاجتهاد والتجديد لمواجهة متطلبات العصر ومستجداته، فالإسلام هو الذي يحثنا على ذلك، وليس الغرب كما يتوهم البعض.

العلامة عبد الله العقيل وبجواره الدكتور وليد عبدالله المنيس

وفاة العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن عقيل (رحمه الله)

(١٣٣٥- ١٤٣٢هـ/ ١٩١٧- ٢٠١١م)

أ.د. وليد عبدالله المنيس

فجع العالم الإسلامي قاطبةً ومنطقة الجزيرة العربية بخاصة بوفاة شيخنا العلامة العامل القاضي الشيخ عبدالله بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى سابقًا في المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء ٧ شوال ١٤٣٢هـ، وبوفاة هذا الطود العلمي الشامخ ربما تكون قد طويت آخر صفحات طبقة تلاميذ الإمام العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦)، فقد سبقه قريبًا إلى رحمة الله زميلاه في الطلب على العلامة ابن سعدي، العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ثم العلامة الشيخ محمد بن سليمان البسام (ت ١٤٣٠) رحمهم الله تعالى أجمعين.

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة العامل القاضي عبدالله بن عبدالعزيز العقيل أبو عبدالرحمن العنزي- نسبة إلى عُنيزة- يرجعون إلى العقيليين في المدينة المنورة، كانت ولادته في عنيزة في ١٣٣٥/٧/١هـ (١٩١٧/٤/١٣م).

الوظائف التي تقلدها وأبرز مشايخه

تقلد عدة مناصب بما يدل على علو همته وجده واجتهاده، فنشأ في بيئة علمية بين والده وعمه وأخيه الأكبر، وكلهم من أهل العلم والوجاهة والقضاء، أخذ العلوم الأولية في مدرسة القرعاوي وانتفع بعبدالله بن مانع وعبدالله بن صالح ومحمد بن علي التركي، حفظ القرآن الكريم ومتون العلم وعمدة الحديث وألفية ابن مالك ومتن الزاد، ولازم الشيخ الإمام عبدالرحمن بن سعدي والشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ واستفاد من المعمر المسند علي بن ناصر أبو وادي والعلامة الإمام المفسر محمد الأمين الشنقيطي، وتقلد القضاء والإفتاء طوال عمره إلى تقاعده عام ١٤٠٥هـ، كما ترأس الهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى، والمجلس الأعلى للقضاء نيابة عن الشيخ الإمام عبدالله بن حميد وغير ذلك مما يطول شرحه- رحمه الله تعالى.

أحواله وأعماله

نظرا لتعدد وتنوع أحوال العلامة ابن عقيل بين علم وعمل وعبادة وسعي في الخيرات كان لابد أن نتحدث عن طرف من أحواله في مواسم العمر للوقوف على همته لينتفع بذلك من سلك هذا الطريق الشريف المنيف.

عمله في اليوم والليلة

أما عمله اليومي كما شاهدته أنا وغيري فإنه لا يجاريه أحد إلا من وفقه الله تعالى إلى معالي الأمور.

١- كان يبدأ يومه قبل صلاة الفجر فإذا أذن الفجر خرج للمسجد ليبقى فيه

تنوعت أحوال العلامة ابن عقيل بين علم وعمل وعبادة وسعي في الخيرات

إلى ما بعد شروق الشمس وفيه يقرأ القرآن ثم يصلي ثم يذكر الله ثم يباشر درسه بعد الصلاة مع طلاب العلم إلى ارتفاع الشمس فيصلي ما تيسر ثم يغادر إلى منزله ليرتاح.

٢- عند حوالي العاشرة ضحى يفتح مجلسه العلمي في منزله فيتلقى الطلاب من الضحى إلى الليل وأحيانا إلى ما يقرب من الحادية عشرة ليلا، يتخلل ذلك وقفات للصلاة والقيلولة.. يقرأ عليه فنون العلم من توحيد وفقه وحديث ولغة ونحو وأدب.

٣- ثم عند العاشرة ليلا أو ما يقاربها يدعو الجميع إلى مائدة عشائه العامرة مع تلطفه مع ضيوفه بحسن الحديث إليهم أثناء الأكل ووقوف أبنائه حولهم للعناية بهم.

٤- تنوع وتعدد الدروس التي تقرأ بين يديه في اليوم والليلة وهي ما بين توحيد وفقه وحديث وأصول ولغة وأدب، وقد شاهدت ذلك بنفسي وسجلت بقلمي ما لا أحصي من تعليقاته النافعة وشروحه الماتعة.

٥- المحافظة التامة على صلاة الجماعة والاستعداد لها قبل الأذان وتحري الصف الأول والمحافظة على الأذكار، وكان يحب أن يقرأ الإمام ويأخذ من القرآن ما تيسر من طوال المفصل.

٦- فتاوى الهاتف التي لا تكاد تنقطع أثناء دروسه فيجيب ويفتي بقدر ما يسمح به المقام.

عمله في الأسبوع

أما عمله الأسبوعي فيشتمل على عدة أعمال أبرزها:

١- استمرار عمله اليومي خلال الأسبوع من مدارسة وتعليم.

٢- مجلس الأربعاء وهو مجلس خاص بعد صلاة العشاء يستعد له بعد العصر حيث يلتقي الشيخ بعض الوجهاء وطلاب العلم والأقارب في فناء البيت الواسع في الصيف، أما في الشتاء فيكون في قاعة واسعة متصلة بمجلسه اليومي داخل بيته، ويُقرأ بين يدي الشيخ من خلال مكبر الصوت باب من أبواب العلم على مسمع من الحضور، يعقب ذلك وليمة عشاء واسعة عليها الذبائح وأطايب الطعام.

٣- دروس خاصة لبعض الوجهاء ممن يصعب حضورهم مجالسه اليومية كالقضاة والوزراء ونحوهم يخصص لهم دروسا في بعض العلوم الشرعية.

٤- تخصيص درس أسبوعي بعد المغرب في مسجده يقرأ بين يديه أحد أبنائه قبل صلاة المغرب.

٥- يكتفي يوم الجمعة بدرس الفجر إلى الشروق ويوقف الدرس لخصوصية يوم الجمعة ويلتقي طلبته بعد ذلك بعد العصر، وكان يتحرى ساعة إجابة الدعاء آخر يوم الجمعة قبل المغرب ويخرج إلى المسجد لها ويخلو في غرفة إلى الأذان يتضرع ويسأل، ثم بعد الصلاة يواصل دروسه في مجلسه المعتاد.

عمله في الشهر

أما عمله في الشهر فتتخلله عدة أنشطة وأعمال أبرزها:

١- استمرار عمله اليومي والأسبوعي في مدارسة العلم.

٢- اجتماعاته باللجنة الشرعية في مؤسسة الراجحي المالية التي يعمل بها مستشارا.

٣- ذهابه إلى مكة معتمرا مع الصيام في أيام البيض من كل شهر فيمكث أربعة أيام يعود بعدها إلى الرياض ليواصل نشاطه في

نشر العلم.

٤- مواصلة دروسه في مكة لطلبته الذين ينتظرونه ويتحرون قدومه، وهم على ذلك من سنوات.

٥- القراءة عليه مع الإجازة في مجالس العشر الأواخر من رمضان كل عام بإشراف تلميذيه الشيخ نظام يعقوبي والشيخ محمد ناصر العجمي.

عمله في السنة

أما عمله السنوي فيشتمل على ما مر ذكره وأعمال أبرزها:

١- ذهابه للحج على عادته السنوية، وكان كشيخه العلامة ابن سعدي يحج كل عام، وقد سئل كم حجة حججت يا شيخ فقال رحمه الله تعالى: متواضعا ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ الآية.

٢- زيارته لمكة اثنتي عشرة مرة في العام منها إحدى عشرة عمرة ويختمها بالحج كل عام.

٣- ذهابه كل عام لصيام شهر رمضان كاملا في مكة وعودته ليلة العيد وهو على هذا العمل منذ سنوات عديدة للعبادة والقيام ولتدريس العلم بعد الفجر وبعد العصر.

٤- سفره إلى خارج البلاد إجابة للدعوات التي توجه له كالدعوات التي وجهت إليه من الكويت من وزارة الأوقاف في الكويت بسعي من تلميذه الشيخ فيصل يوسف العلي مدير الشؤون الفنية في الوزارة سابقا عام ٢٠٠٥ و٢٠٠٧، أو إلى مصر لمتابعة أعماله مع الاستجمام عند ابنه الشيخ عبدالرحمن العقيل الذي يشرف على مؤسسة دار التأصيل للتحقيق والنشر.. وغيرها من البلدان.

أعمال أخرى

■ نشر الكتب والتقديم لها بقلمه وتشجيع طلبته على ذلك، فقد قدم لعدد من الكتب والرسائل، منها ما تعلق بمراسلاته مع شيخه ابن سعدي، ومنها بعض النوازل الفقهية، ومنها رسائل أعدها طلبته ممن كتب ما يستحسنه الشيخ مما يفيد، وهذا يكتنف عمله في اليوم والشهر والسنة-

الدروس العلمية لابن عقيل كانت لا تتوقف إلّا لصلاة أو طعام أو وضوء أو قيلولة

رحمه الله.

■ زياراته الاجتماعية لرحمه وأبنائه وأحفاده وزيارته للعلماء والمرضى واتصاله بالناس والمجتمع وتفاعله معهم.

■ تقديم المحاضرات العامة في المساجد بحسب الدعوات التي توجه له كالمحاضرة التي قدمها عن شيخه العلامة ابن سعدي والتي أخرجها أحد تلامذته في رسالة خاصة.

آداب اختص بها مجلس الشيخ

اختص مجلس الشيخ بجملة من الآداب يحسن بطالب العلم أن يتأملها ويأخذها بقوة فهي بعون الله من أسباب البركة في مجلسه العامر بالخير نعرض منها ما تيسر تقييده لتعم الفائدة..

أولًا: تأهب الشيخ للدرس واستعداده التام لتلقي طلاب العلم

كان الشيخ رحمه الله يتأهب للدرس بما يشعر الطالب بأهمية العلم ويؤصل فيه الالتزام والعناية والاهتمام.

ثانيًا: تجمله وحسن مظهره واستعداده بأحسن هيئة توقيرا لمجلس العلم

إذا جلس الشيخ في مجلسه رأيته بأحسن مظهر ومخبر يغلب على ملبسه البياض والغترة البيضاء أو الحمراء والبشت المناسب فيضفي عليه المهابة وعلى مجلسه الوقار.

ثالثًا: تواصل الدروس العلمية في مسجده ومجلسه من بعد الفجر إلى ما بعد العشاء، فلا تقف في مجلسه الدروس إلا لصلاة أو طعام أو وضوء أو قيلولة مما يدل على أن العلم ومدارسته يغشى مجلسه ولا شيء غيرهما.

رابعًا: تعليقاته وتقريراته وشرحه على الأبواب و الفصول في كتب العلم

كان الشيخ يعلق على ما يقرأ بين يديه بحسب مستوى الطالب ونوع العلم بما يثلج الصدر ويوسع الأذهان ويوقف الطالب على الفوائد العلمية.

خامسًا: إكرامه المتناهي لأهل العلم والمشايخ والوافدين إلى مجلسه

امتاز الشيخ بحسن الوفادة للوافدين إلى مجلسه فيجلسهم بقربه ويحسن السؤال عن أحوالهم ويحاورهم بأدب ويتلطف معهم ويوافقهم بتواضع ويحقق رغبتهم ويحسن مشورتهم ويباشرهم بأطايب الطعام والكلام.

سادسًا: رده المباشر والسريع لكل معروف أومروءة

فإذا ما أرسل له أحد المحبين كتابا أو هدية بادر إلى طلب هاتفه وقام بالاتصال به وشكره وتلطف معه ودعاه إلى العشاء وسأل عن أحواله.

سابعًا: حسن استقباله وتوديعه لضيوفه وعنايته بهم

وهذا عام في كل وقت وحين، ويظهر جليا في مجلس الأربعاء الذي يغشاه كبار الضيوف من علماء وأصحاب وأقران وكبار الطلاب ممن طالت ملازمتهم له فتشاهد كل ما يسر من حسن رد وطيب كلام وطعام وحسن مقام.

ثامنًا: حسن اعتذاره واستئذانه وتلطفه مع طلبته

فإذا ارتبط بموعد سابق لا يفاجئ طلابه بالمغادرة بل يجعل عندهم علما مسبقا وإذا طرأ أمر مفاجئ غادر بهدوء، ثم ما يلبث أن يعود ولا يأمر أحدا بالخروج، بل يؤكد عليهم بالبقاء ويشعرهم بقرب عودته ويأمر خدمه بمباشرتهم بالقهوة والشاي، وإذا خاطب أحد طلبته ناداه بالكنية أو بلقبه العلمي ويشعره بمكانته عنده، بل إن كل طالب ينتابه شعور

بأنه ربما كان الشيخ يحبه أكثر من غيره نظرا لتلطف الشيخ مع الجميع.

تاسعًا: حسن تقسيمه للوقت ودقته في اغتنام ساعات النهار والليل

فالشيخ دقيق جدا في استقلال الوقت يعرف ذلك طلابه وجلساؤه فكل جلسة من جلساته معروفة ومؤقتة بدقة لدرجة أن طلبته يضبطون ذهابهم وإيابهم على ذلك فنادرا جدا ألا تجد جوابا إذا سألت أين الشيخ هذه الساعة أو تلك؟ وإذا ما سألت أجابك من سمعك أنه في هذه الساعة يكون في العادة هنا أو هناك ويذكر لك مكانه!

عاشرًا: الوقار التام في مجلسه

اتصف مجلس الشيخ بالوقار والسكينة فهو مجلس علم بحق فلا تسمع استخفافا أو رفع صوت أو غيبة أو نميمة أو سخرية أو تحريض على سوء، بل هو مجلس علم بحق لا تسمع فيه إلا قال الله تعالى، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، أو قال المؤلف ونحو ذلك، وزاد من ذلك وقار الشيخ ومهابته بما يضفي انضباطا تاما في المجلس من غير خروج عن مألوف مجالس العلم.

حادي عشر: حسن تمثله واستشهاده وذلك مما يدهش العقول ويستدعي الانتباه ويستجلب التأمل والإنصات، وأنى لنا أن نحصي ما تمثل به الشيخ في مجالسه العلمية، وحسبنا أن نورد طرفا منها والله المستعان.

فمن ذلك أننا ارتحلنا إليه رحمه الله في جمادى الآخرة عام ١٤٢٤هـ، وفي مجلسه كان من عادته أن يلقي أبياتا من الحكمة أو الأدب لشحذ الأذهان ودفعها للتأمل فقال:

سألت الخثعمي أبا يزيد
غداة أتى ونحن نسير سيرا
ولم أُلحف عليه ولم أكرر
فجاد به جزاه الله خيرا

ثم قال الشيخ: ماذا سأله؟

فلم يعرف أحد منا الجواب ظن البعض أنه حال أو مفعول مطلق ونحو ذلك، فأجاب الشيخ بعد قليل: سأله سيرا- وهو الذي يقد من الجلد ونحوه- وجمعه سيور!

ومن ذلك أنه رد على الهاتف وكان الذي يكلمه شخص يعتني بتسجيل وفيات الأعيان والناس فأنشده الشيخ:

مازال يكتب في التاريخ مجتهدا
حتى رأيناه في التاريخ مكتوبا

وأثناء القراءة عليه من «بلوغ المرام» من حديث عائشة رضي الله عنها الطويل في وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قولها: «وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع...» الحديث (أخرجه مسلم رقم ٢٨٩)

قال العلامة الشيخ ابن عقيل رحمه الله: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بستة حيوانات ثم أنشد الشيخ أبياتا في ذلك فقال:

إذا نحن قمنا للصلاة فإننا
نهينا عن الإتيان فيها بستة
بروك بعير والتفات كثعلب
ونقر غراب في سجود الفريضة
وإقعاء كلب وبسط ذراعه
وأذناب خيل في جلوس التحية

وربما رغب في معرفة الذكي من طلبته قائلا:

وما شيء حقيقته مجاز
وأوله وآخره سواء
عجيب أمره متناقضات
تراه معربا وبه البناء

وربما قال ناصحًا محذرا:

بقدر الصعود يكون الهبوط
فإياك والرتب العاليهْ
وكن في مقام إذا ما سقطت
تقوم ورجلاك في العافيهْ

وقال عن مكانة كتاب «منتهى الإرادات» الذي عليه مدار الفتوى وهو آخر الكتب التي أتممناها عليه رحمه الله:

«محشو بالمسائل كحشو الرمان كل حبة متصلة بشيء يغذيها لوحدها».

أما نظمه في الفقه فمنه قوله في ضبط مقدار القلتين:

ثلاثمئين اللتر من بعد سبعة
لقلتي الماء الكثير المطهر
وخمس قرب تقديرها عند بعضهم
أي ابن جريج العالم المتبحر
وعشر تنك تقدير شيخ مبجل
أي ابن جراح الفقيه المفسر
ذراع وربع جاء طولا محددا

وعـــــــرضًـــــــا
وعـمـقـا فـافـقـه الـقـول واخـبـر
فتلك تقادير جياد تحصلت
لقلتي الماء الكثير المطهر
ونظم طبقات الأصحاب بقوله:
أوَّلـهُـم مـن الإمـام المتقي
حتى أبي يعلى الفقيه المرتقي
أوسـطـهـم مـنـه إلـى الموفق
آخرهم منه إلى من قد بَقِي
حكاه الخلْوَتيُّ وابن القاسم
وبكر كالهندي ذي المكارم
وابـن حميد مُفْتيَ الحنابلهْ
كـذا سَمّيه إمـام السابلهْ
لـكـن هـل الـعـبـرة بـالـزمـان
أو الـرجـال يـا أخـا العرفانِ
أو بهما جمعا وكيف العملُ
إذ ذاك بَـيِّنْ وعـداك الـزلـلُ
وإن يخالف نطقه مفهومه
فـقـدم المـنـطـوق إذ تـرومـه
كما حكي ذاك عن السفاري
فاحفظ وحققه ولا تماري
وقال في المفاضلة بين الزاد والدليل:
وقـدمـوا الـزاد على الدليل
لـنـكـت تـبـدو على التفصيل
أهـمـهـا جـمـعـه للمسائل
مع اختصار اللفظ والدلائل
لـكـنـه عـن اجـتـهـاد وعِـدَه
بالغ في الإيجاز حتى عَقّده
وبـعـضـهـم يـفـضـل الـدلـيـلا
لأنـه يـسـتـصـحـب التفصيلا
يـفـصـل الـشـروط والأركـانـا
مـوضـحًـا وواضـعًـا عـنـوانـا
وسـهـل الـتـعـبـيـر والـتـدلـيـلا
بـذاك حـاز السبق والتفضيلا
ونظم أصول مذهب الإمام أحمد- رحمه الله- فقال:
أصـول إمـامـنـا خـمـس فخذها
مـرتـبـة عـلـى نـهـج الجـواب
حديث ثابت قول الصحابي
إن اختلفوا فأقرب للصواب

كان من عادته في مجلسه أن يلقي أبياتًا من الحكمة أو الأدب لشحذ الأذهان ودفعها للتأمل

ورابعها الضعيف ومرسلات
وخامسها القياس فلا تحابي
وفي محظورات الإحرام قال:
فحلق وتقليم مخيط وصيدهم
وعقد نكاح والجماع مع الطيب
مباشرة مع ستر رأس فهذه
محاذير للإحرام تسع فخذها بترتيب
أما شرحه وتعليقاته و اختياراته الفقهية أثناء القراءة عليه فلا تعد ولا تحصى فمنها:

أولا: على كتاب «دليل الطالب»:

قوله: باب الآنية، قال العلامة بن عقيل: باب الآنية ذكر هنا لأن الماء لابد له من إناء يوضع فيه، وإلا فهو مناسب في الأطعمة للحاجة أو لأنه مناسب هنا وهناك.

قوله «إلا آنية الذهب والفضة والمموه بهما» قال الشيخ قوله «إلا» أداة استثناء والمعنى يحرم ولو على أنثى لأن من عادتها التحلي، فالأنثى يباح لها التحلي لحاجة الزوج، أما الأواني فلا حاجة بها للزوج، فالاتخاذ والاستعمال حرام للذهب والفضة الخالصة.

ثانيا: على كتاب «زاد المستقنع»:

قوله في باب الحيض: «وإن ولدت توأمين فأول النفاس وآخره من أولهما» قال الشيخ ابن عقيل الصحيح من آخرهما: فقها، وأنه لا يتحدد بأربعين خلافا للمذهب.

قوله: في باب الآذان والإقامة «هما فرضا كفاية على الرجال المقيمين للصلوات الخمس» قال الشيخ: نحفظه عن مشايخنا: على الرجال المقيمين والمسافرين.

ثالثا: على كتاب «النظم المفيد الأحمد» من كتاب الصلاة:

قال الناظم:
وجلسة بعد أذان المغرب
تندب حتى تركها اكره تصب
قال العلامة الشيخ ابن عقيل: أي ترك السنة ليس مكروها إلا في هذا الموضع.

رابعًا: قال على كتاب إرشاد أولي البصائر لشيخه ابن سعدي:

قوله «ثم ما كان ممسوحا لا يشرع فيه تكرار» قال العلامة ابن عقيل: قاعدة «كل الممسوحات لا تكرر الرأس، الأذنان، الخف، الجبيرة».

خامسًا: قال على كتاب أخصر المختصرات لابن بلبان:

قوله في أثناء فصل الإمامة: «وسن وقوف المأمومين خلف الإمام والواحد عن يمينه وجوبا والمرأة خلفه».

قال شيخنا العلامة ابن عقيل: ذكر شيخنا عبدالحق ٢٥ حالة تختلف فيها المرأة عن الرجل في الصلاة منها هذه الحالة.

قوله في صلاة الكسوف: وإن كثر المطر حتى خيف سُن قول: اللهم حوالينا ولا علينا.

قال الشيخ العلامة ابن عقيل: ذاك استسقاء وهذا استصحاء.

سادسًا: قال على كتاب الروض المربع:

باب مسح الخفين:

قال العلامة الشيخ العلامة ابن عقيل: المسح على الخفين من مسائل الفروع ولما خالف أهل البدع جعلوه من مسائل العقيدة.

قوله: ويكره تنكيس السور والآيات.

قال الشيخ العلامة ابن عقيل: والصحيح يحرم.

وقال على «منتهى الإرادات»:

قوله «لا بقصد طيب كحناء وعصفر وقرنفل»

قال الشيخ ابن عقيل: القرنفل ليس بطيب، ثم أنشد طرفة:

مررت بعطار يدق قرنفلا
ومسكا وريحانا فقلت: (شهيق)
فقال لي العطار رد قرنفلي
ومسكي وريحاني فقلت: (زفير)

ثم قال الشيخ: شعر بلا قافية.. وتبسم الجميع!

الرحلات العلمية إلى الشيخ

تيسر لي مع الأخ الشيخ فيصل يوسف العلي الارتحال الى الشيخ للاستفادة من علمه وثاقب فهمه وبمصاحبة الأخ الشيخ ياسر المزروعي والأخ الشيخ رائد يوسف الرومي وقد وفقنا الله تعالى بالسفر إلى مجلسه أكثر من ٢٣ رحلة من عام ١٤٢٣هـ إلى عام ١٤٣١هـ، قرأنا على فضيلته رحمه الله ما لا يحصى من الكتب والرسائل في التوحيد والفقه والحديث والقواعد الفقهية والأصول ومنظومات الأدب والنحو واللغة تم لنا جمعها بفضل من الله في مجلد عنوانه:

«الجامع للرحلة إلى ابن عقيل المشتمل على الإكليل والتكميل والتحجيل».

مرضه ووفاته رحمه الله تعالى

تعرض الشيخ بعد رمضان عام ١٤٣١هـ بعد أن صامه في مكة على عادته لضعف عام دب في بدنه وعاد إلى الرياض عليلا فمكث فترة ملازما بيته وخفف من نشاطه

ليجمع قواه وتحسن قليلا، ثم بدا لأبنائه السفر به إلى ماليزيا للعلاج هناك فترة، وقد تحسن فيها بحمد الله وعاد إلى بيته وزرناه وقد تحسن، ثم عاد ليدرس العلم مع طلبته من جديد بطريقة مخففة مراعاة لوضعه الصحي، واستمر على ذلك إلى أن قدر الله أن ينزلق أثناء الوضوء فارتطم رأسه أثناء السقوط فغاب عن الوعي، وأجريت له عملية بقي بعدها شبه غائب عن الوعي لكنه يحس بمن يزوره، وقد زرته مع الشيخ فيصل العلي وعليه الأجهزة الطبية وصافحناه وهو لا ينظر إلينا لكنه يشعرك بأنه يحس بك بأن يضغط على يدك أثناء مصافحته.

وقد ظل راقدا في المستشفى، ثم مرت عليه فترات ضعف في الآونة الأخيرة إلى أن وافاه الأجل المحتوم الساعة ٢:١١ بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٧ شوال ١٤٣٢هـ- رحمه الله تعالى- عن حوالي ٩٧ سنة.

الصلاة عليه في مسجد أم الحمام في الرياض

غادرنا الكويت أنا والأخ الشيخ فيصل العلي بعد فجر الأربعاء ٨ شوال ١٤٣٢هـ إلى الرياض لشهود جنازة الشيخ ووصلنا الرياض قبل الظهر ثم غادرنا إلى المسجد الذي سيصلى عليه فيه واسمه مسجد (أم الحمام) وهم في العادة يصلون على الجنازة في المسجد هناك وقد شاهدنا الجثمان وقبلنا جبين الشيخ وكان بهيئة حسنة بحمد الله.

وقد تقرر الصلاة عليه عقب العصر، وقد أم المصلين سماحة المفتي العام الشيخ الإمام عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله، وقد ملئ المسجد عن آخره وكثر الناس وهو أكبر مسجد في الرياض بعد مسجد الإمام تركي، ثم حمل الجثمان إلى المقبرة وقد حضر الجنازة بعض أعضاء هيئة كبار العلماء وجمع غفير من الناس والوجهاء فرحمه الله رحمة واسعة وأباحه بحبوحة جنته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رثاء وعزاء

الأستاذ زهير الشاويش يرثي الشيخ ابن عقيل

انتقل إلى رحمة الله العلامة الشيخ عبدالله بن عقيل، شيخ البلاد النجدية في الحديث النبوي الشريف، والفقه الحنبلي، عن عمر ٩٧ سنة، وكانت له مباركات نافعات.

وإننا نقدم العزاء لابنه الشيخ عبدالرحمن، وحفيده الشيخ أنس، وجميع العائلة.

وهو الأخ الرفيق لنا، وله الفضل العميم- رحمه الله، حيث تلقى الرواية عن مشايخه، منهم الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، سماحة العلامة المفتي السعودي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ محمد بن مانع.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». (البخاري ومسلم).

وهذا الذي لنا مع شيخنا، فقد تجاوز التسعين من عمره المديد الذي بارك الله فيه، والذي نفع به عباده كافة، وكان من تلامذته العدد الكبير جدًا.

وقد تمت معه ومعي المدامجة الحديثية، وذلك بفضله وكرمه، وبذلك جمع الله بيننا بالسند النبوي الشريف في البلاد الشامية وبلاد نجد والحجاز، ومعي أستاذنا الشيخ صبحي السامرائي، إلى علماء كل عصر.

وكان يجتمع بإخوانه في «اللقاء الشهري برمضان» في الحرم المكي، حيث

زهير الشاويش

يتدارس رسائل الحديث الشريف مع مجموعة من إخوانه، الذين يحضرون إلى مكة، ويكون معهم (وهو الأكبر سنًا منهم- رغم مرضه).

وإلى كل هؤلاء وزملائهم أقدم لهم أحر العزاء بوفاة شيخنا فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل، وأكرر العزاء لأخي الشيخ عبدالرحمن والشيخ أنس، وجميع العائلة والأهل والأولاد.

أعمال الشيخ

قام رحمه الله بأعمال كريمة مهمة.. فكان عضوًا في هيئة الإفتاء العام بالسعودية، وتنقل في عدد من المحاكم في عدد من مدن المملكة، أخيرًا أصبح قاضيًا في المحكمة الكبرى في الرياض، ثم عضوًا في مجلس القضاء الأعلى، ثم عضوًا في مجلس الأوقاف الأعلى.

وأثناء ذلك، كان في عضوية العديد من المحاكم حيثما تقتضي أعمال الدولة السعودية.

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

الخبيئة الصالحة

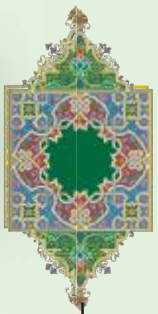

يتسابق الجميع اليوم لتصدر المشهد الإسلامي، وسط حراك مجتمعي واسع، مستخدمين كل الوسائل واللغات والطرق التي من شأنها كسب مزيد من الحضور الشعبوي، في الوقت الذي بتنا نفتقد إلى أبسط أبجديات العمل والإنجاز والخدمة العامة في مرحلة حرجة كهذه، حتى صرنا نخاف على أصحاب الدعوات المباركة أن يتفلتوا من دعوتهم السمحة، ورسالتهم الحقة، ومنهجهم النقي، ويقعوا في فخ الفساد، ومرتع النفاق، وبيئة المصلحة الشخصية.

فلا يكاد يمر يوم حتى نرى كثيرًا ممن كنا نعتبرهم قادة مصلحين يحتكرون الميكروفون لأنفسهم من خلال الندوات والمؤتمرات والفضائيات وصفحات الجرائد، دونما تحرك حقيقي أو دور مؤثر بين الناس، باعتبار أنهم يعتقدون أن الشارع دائمًا ما يؤيد (أرباب الحق) ولكن هذا المنطق الظاهري لن يجدي نفعًا ولن يحي مجتمعاتنا.

ومما لاشك فيه أن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأصفياء الأبرار، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا وإذا حضروا لم يُعرفوا، يعيشون حياة العبودية لله، والانصراف عن الظهور، يقدمون ولا يأخذون، يضحون ولا يُجَزَوْن، يخدمون ولا ينتظرون، مصداقًا لقول المصطفى ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل».

ولعل أصحاب المصطفى ﷺ كانوا أنقى هذه الأمة قلوبًا، وأكثرها علمًا، وأقلها تكلفًا، أولئك هم الأتقياء الأخفياء، علت همتهم فلم تتلاعب بهم الدنيا، ولا تطلعوا لمال أو منصب أو جاه، لقد كانت حياتهم ترجمة لمعاني الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، كان شعارهم ﴿ففروا إلى الله﴾، عاشوا بالإسلام وللإسلام، مشوا بأرجلهم على الأرض وقلوبهم معلقة بخالق الأرض والسموات.

ولنا في عمر بن الخطاب مثال طيب، عندما خرج يومًا في سواد الليل وحيدًا، لا يراه أحد، ودخل بيتًا ثم خرج، ثم دخل بيتًا آخر، فرآه طلحة رضي الله عنه دون أن يعلم به عمر، فظن أن في الأمر شيئًا، فأوجس في نفسه، لماذا دخل عمر هذا البيت؟ ولماذا دخله وحده؟ ولماذا في الليل؟ ولماذا يتسلل؟ ولماذا لا يريد أن يراه أحد؟ ارتاب طلحة في الأمر.

ولما كان الصباح ذهب طلحة فدخل إلى ذلك البيت فلم يجد إلا عجوزًا عمياء مقعدة، فسألها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ وكانت لا تعرف أن الرجل الذي يأتيها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت العجوز العمياء المقعدة: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني، ويخرج الأذى عن بيتي، أي يكنس بيتها ويقوم بحالها، ويرعاها، فما أعجب سيدنا عمر في شدة إخفائه لهذا العمل حتى لا يراه أحد! في سواد الليل، يمشي لواذًا خشية أن يراه أحد فيفسد عليه عمله الذي هو سر بينه وبين الله.

ووسط توالي الأحداث بهذا الشكل المتسارع، نتساءل: ما الذي يقيدنا عن اللحاق بأولئك النفر؟! وما هذا العمل الذي أخفوه حتى أوصلهم إلى هذه المنزلة؟! صحبوا الخفاء حتى ألفوه، وعاشوا معه فكانوا أنقياء في أنفسهم أولًا وفي أعمالهم ثانيًا، يقول عبدالله بن داود رحمه الله «كانوا يستحبون- أي السلف الصالح- أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها».

إن كسب قلوب وعقول الناس ليس بالمجاهرة والصياح ليلًا ونهارًا، وتصدر المجالس والفعاليات، وإنما بالعمل الصالح المخلص النابع من قلب طاهر، يستشعره الجميع، ويتقبله بصدر رحب، لاسيما أننا في مرحلة أقرب إلى تمحيص النفوس ولفظ المنافقين والمتملقين من الصحبة الصالحة.

يجب العزم من الآن على الالتحاق بهؤلاء الربانيين، أصحاب الأيادي المتوضئة، والقلوب الطاهرة، والنفوس الكريمة، ولنجعل لنا سريرة لا يعلمها أحد من الخلق، ندخرها لأنفسنا هناك بين يديه سبحانه وتعالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.. والله ولي التوفيق.

ليشهدوا منافع لهم

لكل ركن من أركان الإسلام الخمسة حكمه وفضائله، ومقاصده ومراميه التي لا يدركها إلا من امتزج قلبه بروح الإيمان واليقين في كل سكناته وحركاته، وأخلص في أدائها لله رب العالمين.

وقد شاءت إرادة الله أن تكون الصلاة والحج هما الركنان اللذان يتطلبان حركة الجسم مع حضور الروح، كما أنهما متشابهان في الحكمة من تنفيذهما.. وهي الخضوع والتذلل، وقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي «الطواف مثل الصلاة».

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى في ركن الحج أن جعله مطهرة للذنوب الدنيوية مما ران على قلب المؤمن من أوزار الشهوات وأثقال المادة، ففيه تهفو النفس المؤمنة إلى موطن العقيدة الأول؛ لتمتزج الذكرى بالذكر، ويتصل النظر بالفكر، وترتبط السماء بالأرض.

أشواقنا نحو الحجاز تطلعت
كحنين مغترب إلى الأوطان
إن الطيور وإن قصصت جناحها
تسمو بفطنتها إلى الطيران

إن التجرد والإخلاص في فريضة الحج يجب أن يكونا هدف من أكرمه الله ويسر له أداء هذه الفريضة، بل يجب أن يحرص عليهما حتى من لم يحرم بالحج.. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «تجردوا بالحج وإن لم تحرموا»، قال إسحق بن منصور: قلت لأحمد: ما قوله تجردوا بالحج؟ قال: تشبهوا بالحاج وإن لم تكونوا حجاجًا.

التحرير

مواقف وطرائف من عيون تراثنا الأدبي

الحج والأضحية

عثمان إسماعيل

تكاد لا تخلو كتب ومعاجم اللغة العربية من الطرائف اللغوية ومواقف الفكاهة نثرًا وشعرًا، حتى أنها نالت معظم مناحي حياة البشر وتصرفاتهم وسلوكاتهم، فنظرة الشعراء والأدباء حيال ما يرون لها عالمها الخاص وأثرها السريع على قريحتهم اللغوية، فيسارعون بالتعبير في سلامة وفصاحة ودعابة يستسلم لها المتذوق فيقع فريسة لعالم الفكاهة والضحك.

عالم «الحج» وخروف العيد (الأضحية) كان لهما نصيبهما من الأدب الفكاهي الناتج عن مواقف عفوية أو فعل مقصود استحوذ على قوافي الشعر فخضعت له عاطفة ولفظا.

ومن عيون الأدب ما يحكيه لنا صاحب «المستطرف في كل فن مستظرف» في باب الحج، حيث إنه من المعروف عند عودة الحجيج من رحلتهم المباركة يحملون معهم الهدايا للأهل والأحبة والأصدقاء كنوع من المودة والذكرى، ولكن الشاعر «عمر بن حيان الضرير» لم يجد من يعيره اهتمامًا من الحجاج ولم يجد من يتذكره بشيء من تلك الهدايا فأنشد قائلًا:

كأن الحجيج الآن لم يقربوا مني
ولم يحملوا منها سواكًا ولا نعلا
أتونا فما جاءوا بعود أراكة
ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال أحد الشعراء في شأن أولئك الذين يحجون بمال يشوبه الشك والشبهات ولكنهم يعاندون أنفسهم ويتخيلون أن الله سيغفر لهم:

يحجّون بالمال الذي يجمعونه
حرامًا إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره
يُحط ولكن فوقه إلى جهنم

وفي هذا الصدد أيضًا يقول «أبوالشمشمق»:

إذا حججت بمال أصله دنس
فما حججت ولكن حجَّت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة
ما كل من حجَّ بيت الله مبرور

ومما ترويه كتب الأدب أن بدويًا تخاصم مع حاج عند منصرف الناس فقيل له، أتخاصم رجلًا من الحجاج فقال:

يحجُّ لكيما يغفر الله ذنبه
ويرجع وقد حطت عليه ذنوب

وقال شاعر آخر في واحد من هؤلاء الحجاج:

حجَّ في الدهر حجَّةً
حجَّ فيها وأحرما
وأتانا من الحجاز
كما راح محرمًا
فهو ذو الحجة الذي
ما توقى محرمًا

أما الأضحية أو ما يطلق عليه العامة «خروف العيد» فإنه لم يسلم من سخرية القوافي وفكاهة الشعراء إزاء

باحث إسلامي

مواقف تدعو لذلك، فمن المعروف وحسب الشرع أن الأضحية لابد أن تكون من أجود اللحوم، خالية من أي عيب أو مكروه أو مرض، ولكن صاحب «معجم الأدباء» يروي لنا وصفًا رائعًا لخروف هزيل صاغه «محمد بن نصر الله الدمشقي الأنصاري» عندما جاء عليه عيد الأضحى وهو بمصر فقال:

أتاني خروف ما شككت بأنه
حليف هوى قد شفَّه الهجر والعزلُ
إذا قام في شمس الظهيرة خلته
خيال ثرى في ظلمة ما له ظلُّ
فناشدته ما يشتهي؟ قال: حلبة
وقاسمته ما شأنه؟ قال لي: الأكلُ
فأحضرتها خضراء مجَّاجة الثرى
مسلَّمة ما مسَّ أوراقها الفتلُ
فظل يرقبها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع في العين منهلُ

وتحكي صفحات الأدب الفكاهي في هذا الصدد بعنوان «لماذا انتحر الخروف؟» أن أحد أصدقاء الشاعر المرحوم محمد الأسمر رحمه الله أراد أن يهدي إليه خروفًا في عيد الأضحى، ولكن الخروف مات قبل إرساله إليه فقال الشاعر محمد الأسمر:

من لامه في أمره فإنني
عذرته- والله- فمن عذر
لما أحس أنه هدية
لشاعر فكر ثم انتحر

وفي موقف آخر للشاعر المرحوم محمد الأسمر يذكر أنه أرسل إلى صديق له يداعبه، بأن يرسل له خروفًا يراه فقط ويمتع عينيه منه متمنيًا مثله، آملًا أن يتحقق حلمه في واحد مثله فقال:

إن كان ذو القرنين عندك حاضرًا
فابعث له لنرى ضياء جبينه
ولكي يجاوب - لو يمأمئ مثله
في بيت جاري- مأمآت قرينه
وليطمئن الدائنون ويعلموا
أني امرؤ يقضي جميع ديونه
ونرده لك بعد ذلك سالما
بحرير فروته وعاج قرونه
وأنا الأمين عليه وهو بمنزلي
من كل جزار ومن سكينه

إنها نبرة القوافي عندما تضع الحلم أمامها وتدعو أن يتحقق هذا الحلم، فتكون القوافي متنفسًا لدى صاحبها هروبًا من سراب الأحلام التي تزعجه وتجعله في ضيق وكآبة شديدين.

لكن النثر الأدبي لم يقف مكتوف الأيدي، بل راح يخرج ما في جعبته وينطلق في عالم الحج بمواقف وحكايات مختلفة.. فتحت عنوان «ثلاثون كبشًا تفدي ديكًا» يحكي الأصمعي أن رجلًا ولي قضاء الأهواز فأبطأت أرزاقه ولم يكن عنده ما يضحي به، فشكى ذلك إلى زوجته فقالت له: لا تغتم، فإن عندي ديكًا عظيمًا قد سمنته فإذا كان يوم عيد الأضحى ذبحناه، فلما كان يوم العيد أرادت المرأة الإمساك بالديك لذبحه فطار إلى بيت الجيران، وكلما أريد إمساكه طار إلى بيت آخر، فتساءل الناس عن ذلك.. وعرفوا الضيق الذي يعاني منه القاضي فقالوا: يا سبحان الله! كيف نضحي بالكباش وقاضينا يضحي بديك؟!

فأهدوا إليه ثلاثين كبشًا وهو بالمصلى لا يعلم شيئًا عن ذلك، ولما سار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته: من أين ذلك كله؟! قالت: أهدى لنا فلان وفلان حتى سمت له الجماعة فقال لها: يا هذه احتفظي بديكنا فإنه عظيم الشأن عزيز عند الله إذ فداه بثلاثين كبشًا!

هذه من مواقف الحج والأضحية في عالم الطرائف والفكاهة من عيون أدبنا العربي وتراثنا العريق شعره ونثره.

التسول في الحج.. معضلة لها حل

عثمان الجوهري

جاءت هذه الخواطر عن الحج والعمرة بدافع الحب والغيرة مع التأكيد بأنه لايمكن إغفال أو نسيان تلك الجهود الضخمة والمتواصلة التي تقوم بها السلطات المختصة بالمملكة العربية السعودية لخدمة الحرمين الشريفين بشكل أكثر من جيد يستوعب باستمرار كل اقتراح جديد ومفيد وقبول أية إضافة، وهذا يحتم علينا جميعا الدعاء إلى الله تعالى أن يحفظ هذه البقاع المقدسة الطاهرة من كل شر ومكروه وأيضا علينا واجب الشكر والثناء الحسن لكل السادة المسؤولين القائمين بهذه الرعاية والعناية بهمة لا تفتر.

نعم التسول معضلة وأيضا لها حل لكن يلزمه بعض التخطيط ومزيد من الجهد المتواصل كأسلوب عملي للقضاء على هذه الظاهرة حيث ثبت أنها موجودة في مختلف دول العالم الثالث وأن معظم المتسولين محترفون بدرجة الإتقان بل يصل بهم الأمر لعمل بعض التشوهات المصطنعة في أجسادهم استدرارا لعطف الناس طمعا في تبرعاتهم وإجزال العطاء لهم، وهذا في حد ذاته شيء مؤثر ومؤلم في نفوس كل من يراهم ورغم أن كثيرين منا يقتنعون بأن هذا الأمر مصطنع ولكن كثيرا من الناس يشعرون بتأنيب الضمير والشعور بالذنب لأنهم بارعون في جعلك تشعر بتقصيرك نحوهم لعدم التعاطف معهم.

ومن المعروف أن هناك أشخاص بارعون يقومون بتدريبهم على فنون هذا التسول لدرجة أنك تصدقهم وتكاد تلوم نفسك على عدم التجاوب معهم.. أما في دول الغرب فقد سمعنا أن المتسولين وضعهم مختلف تماما، فهم يقومون فقط بعزف الموسيقى في الميادين العامة وهذا يكفي للإعلان عن طلبهم للعون والمساندة ويعزفون موسيقي تطرب فعلا ويرتدون ملابس جميلة ونظيفة على العكس من العالم الثالث الذي نحن جزء منه حيث يقوم المتسولون بتشويه أجسادهم

يجب تعديل لافتة «التسول» في الحرم المكي لتصبح «مكافحة التسول»

واصطناع عاهات لاستدرار عطف الناس ونسوا أنهم بذلك يشوهون صورة المسلمين بهذا الشكل المنفر ويسيؤون لعظمة الدين الإسلامي، وأين؟ في أقدس وأطهر بقاع الدنيا، في الحرمين الشريفين وبالنسبة لوجودهم على هذا النحو حول الحرمين الشريفين وفي الساحات المحيطة بهما والطرق الموصلة إليهما فإن في هذا بالتأكيد تشويها للجمال والجلال الذي يغمر الحرمين الشريفين وأيضا يعطي صورة مشينة للمسلمين مع أن الإسلام لا يرضى بذلك، وهذا يقتضي بالضرورة التفكير في حل لهذه المعضلة، وعدم تواجدهم في هذه البقاع الطاهرة المقدسة والقضاء عليها بإذن الله تعالى متاح وملخصه فيما يلي:

نعم يوجد في الحرم المكي مكتب يحمل لافتة «التسول» ومن المفيد من البداية تعديل هذه اللافتة لتصبح مكتب «مكافحة التسول» لتكون اسما عمليا موحيا للقضاء على هذه الظاهرة.

والخطوة الأولى المطلوبة زيادة عدد أفراد قوة الشرطة رجالا ونساء على حدود الساحات والطرق المؤدية للحرمين الشريفين وإلقاء القبض على المتسول أو المتسولة وتسليمه لسفارة بلاده من واقع جواز سفره لتعيده لوطنه وعلى نفقتها وتغريمه مبلغا من المال مما قام بجمعه من التسول ليكون في ذلك زجرا له وعبرة لغيره، وإن ملاحظة المتسولين أولى وأهم من ملاحقة المتأخرين من عمرة رمضان ابتغاء أداء فريضة الحج، لأنهم يسيؤون للإسلام والمسلمين.

وكثيرا ما يدخل بعضهم للحرمين الشريفين يتاجرون، وهنا ينبغي ان يتم إخراجهم بهدوء وتجميعهم في مكان يخصص لتوعيتهم بآثار هذا السلوك الذي يقومون به في حق الإسلام والمسلمين، فالإسلام كما هو معروف دين تراحم وتكافل ويحافظ على كرامة الإنسان وأيضا ينبغي اقامة مراكز تدريب لهم لكسب مهارات حرفية تتناسب مع ظروف كل واحد منهم وبعد انتهاء هذا التأهيل يتم تسليمهم إلى سفارات بلادهم لترحيلهم لأوطانهم مع أخذ التعهد اللازم بعدم تكرار ذلك الفعل.

وبطبيعة الحال تتم هذه الإجراءات بعد

صحفي مصري

أن ينتهي المتسولون من أداء مناسك الحج والعمرة، ونأمل بذلك أن تخلو الساحات من زحام هؤلاء وللمحافظة على جمال وبهاء وجلال الجو المحيط بالحرمين الشريفين، ولنجاح هذا الاقتراح مطلوب شيء من الجدية مع قليل من الصبر ولو لفترة معقولة لتأخذ بشكل منظم في تطبيق التعليمات بحزم للقضاء على هذه الظاهرة خلال شهور قليلة لأنها كفيلة بتعقب كل من تسول له نفسه العودة مرة أخرى.

على جميع الأجهزة المختصة التعاون في القضاء عليها لأنها تشوه صورة الإسلام والمسلمين أمام السادة القادمين من أوروبا وأميركا وشرق آسيا ثم لا ننسى السموات المفتوحة التي تمطر العالم بعشرات القنوات الفضائية من كل شكل.

ولا مانع أيضا من زيادة رسوم الحج والعمرة والقادمين للعمل عشرة ريالات سعودية على أن يتم توجيه حصيلة هذه الزيادة خصيصا للقضاء على ظاهرة التسول في مختلف مدن المملكة إلى جانب الحرمين الشريفين.

تنظيم الساحات والأبواب

من أجل تفادي الزحام الشديد الذي يعاني منه ضيوف الرحمن معاناة شديدة ناهيكم عما يحدث من متاعب سواء للرجال أو النساء معا خاصة المسنين من الضروري تخصيص الأبواب المتجاورة والمتقاربة على النحو التالي:

يخصص باب لدخول الرجال فقط وباب آخر لخروجهم.

يخصص باب لدخول النساء وباب آخر لخروجهن.

وباب على فترات متباعدة نسبيا لدخول ذوي الاحتياجات الخاصة وآخر لخروجهم.

لماذا؟

عندما تتأمل سير السيارات في اتجاه واحد ومسافات طويلة على الطرق السريعة ستجد جميع السيارات تسير بسرعة وفي سيولة مرورية معقولة وطبعا الحال يختلف عند وجود تقاطع الطرق واختلاف الاتجاه ستجد بلاشك ارتباكا نسبيا في حركة المرور وبالقياس فإنه عندما يكون ضيوف الرحمن يدخلون من باب واحد في اتجاه واحد سيتحاشى الجميع الزحام والاختناقات وكذلك الحال عند الخروج وتخصيص باب للرجال وآخر للنساء تفاديا لمضايقات ومتاعب لا داعي لها وفيه تخفيف من المعاناة بالنسبة لكبار السن، والأمل أن يتحقق الأمن والأمان.

ومن المفيد كذلك كتابة أسماء الفنادق الكبرى وأرقام هواتفها باللغات المتداولة بالحرمين الشريفين لإرشاد التائهين وسهولة الاتصال بالمشرفين على مجموعاتهم لأخذهم أو معرفة كيفية الوصول لفنادقهم.

أما عن الساحات الواسعة المحيطة بالحرمين الشريفين فقد لوحظ وجود صهاريج مياه للسقيا مصنوعة من الصاج المجلفن وكان ذلك خلال عام ٢٠٠١ ميلادية صحيح أنها تقع خارج الحرم الشريف لتوفير مياه زمزم ولكن من المناسب تركيب صنابير مياه مرتفعة مثل تلك الصنابير التي تم تركيبها في المشاعر المقدسة في كل من منى وعرفات ولا يخفى أن رفع هذه الصهاريج ضرورة لأنها لا تتناسب مع جو الجمال والجلال الذي يغلف هذه البقاع الطاهرة والمقدسة.

وبالنسبة للمتواجدين بجوار دورات المياه الخارجية المحيطة بالحرمين الشريفين من الضروري توفير مكان آخر يقيمون فيه حتى ولو كان بالمجان خلال فترة تواجدهم لأداء مناسك العمرة أو الحج حتى يمكن الإشراف على سفرهم بعد ذلك إلى بلادهم سواء على نفقتهم أو نفقة سفارات بلادهم ثم إن تكثيف عدد رجال الشرطة والحريم كفيل بتحقيق هذه الرغبة المشروعة ولا يخفى ما يضيف هذا إلى سهولة الحركة وانتظام الدخول والخروج عند الصلاة في الحرمين الشريفين وتوفير قدر كبير من التنسيق الجمالي في هذه البقاع الطاهرة.

وللقضاء على ظاهرة افتراش الشوارع للمصلين من باب الكسل وعدم الدخول للحرمين مع أن هناك أدوار عديدة قد تكون خالية في موسم الحج وعمرة شهر رمضان المعظم على رجال الشرطة مراعاة إدخال المصلين أولا بأول لهذه الأدوار.

كل ما نطمع فيه من هذا البحث هو محاولة جادة لإبراز عظمة الدين الإسلامي وجماله على أن يظهر هذا الأثر على جميع أو مظهم الذين يعتنقونه ليكونوا عنوانا جيدا وعظيما لهذا الدين العظيم الذي أكرمنا الله سبحانه وتعالى بأننا من عباده المؤمنين به ولتحقيق ذلك يهون كل جهد وتتضاءل أية تكاليف.

في حوار مفتوح مع الداعية د. مجدي الهلالي:

الحج فرصة الأمة الذهبية نحو الوحدة

حوار: منير أديب

تأتي فريضة الحج كل عام، وحال المسلمين كما هو، حيث يظل التغيير بطيئا في حياتهم، ولم يفلح المسلمون في استثمار هذه الفريضة وما يسبقها من أيام مباركات في تغيير مجرى حياتهم، ولذلك تظل الدعوة إلى الاستفادة من الحج قائمة، طالما بقيت هذه الفريضة، التي تعتبر زادا للمسلمين على مختلف انتماءاتهم وجنسياتهم. حاورنا الداعية د.مجدي الهلالي في كيفية استفادة المسلمين في بقاع العالم من هذه الفريضة.. وإليكم نص الحوار:

● كيف يستفيد المسلمون من الحج فيحققون الهدف من هذه العبادة كأفضل ما يكون، خاصة أنه يمثل التجمع الأكبر في الإسلام؟

- الله عز وجل خلق الإنسان وكرمه غاية التكريم وأسجد الملائكة لأبيه، وأسكنه الأرض وسخرها له ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾ (الجاثية: ١٣) كل هذا لأنه سيقوم بأداء مهمة عظيمة، مهمة عبادته سبحانه بالغيب، فالمطلوب من كل فرد ينزل إلى الأرض أن يعيش حقيقة العبودية لله عز وجل، والعبودية هي كمال الذل مع كمال الحب، بمعنى أن المطلوب منا جميعًا أن نظهر لله عز وجل عظم افتقارنا إليه، وحاجتنا الماسة له، وأنه لا قوة ولا قدرة لنا إلا به، وأننا بدونه لا نساوي شيئًا، فنحن جميعًا قد خلقنا الله من العدم، ﴿...وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٩)، والذي تفضل علينا بالقوة والقدرة والنطق والسمع والإبصار هو الله، أي أن كل أمورنا مستمدة منه ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ (يونس: ٢٢)، فالعبودية

يكون الحج أداة حقيقية للتغيير في المجتمع إذا تمت الاستفادة منه في العودة الصادقة إلى الله

المطلوبة في ذلك الموقف أن يظهر لله هذه الحقيقة.. ذل تام له، وانكسار بين يديه، وطاعة أوامره، وسؤاله حاجاتنا كلها، والاستعانة به- سبحانه- في إنجاح جميع أمورنا فهذه هي حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، وبالمناسبة فقد كانت سورة الفاتحة من أوائل السور التي نزلت في العهد المكي، وقبل فرض العبادات من صلاة وصيام وزكاة، أي أن العبادة في جوهرها هي تحقيق هذه المعاني.

ولقد بيّن القرآن الكريم ذلك الأمر في قوله تعالى ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ...﴾ (الحج: ٣٧)، فليست إراقة دماء الهدي وبقية أعمال الحج هي المقصودة في ذاتها، ولكن المقصود هو تحقيق التقوى والحذر من الله، والتسربل بجلباب العبودية لله.. إذن الاستفادة من الحج تكون أولاً بتذكُّر مقصوده، وأن الله عز وجل يريد منا القلوب المنكسرة، ومثال ذلك يوم عرفة، فالحاج لا يصوم فيه رغم فضيلة صومه، ويجمع فيه صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم.. لماذا؟ ليتفرغ للدعاء والتمسكن لله عز وجل.

فإن غاب هذا المفهوم عن المسلم كانت حركته ببدنه فقط، وكان كل همِّه هو الانتهاء من أعمال الحج وعدم الوقوع في محظوراته، وهو مهم وضروري لصحة الحج، ولكن الأهم تحقيق مقصود الحج، كما أسلفنا، والله المستعان.

● ما الدروس والعبر التي يستفيدها العالم الإسلامي من هذا التجمع السنوي؟ وهل سيكون لذلك أثر على الواقع السياسي لهم؟

- أهم هذه الدروس تعميق الشعور

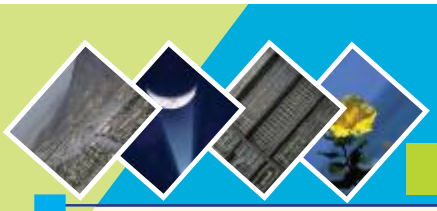

بأننا أمة واحدة، جسد واحد، ربنا واحد، رسولنا ﷺ واحد، كتابنا واحد، قبلتنا واحدة، هدفنا واحد، ألا وهو رضا الله عز وجل ودخول جنته.

هذه المعاني يعرفها الجميع من الناحية النظرية، ويأتي الحج فيؤكدها ويعمقها من الناحية العملية، فيزداد تبعًا لذلك الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة، وتجاه أبنائها ومقدساتها.

أيضًا فإن التعارف الذي ينبغي أن يتم بين المسلمين في الحج له وظيفة كبيرة في تعميق معنى الأخوة الإسلامية وترابط الأمة.

وفي الحج كذلك فرصة عظيمة للدعوة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عند المسلمين، ومن خلال الحج يتأكد من الناحية العملية مفهوم أننا جسد واحد، شئنا أم أبينا، ليتطابق هذا المفهوم مع خطاب الله الدائم بصيغة الجمع ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ فينعكس ذلك على طريقة تعامل المسلم مع الآخرين من المسلمين، فلا يكفي طبقًا لهذا المفهوم أن أكون صالحًا في نفسي فقط، بل لابد من إصلاح من حولي ليصبح الجسد سليمًا.

هذه المعاني وغيرها من شأنها أن يكون لها مردود إيجابي على واقع الأمة، ولعل أبرزها تحقيق مفهوم التكافل بين الأفراد والدول الإسلامية بكل صوره وأشكاله، وتذكر الأقطار المبتلاة، والمقدسات الإسلامية الأسيرة، وبذل الوسع والطاقة من أجل تفريج كرب المكروبين.

● كيف تكون هذه العبادة أداة حقيقية للتغيير في المجتمع؟

- يكون الحج أداة حقيقية للتغيير في المجتمع إذا ما تمت الاستفادة منه في العودة الصادقة إلى الله، والصلح معه، والعمل على استرضائه والتعهد أمامه بالاستقامة على أمره.

إن البلايا والمصائب التي أصابتنا، ولا تزال تصيبنا، تحدث بعلم الله وإنه ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (آل عمران: ١٦٦)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ...﴾ (الأنعام: ١١٢) وهذه المصائب

الدور المنوط بالحجاج فوق عرفات هو أن يستشعروا بأنهم يمثلون الأمة التي طال رقادها

والفتن التي تمر بها المجتمعات الإسلامية ما هي إلا نتيجة طبيعية لمخالفتنا لأوامر الله، وضعف الإيمان في قلوبنا، وإيثار الدنيا على الآخرة، فحق علينا العقاب لعلنا نفيق وننتبه.

ونقطة البداية الصحيحة تتمثل في ظهور نماذج إيمانية مشعة تدل على الله بحالها قبل مقالها، وتسعى في كل مكان تحل فيه لإيقاظ الغافلين، وإنقاذ الغارقين، وإرشاد التائهين.

فإذا ما تم ذلك، وتحسنت صلة الناس بربهم، فإن المفاهيم ستتغير، ومنظومة القيم والأخلاق ستعود أفضل مما كانت، وسيبحث الجميع عما يرضي الله عز وجل فيفعلوه، وعما يغضبه فيجتنبوه.

● كيف يمكن لنا قراءة الواقع الإسلامي ومناقشة قضايا المسلمين من خلال هذه الفريضة؟

- لو نظرنا إلى عبادة الحج في وقتنا الراهن، وما يحدث فيها فإننا نستطيع قراءة الواقع الإسلامي، فالحج يعكس واقعنا بحلوه ومره، يعكس عاطفة جياشة تجاه الدين، وحرصًا على إرضاء الله عز وجل ويعكس كذلك حالة الفرقة والاختلاف التي تعيشها الأمة، وحالة الجهل، وغياب الفهم الصحيح للإسلام عن الكثير من أبنائها، وغياب فقه الأولويات والمقاصد، ويعكس الانفصام بين العلم والعمل، والواجب والواقع، والقول والفعل، ويعكس كذلك الاهتمام الذي توليه الأمة للشكل دون المضمون، ويعكس أيضًا حاجة المسلمين إلى مشروع حضاري يجمع شملهم ويوحدهم، ويخرجهم من تيههم.

● للحاج فوق عرفات دور، ولباقي المسلمين دور آخر، كيف ترى التوازن بين تلك الأدوار فيما يخدم الفكرة الإسلامية ومشروع الأمة الحضاري؟

- رب المسلمين في عرفات كمكان هو رب المسلمين في كل مكان، وأعظم فوز للمسلم في الدنيا أن يجد الله، فكما يقول ابن عطاء: ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك.

وكم من أناس في النجوع والكفور من الفقراء والمساكين قد وجدوا حلاوة الإيمان، ولذة القرب والوصال.

وكم من أناس ذهبوا للحج مرات ومرات ولم يشعروا بمثل هذه الحلاوة، ولم يجدوا قلوبهم مع ربهم.

أما بخصوص الدور المنوط بالحجاج فوق عرفات فعليهم أن يستشعروا بأنهم يمثلون الأمة التي طال رقادها، وأصبحت معرة الأمم، ومضرب الأمثال في التخلف والضياع، إنهم سفراء في تلك البقاع الطاهرة فعليهم أن يحسنوا توصيل الرسالة، فيجأروا إلى الله ويتضرعوا إليه، ويستغيثوا له استغاثة المشرف على الغرق، عليهم أن يمرغوا وجوههم في التراب، فيختلط دمعهم فيرى الله ذلك منهم فيرحمهم ويرحمنا جميعًا، عليهم ألا يشغلوا أنفسهم في يوم عرفات بغير الدعاء، ويكفيك في هذا أن رسول الله ﷺ سقط منه رداؤه في يوم عرفات وهو يدعو فلم يرفعه لاستغراقه التام في الدعاء.

أما باقي المسلمين وهم الأغلبية فعليهم كذلك أن يعيشوا مع هذه المعاني، ويكثروا من الدعاء والتضرع وإظهار عظيم حاجتهم لله عز وجل، وأن يعيشوا مع قول الله عز وجل ﴿...وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧٣).

ففي الله عوض كل فائت، فإن كانوا لم يتمكنوا من الحج إلى بيت الله، فبالإمكان تعويض ذلك وأكثر من خلال المعرفة الصحيحة لله جل وعلا، والتي تورث في القلب حبه ومهابته وخشيته سبحانه مما يعين على الاستقامة والصلاح، وهذا متاح للجميع في كل زمان ومكان شريطة الصدق في الرغبة.

فضائل الحج والعمرة.. وكيفية أداء الرسول ﷺ لمناسكهما

د. بليغ حمدي إسماعيل

قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧). وقال رسول الله ﷺ: «خذوا عني مناسككم». الحج هو الفريضة الخامسة في الإسلام، فرض على المسلمين مرة واحدة في العمر، ومن أنكره يعد كافرًا؛ لأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وله واجبات أركان وهي الفرائض، لا تجبر بالدم، فمن ترك واحدًا منها أعاد حجه(١) وواجبات ليست بأركان تجبر بالدم(٢)، وسنن ومستحبات يستحسن فعلها ولا يجب شيء على من تركها(٣).

الحج من العبادات التي تقوي الإيمان بالله، وتجعل الروابط بين العبد وخالقه متينة ومتواصلة، وتخلق الألفة والمحبة بين المسلمين، وتجلب النفع لهم، حيث يلتقون في أمكنة واحدة وفي أيام معلومة، يؤدون جميعًا المناسك بخشوع وطاعة لله سبحانه وتعالى الذي لا يعبد سواه.

والدعوة للاجتماع في هذا المكان الطاهر هي من أجل تحقيق الهدف السامي والغاية المثلى التي أراد الله أن يجعلها سمة مميزة لهذه الأمة، وهي الخيرية والتآزر والوحدة القوية التي تجعلهم أعز الناس في هذه الأرض ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾(آل عمران: ١٠٣)، ولا تتحقق هذه الوحدة إلا بالتعارف واللقاء والتعاون، وتبادل المنافع والمصالح التي تصلح دينهم ومعاشهم ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ (الحج: ٢٧-٢٨).

هذه المنافع الدينية والدنيوية تهذب النفوس وتملأها بالتقوى والإيمان وهي بين يدي الخالق، عز وجل، في خشوع وتذلل وطلب للمغفرة والتوبة، كما أن التفكير في منافع الدنيا يزيدهم قوة في الثبات والتعاون لمواجهة الأعداء والطامعين في أرضهم وخيراتهم، ويشعرهم بأنهم أمة واحدة، ولهم رسالة واحدة يعيشون لأجل تحقيقها وهي هداية الناس لهذا النور الذي جاء به الرسول الأمين ﷺ لينقذ الناس جميعا من ضلال الكفر والشرك.

التفكير في وحدة الأمة وقوتها هي الرسالة التي أراد الإسلام تحقيقها لهذه الأمة

وكل مسلم أنعم الله عليه ووفقه لأداء هذه العبادة ينبغي أن يفكر وهو ذاهب إلى هذا المكان الطاهر فيما سيفيد به أمته في دينها وأمنها واستقرارها، وبهذا التفكير يزول الشعور الضيق بالانتماء للقبيلة والعشيرة والوطن مهما بعدت الديار، ليصبح التفكير الذي يملأ قلب كل مسلم هو وحدة الأمة وقوتها ومنعتها، وهذه هي الرسالة التي أراد الإسلام تحقيقها لأمة الإسلام التي كانت قبل بزوغ هذا النور الإلهي ممزقة ومقطعة الأوصال بالحروب والثأر والأحقاد، فأنقذها الله من شفا حفرة من النار، وأصبحت أمة قوية تبسط سلطانها في الأرض بالعدل والإحسان.

إن التفكير فيما يصلح دين هذه الأمة وأخلاقها وسلوكها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية هو المسؤولية التي يتحملها كل مسلم أينما وجد في هذه الأرض الشاسعة الأطراف.

وتلك هي الرسالة التي أداها رسولنا الكريم ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريره، وبجهاده وصبره وثباته حتى لقي الله، وآزره فيها أصحابه، رضوان الله عليهم، في كل المواقف والشدائد، وقد اتخذ ﷺ موسم الحج- حيث يجتمع المسلمون من كل فج عميق- مكانًا لتثبيت عقيدتهم بالوعظ والإرشاد والتوجيه إلى الطريق السوي الذي ينبغي أن يسيروا فيه بثبات، آمنين من العثرات والزلل، وذلك بتذكيرهم بتعاليم دينهم في العبادة والسلوك والمعاملات، فكانت حجة الوداع أو حجة التبليغ مبينة للمناسك، كما كانت خطبتها جامعة لتعاليم الإسلام ولما ينبغي أن يتمسك به المسلم حتى يلقى ربه راضيًا مرضيًا، وهذه الخطبة تعد أنموذجًا للخطب البليغة المحكمة التي ينبغي أن يجعلها كل واعظ ومرشد وداع إلى الله نموذجًا له في الوعظ والتوجيه، لأنها استوحت التوجيهات من تعاليم الكتاب العزيز، ومما حرص رسولنا ﷺ على إثباته وترسيخه في عقول المسلمين وقلوبهم طيلة سنوات دعوته وجهاده في

أستاذ اللغة العربية

سبيل الله، فدعوته ﷺ المسلمين لتحريم دمائهم، وعدم أكل أموالهم بالباطل «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا»(٤)، هو ما حرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا؛ لكي تظل هذه الأمة موحدة وقوية وعزيزة وعصية على كل ظالم وجبار، ومن هذا التوجه الإسلامي الذي يجعل المسلمين متماسكين دعاهم ﷺ للحفاظ على الأمانة، لأن في ذلك مزيدًا من الثقة المتبادلة بينهم في التجارة والمعاملات، وحسن الجوار، فقال ﷺ: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها»(٥)، وأظهر ﷺ حقوق الزوجين وواجباتهما لكي تسير الأسرة المسلمة، وهي نواة المجتمع، على هدى من الله وتقواه في تربية الأبناء على النهج الإسلامي، فأوصى بالمرأة «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله»(٦).

بمثل هذا التوجيه الذي يصلح المجتمع، ويقوي وحدة الأفراد ويجمعهم على الخير والاستقامة يكون توجيه المسلمين بعضهم بعضًا في كل محفل ضمهم، وفي كل موطن التقوا فيه.

وموسم الحج هو الموسم الديني الأكبر الذي يجمع المسلمين من كل جهة ومكان من أجل التناصح وتبادل الرأي، فلو أنفقوا كنوز الأرض من أجل أن يجتمعوا في غير هذا الموسم لما تحقق لهم ذلك، وهذه بعض نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على هذه الأمة التي أراد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

الغاية من الحج والعمرة؟

المناسك التي يؤديها الحاج والمعتمر في البيت العتيق والأماكن الطاهرة المحيطة به هي أعمال يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، مثل العبادات التي يقوم بها في حياته اليومية، ولا ينبغي للمسلم أن ينظر لتلك المناسك من جهة التفكير المنطقي الضيق الذي يقيس به أموره وفق مصالحه الدنيوية، والمنافع الآنية التي يسعى إليها، إن العبادات بأعمالها وحركاتها وأقوالها شرعت لغايات أبعد مما يدركه العقل البشري، لأن هذا العقل قد يدرك بعض مقاصد الشريعة وغاياتها ولاسيما التي جلبت له المصالح، ودفعت عنه الأضرار، وكل من يستعمل عقله السليم يدرك ايجابيات تلك المصالح ومساوئ تلك الأضرار بعد الفحص والتأمل في غايات العبادات ومقاصد الشريعة، وذلك النظر في مزايا الأوامر مثل الصلاة والصيام والصدقات، وفي النواهي مثل تحريم الخمر والقمار والربا وكل الفواحش التي نهى عنها الشرع، فاستعمال العقل السليم يجعل الإنسان يتوصل إلى الحكمة من وراء تلك الأوامر والنواهي، لكن مقاصد الشريعة وفضائلها كلها، ما ظهر منها وما خفي، لا يحيط بها العقل الإنساني القاصر، فهو محدود في استنتاجه وقياسه وتأويله للأشياء الظاهرة، فبالأحرى الخفية التي غابت عنه.

إن الغاية المثلى من مقاصد الشريعة وأحكامها هي من علم الله الخبير بالنفس الإنسانية وبأسرار هذا الكون، فقد تبدو الأشياء ضارة لأول وهلة وهي أكثر نفعًا، والعكس صحيح، ولو استعمل الإنسان عقله بميزان الحساب المادي والنفعي في العبادات كلها وفي عبادة الحج خاصة التي يتحمل من أجلها مشاق الرحلة وأخطار الطريق والبعد عن الأهل والوطن لما وجد ما يقنعه بالمنطق العقلي في الأسباب التي تجعله يتحمل كل ذلك من أجل أداء تلك المناسك، لكنه لو أسلم وجدانه ومشاعره وقلبه لله سبحانه وتعالى لأدرك بنور قلبه وصفاء بصيرته أن تلك المناسك هي تطهير للقلوب والنفوس من الأدران التي تراكمت عليها، ومن كل ما يتكالب عليه الناس من حطام هذه الحياة الدنيا التي لا تساوي جناح بعوضة مقارنة بما أعده الله من نعيم خالد جزاء الاستجابة لأوامره وطاعته فيما نهى عنه، فكل كنوز الدنيا لا تساوي شيئًا أمام طمأنينة قلبه وسكينة روحه وهو واقف في تلك الأماكن الطاهرة بخشوع وضراعة أمام خالقه الذي صوره في أحسن صورة، ورزقه من الطيبات، ووهبه العقل والإحساس والقوة لكي يستجيب لنداء ربه ويصل إلى هذا المكان الذي يشهد فيه الطهر والسكينة الروحية التي لا يدركها إلا من أسلم قلبه لله وهو مؤمن، فيستشعر الإيمان الصادق الذي ملأ قلوب المسلمين الأوائل الذين

استجابوا لله والرسول في كل ما دعاهم إليه، حتى وصل هذا الدين إلى كل بقعة في الأرض، فلولا إيمان تلك الفئة القوي وتضحياتهم الجسام وصبرهم مع الرسول ﷺ، لما كان المسلمون واقفين في هذا المكان المقدس يناجون خالقهم ويسألونه المغفرة والثواب.

إن المسلم حينما يطوف بالبيت العتيق سبعة أشواط، بالطريقة التي طاف بها المصطفى ﷺ، ويسعى بين الصفا والمروة ويقف بعرفات إلى أن يتحقق غروب الشمس داعيًا ربه ومتضرعا إليه، ويرمي الجمار، ويمتثل بترك المحظورات، بألا يزيل شعره وأظافره ولا يجامع زوجه وهو محرم.. كل هذه الأمور موكول أمرها ومقصدها إلى الله الذي هو عالم بمصالح العباد، وبما يتقبل منهم من عبادات وطاعات في هذه الأماكن الطاهرة، إن المسلم ينبغي أن يلتزم العمل بتلك المناسك كما أمره الله بها، وكما بينها رسول الله ﷺ ، لأنه ﷺ أعلم بمقاصد الشريعة وبما أراد الله لهذه الأمة من صلاح وفلاح في العبادات والأعمال والسلوك والأقوال، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال: ٢٩)، وكل العبادات هي دعوة للحياة الطيبة الآمنة.

أما وجوب عبادة الحج من الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧)، إن العربي البليغ الفصيح يعلم أنه إذا قال: علي فعل كذا، فقد أوجب فعل ذلك الشيء على نفسه، فيكون الحج واجبًا على المسلم من دلالة هذا المعنى في الآية الكريمة. ومن السنة قول رسول الله ﷺ: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا»، فجعل الحج فرضا مثل الصلاة والزكاة، وأوجب على المسلمين الحج.

والقيام بهذه الفريضة مع العمرة يطلب فيهما من المسلم أداؤها على وجهها الصحيح الذي بينه الرسول ﷺ لقوله: «خذوا عني مناسككم»، وهذه العبادة مثل سائر العبادات ينبغي أن تكون خالصة لله في العمل والقول والسعي منذ أن ينوي المسلم الذهاب إلى الحج إلى عودته لبلده لقوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ (البقرة: ٤٥)، أي ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله، وإذا كانت الآية السابقة دلت على معنى وجوب الحج، فإن اقتران الحج بالعمرة في هذه الآية الكريمة لا دليل فيه على وجوب العمرة، وإنما الاقتران هنا جاء لبيان إتمام المناسك، وقد قيل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا، ولكن أن تعتمر خير لك»، وقال أيضًا: «الحج جهاد، والعمرة تطوع».

وهذه العبادة راعى فيها الإسلام كل الأمور التي يطيقها المسلم من الجانب المادي والمعنوي والنفسي، فالمريض والشيخ والعاجز والفقير ومن لا يطيق متاعب الرحلة، أو يخشى أن يترك وراءه ذرية ضعافا يتعرضون من بعده للهلاك، كل هؤلاء غير مطالبين بأداء هذه العبادة حتى تزول تلك العوائق والأسباب، وهذا تيسير من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة التي أراد لها اليسر في العبادات وفي كل ما تمارسه في حياتها العملية، ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن الشيخ والمريض يمكن أن يؤدي الحج عنه غيره، قالت امرأة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ فقال: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى».

ومن يسر هذه العبادة أن المسلم إذا لم تكن له القدرة على القيام بنفسه ببعض المناسك فإنه ينيب عنه من يستطيع القيام بها كرمي الجمرات، أو حمله في محفة في الطواف والسعي لعدم قدرته على المشي، والتيسير ليس مقصورًا على عبادة الحج وإنما يشمل كل العبادات والمعاملات، لأن الغاية من مقاصد الشريعة هي الطاعة والامتثال لله بالقدر الذي يستطيع المسلم فعلهما، كما أن الله يسر على هذه الأمة في أن تكون عبادة الحج ذات منافع دنيوية في الكسب الحلال، فبعد أن يتم المسلم مناسكه الخالصة لله، أباح له الشرع أن يقضي أموره التي تعينه على قضاء حاجاته

بالتجارة وغيرها، قال تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ (البقرة: ١٥٨)، وهذا من التيسير أيضا، فلا يحرم المسلم من المنافع التي تصلح أحوال معيشته، والعرب كانوا يفعلون ذلك قبل مجيء الإسلام، حيث كانوا يقصدون الحج لقضاء الحوائج وحضور الأسواق، لكنهم لم يكونوا يؤدون المناسك خالصة لله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ لتكون هذه العبادة وسائر العبادات خالصة لوجه الله، بل أظهر الله سبحانه وتعالى أنهم لم يكونوا يؤدون المناسك على وجهها الصحيح، قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ (الأنفال: ٣٥)، ومناسك الحج التي كان يقوم بها الأعراب قبل مجيء الإسلام قد وقع فيها تغيير مما لا علاقة له بسنة إبراهيم ﷺ: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا﴾ (البقرة: ١٢٦)، ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (البقرة: ١٢٤).

والإسلام جاء على ملة إبراهيم حنيفًا ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (البقرة: ١٣٤)، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الأمة على الملة الحنيفية في توحيدها وعبادتها ومناسكها، والرسول ﷺ هو الذي تكفل ببيان المناسك كما سنها أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ، وهي لم توضح كلها في الكتاب. فكيف أدى رسول الله ﷺ مناسك الحج والعمرة؟

لقد بين الرسول ﷺ للمسلمين أن فريضة الحج ليست مقصورة على العام الذي حج فيه المسلمون بل هي للأبد، قال له أصحابه: «يا رسول الله: أحجنا هذا لعامنا هذا أو للأبد؟ فقال: بل لأبد الأبد»(٧).

المناسك هي مايقوم به الحاج والمعتمر من عبادات وطاعات بالقول والفعل أثناء أداء الفريضة

في بيان أن حجة واحدة تجزئ

إذا كان الكتاب العزيز لم يوضح عدد المرات التي يجب فيها على المسلم الحج فإن السنة الشريفة وضحت ذلك حتى لا يبقى لبس، فقد جاء في خطبة حجة الوداع: «إن الله كتب عليكم الحج، قيل له: أوفي كل عام؟ فقال: أما إني لو قلت: نعم، لوجبت، ولو تركتكم لضللتم، اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

هذه الإشارة من الرسول الكريم ﷺ من أجل بيان التخفيف الذي جاءت به هذه الشريعة السمحاء، لأن في الحج متاعب في الطريق وفي البعد عن الأهل، فلذلك قال لهم الرسول الكريم ﷺ: «اسكتوا عني ما سكت عنكم».

في بيان ثواب الحج

الحج من العبادات التي ينال بها المسلم ثوابا عظيمًا عند الله إذا تجنب ما يفسد حجه، قال عز من قائل: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (البقرة: ١٩٦).

وقد بين رسول الله ﷺ الوسائل التي ينبغي أن يتجنبها الحاج لكي لا يفسد حجه، فقال ﷺ: «لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب»(٩).

كما أوضح ﷺ معنى الفسوق، فقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(١٠).

إن تجنب المسلم كل ما يفسد حجه، وحرصه على أداء هذه العبادة خالصة لوجه الله يكون جزاؤه عليها عظيمًا ألا وهي جنة الخلد التي وعد الله بها المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١١).

فإذا حافظ المسلم على واجباته الدينية من عبادات وطاعات وفعل الخير، ثم حج حجًا مبرورًا فإنه يعود إلى ربه طاهرًا نقيًا كما ولدته أمه، قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(١٢).

هذه هي فضيلة الحج المبرور، كما بينها رسول الله ﷺ، وبقدر ما يحرص المسلم على أدائها بأركانها وواجباتها مع الابتعاد عن كل المفسدات يقبل منه الله سبحانه وتعالى هذه العبادة التي هي في جوهرها تكفير عن الذنوب، وتطهير للنفوس، والعودة إلى الله بقلب سليم.

مناسك الحج والعمرة كما بينها رسول الله ﷺ

المناسك هي ما يقوم به الحاج والمعتمر من عبادات وطاعات بالقول والفعل أثناء أدائه فريضة الحج أو العمرة، والرسول ﷺ هو الذي تكفل ببيان هذه المناسك لأنها لم تذكر في القرآن بتفصيل، فقال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، والكثير من العبادات بينها الرسول ﷺ لأن كتاب الله اكتفى بذكرها مجملة، فكانت السنة الشريفة متممة لما جاء في كتاب الله من أحكام وشرائع وقوانين، والإيمان لا يكتمل إلا بالاعتقاد بالكتاب والسنة، والمسلم يرد كل أمر إلى هذين المصدرين: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٨). والمناسك كما أداها الرسول ﷺ هي:

الإحرام(١٣)

وهي النية بالدخول في أحد النسكين، الحج أو العمرة، وله زمن محدد في الحج، حيث يبدأ من أول شهر شوال إلى طلوع

الفجر من يوم النحر، أما العمرة فتكون في جميع أوقات السنة، وميقات الحجاج حدده رسول الله ﷺ، فسكان المدينة المنورة ومن مر بها من غير أهلها يحرمون من رابغ وهو من أعمال الجحفة، وقرن ميقات لأهل نجد، وذات عرق ميقات لأهل العراق، ويلملم ميقات لأهل اليمن، ومن كان بمكة المشرفة سواء كان من أهلها أو مقيمًا بها فإن إحرامه بالحج يكون من الحل وهو التنعيم، والإحرام قبل المكان الميقاتي مكروه ويلزمه الهدي، فلذلك ينبغي التزام الحاج والمعتمر بالإحرام من الميقات المحدد له، وحينما دخل رسول الله ﷺ في الإحرام اغتسل وصلى ركعتين، فأصبح الاغتسال وصلاة ركعتين سنة اقتداء بما فعله ﷺ، ثم النطق بعبارة «لبيك اللهم عمرة»، ثم أخذ رسول الله ﷺ بعد الدخول في نسك الإحرام يردد لفظ التلبية وهو «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، وقد ثبت عنه ﷺ أنه ردد التلبية حتى وصل إلى مكة المكرمة فطاف ثم عاود التلبية حتى وصل إلى مصلى عرفة، ثم لبى حتى رمى جمرة العقبة.

الطواف

قال الله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ (الحج: ١٧)، والطواف منه ما هو ركن لا يجبر بالدم، وهو طواف الإفاضة، ومنه ما ليس بركن وهو طواف القدوم، وطواف الوداع مستحب ولا شيء على من تركه، وفي طواف القدوم يستحب- كما فعل الرسول ﷺ- الاغتسال، وهو اغتسال لأجل الطواف، والحائض والنفساء لا تغتسل لأنها لا تطوف، والطواف سبعة أشواط لا يفرق بينها الحاج والمعتمر، فيجعل البيت عن يساره، وإذا وصل إلى الركن اليماني، وهو الركن الذي قبل الحجر الأسود، لمسه بيده ووضعها على فيه من غير تقبيل وكبر، فإن لم يقدر كبر ومضى، وأما الركنان الشاميان، وهما اللذان يليان الحجر الأسود، فلا يقبلهما ولا يستلمهما، فإذا دار بالبيت حتى وصل الحجر الأسود فذاك شوط، ويستحب للرجل أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى، والرمل فوق المشي ودون الجري، وقد بين الرسول ﷺ كيفية الطواف في عمرة القضاء، وكانت سنة سبع للهجرة، وتسمى عمرة القصاص أيضا، لأن الرسول اقتص من قريش الذين منعوه من دخول مكة سنة ست للهجرة، وفي هذه العمرة أنزل الله تعالى قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا﴾ (الفتح: ٢٧)، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه حينما دخل المسجد اضطبع بردائه(١٤)، وأخرج عضده اليمنى ثم استلم الركن، وخرج وهرول، وأصحابه معه يهرولون، حتى إذا واراه البيت استلم الركن اليماني ثم مشى فاستلم الركن الأسود، وهرول ثلاثة أطواف، ومشى سائرها، فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حج حجة الوداع لزمها فمضت السنة بها(١٥).

وبعد أن انتهى ﷺ من الطواف مشى إلى مقام إبراهيم ﷺ، وقرأ قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة: ١٢٥)، ثم صلى فيه ركعتين، عن جابر بن عبدالله قال: «إن رسول الله ﷺ استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾».

ويستفاد من هذا أن الصلاة تكون بعد الطواف، ولهذا فإن من ترك ركعتي طواف القدوم والإفاضة لغير نسيان وبعد عن مكة فإنه يلزمه الهدي، أما طواف الإفاضة وهو ركن في فريضة الحج فيكون بعد رمي جمرة العقبة حيث يقصد الحاج مكة فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة إن لم يكن قد سعى من قبل، وهو سبعة أشواط مثل طواف القدوم.

المرأة الحائض والنفساء لا تطوف

إن المرأة الحائض والنفساء تقضي كل ما يقضيه الحاج من مناسك الحج والعمرة إلا الطواف فإنها لا تطوف حتى تغتسل، لكون الطواف مثل الصلاة إلا أنه يجوز فيه الكلام، وفي حجة الوداع خرجت عائشة- رضي الله عنها- مع رسول الله

ﷺ لأداء فريضة الحج، فقالت: «وحضت ذلك اليوم (١٦)، فدخل علي وأنا أبكي، فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك نفست، قالت: قلت: نعم، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر، فقال: لا تقولين ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت (١٧)».

فأدت عائشة- رضي الله عنها- المناسك كلها باستثناء الطواف، وحينما اغتسلت أحرمت من مكان الإحرام، قالت رضي الله عنها: «حتى إذا كانت ليلة الحصبة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبدالرحمن بن أبي بكر، فأعمرني من التنعيم، مكان عمرتي التي فاتتني(١٨)».

الوقوف بعرفة

الوقوف بعرفة ركن أساسي في الحج، لا يجبر بالدم، فمن لم يدركه فقد فاته الحج، فقال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة، من أدرك الوقوف قبل طلوع الفجر فقد أدرك»(١٩)، وقال الله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة: ١٩٨)، والإفاضة هي السير عند الدفع من عرفات، وكانت قريش في الجاهلية تقف عند المشعر الحرام، فلما حج النبي ﷺ توجه يوم التروية- وهو اليوم الثامن من ذي الحجة- إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، فلما طلعت الشمس أمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة، ثم سار، ولا تشك قريش أنه واقف في المشعر الحرام على عادتها، فجازه ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت فنزل بها.

أما وقت الإفاضة فقد بينه رسول الله ﷺ عمليا، إذ ثبت انه وقف حتى غربت الشمس قليلًا، وذهبت الصفرة، وغاب القرص.

في بيان المواقف في المناسك

كما بين ﷺ مكان الوقوف بعرفة وبالمناسك الأخرى وهي المزدلفة ومنى.

قال ابن إسحق: وحدثني عبدالله بن أبي نجيح «أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة قال: هذا الموقف، للجبل الذي وقف عليه، وكل عرفة موقف، وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة، هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف، ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا المنحر، وكل منى منحر»(٢٠).

وفي حديث آخر قال ﷺ: «عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة- بضم العين وتسكين الراء- ومزدلفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن محسر- بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة- ومنى كلها منحر، وفجاج مكة كلها منحر»(٢١).

هذا بيان وتوضيح للمواقف التي ينبغي أن يقف فيها الحاج أثناء أداء مناسكه، وثبت أنه ﷺ أخذه وقت المغرب بعرفة فأخره إلى المزدلفة حيث المشعر، فقال له أسامة: الصلاة، فقال ﷺ: «الصلاة أمامك»(٢٢).

وقال الله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ (البقرة: ٣٩).

قال المفسرون: إنها إشارة إلى أن الصلاة تؤخر إلى المشعر الحرام، وقد ثبت أن النبي ﷺ وقف بعرفة حتى غابت الشمس، ثم دفع فأتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، ودعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفًا حتى أسفر جدا، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس.

الهدي

الهدي هو ما يذبحه الحاج من إبل أو بقر أو غنم تقربًا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ (البقرة: ١٩٩)، والآية لم تبين نوع الهدي، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه «أهدى عن نفسه وعن أصحابه البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة»(٢٣)، وقال مالك رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فما استيسر من الهدي﴾ هو شاة أو بدنة، لأن الهدي يطلق على ذلك، وقالت عائشة رضي الله عنها: إنما هو البدنة، لأن

زيارة المدينة المنورة تشعر المسلم بمرحلة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية

الهدي لا يطلق إلا على غيرها، وقال ابن عباس: هو الاشتراك في دم، لأنه ﷺ نحر عام الحديبية البدنة عن سبعة(٢٤).

ويجوز الاشتراك في الهدي، فقد ثبت عنه ﷺ أنه أشرك علي بن أبي طالب معه في الهدي حينما أهل بالحج بعد عودته من اليمن ولم يكن معه هدي، فثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما(٢٥)، والمتمتع بالعمرة إلى وقت الحج يذبح لأجل المتعة هديًا يوم النحر، قال تعالى: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وإذا لم يكن في مقدوره شراء الهدي فيصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده كما بينت الآية ذلك بوضوح.

والفدية هي ما يقدمه الحاج من هدي أو إطعام مساكين أو صيام كفارة لما قام به من محظورات الحج، وذلك إذا أزال شعره وهو محرم قال تعالى: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (البقرة: ١٩٥)، أو تعرض للحيوان البري الذي يحرم صيده قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا ليذوق وبال أمره﴾ (المائدة: ٩٧)، أو قام بأحد المحظورات وهو محرم مثل لبس المخيط والتطيب وقتل القمل والاغتسال وقطع الأظافر ودهن اللحية والرأس.

طواف الوداع

وهو مستحب ولا يجب شيء على من تركه، وكأن الحاج يجعله آخر عهده بالبيت الحرام ولاسيما للأفاقي الذي قد لا يتيسر له زيارة هذا المكان المقدس في المستقبل، ولذلك ينبغي له الإكثار من الطواف والدعاء في فترة وجوده في البيت العتيق.

زيارة قبر الرسول ﷺ

هذه الزيارة ليست من أركان الحج ولا من واجباته لكنها مستحبة وآكدة، وذلك أن المسلم الذي يؤدي عبادة الحج الخاصة لله ويتمها بكل أركانها وواجباتها يجب عليه، اعترافًا بالجميل، أن يزور قبر الرسول ﷺ، وقبور أصحابه الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الإسلام، فبفضلهم يتمتع المسلمون الآن بنعمة الإسلام ونوره، وزيارة قبر الرسول ﷺ وأصحابه، رضوان الله عليهم، ينبغي أن تتسم بآداب وأخلاق الزيارة وهي الاعتراف لهم بالجميل والفضل على ما بذلوه من تضحيات في سبيل إعلاء كلمة الله والثبات على الحق حتى لقوا الله راضين مرضيين، وأن يدعوا لهم بالدعاء الصالح.

وزيارة المدينة المنورة والوقوف على مآثرها التاريخية تشعر المسلم بمرحلة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية حيث حقق المسلمون انتصارًا باهرًا على المشركين ومن تحالف معهم، وأسسوا الدولة الإسلامية التي قامت على العدل والمساواة.

نسأل الله أن يمتع كل مسلم بأداء هذه الفريضة، وبزيارة قبر الرسول ﷺ الذي جاءنا بهذا النور الذي ننعم به.

الهوامش

١- أركان الحج التي يجب فعلها أربعة وهي: الإحرام والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة ليلة عيد الأضحى وطواف الإفاضة.
٢- والواجبات التي ليست بأركان وتجبر بالدم منها: مجاوزة الإحرام من ميقاته، ترك التلبية بالكلية أو تركها أول الإحرام حتى الطواف، أو فعلها في أول الإحرام ثم تركها في بقيته، وطواف القدوم إذا تركه الحاج عمدًا، أما إذا خاف فوات الوقوف فلا يجب عليه طواف ولا يجب عليه هدي، وعدم وصل طواف القدوم بالسعي بين الصفا والمروة، وترك المشي في الطواف والسعي لغير ضرورة، وترك ركعتي الطواف الواجب عمدا، وعدم النزول بالمزدلفة بعد الرجوع من عرفة، وترك المبيت بمنى لرمي الجمار، ولبس المخيط لغير عذر، وهو خاص بالرجال، وعدم الحلق أو التقصير، وترك رمي الجمار.
٣-والمستحبات لا شيء على من تركها، لكن يستحب للحاج أن يقوم بها إن أمكن اتباعًا للسنة، وذلك كالغسل للإحرام، وتقبيل الحجر الأسود، وطواف الوداع، والدعاء في الطواف والسعي بين الصفا والمروة، والمشي دون الركوب في الطواف، ولمس الركن اليماني، والرمل في الطواف للرجال في الأشواط الثلاثة الأولى، والإسراع بين الجبلين الأخضرين، والخروج من منى إلى عرفة بعد طلوع الشمس، والمبيت بالمزدلفة مع إحيائها بالصلاة والذكر، والإكثار من الطواف والدعاء.
٤- السيرة ٤/٢٤٨.
٥- المصدر نفسه.
٦- المصدر نفسه، العوان: الأسيرات، ويقصد أنهن لا يملكن قوة.
٧- حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي.
٨- سورة البقرة آية ١٩٦: الرفث: كل ما يذكر في موضوع النساء من جماع وغيره، والفسوق: هو جميع المعاصي.
٩- رواه الجماعة إلا البخاري.
١٠- رواه الجماعة.
١١- أخرجه الطبري.
١٢- رواه الجماعة.
١٣- وهو من أركان الحج التي لا تجبر بالدم.
١٤-اضطبع بردائه، أي ادخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
١٥- السيرة ٤/١٣-١٢ والهرولة: فوق المشي ودون الجري.
١٦- أي في اليوم الذي أمر رسول الله ﷺ الناس أن يحرموا من موضع سرف.
١٧- السيرة: ٤/٢٤٨.
١٨- السيرة: ٤/٢٤٩.
١٩- رواه ابن عباس.
٢٠- السيرة: ٤/٢٥٣ قزح، بضم ففتح: جبل المزدلفة.
٢١- رواه أحمد وابن ماجة.
٢٢- رواه كل الأئمة إلا الترمذي.
٢٣- حديث رواه الجماعة إلا داود.
٢٤- الأحكام الصغرى: ١/٣١.
٢٥- السيرة: ٤/٢٤٩.

استغاثة عاجلة من اتحاد الأطباء العرب في الصومال

التحرير

قاربت أزمة مجاعة الصومال على دخول شهرها الثالث، ورغم التبرعات التي وصلت من جميع دول العالم العربي والإسلامي فإن رجال الإغاثة في معاناة شديدة مع استمرار حالات الوفيات، بل تزايدها، ووجود بعض المشكلات والعوائق الميدانية واللوجستية. تواصلنا مع د.محمد الحفناوي مدير وفد اتحاد الأطباء العرب الإغاثي وكان معه هذا الحوار:

● يتساءل العديد من المتبرعين.. رغم تدفق المعونات إلى الصومال لماذا تكثر حالات الوفيات؟

■ لأن الوفاة تحدث نتيجة عدة أسباب منها الوضع الصحي وتلوث المياه والأمراض المعدية، فالوضع الصحي هو الأسوء في جميع المجالات، فلا كوادر طبية ولا أجهزة ولا معدات ولا أدوية، ونحن نعمل بكل جهدنا لتحسين كل تلك المجالات، كما تحدث حالات وفيات كثيرة في صفوف النازحين خلال عمليات السير على الأقدام لمسافات تصل إلى ٧٠٠ كيلو متر للوصول إلى جهات المعونات الإغاثية، في حين انه من المفروض أن تنتشر الهيئات الإغاثية في كل أنحاء الصومال لتصل لهم قبل النزوح وقبل أن تبدأ رحلة اللجوء أو النزوح القاتلة.

● ولماذا ترتفع حالات الوفيات بين الأطفال على وجه الدقة؟

■ الطفل لا يتحمل أيًا من مسببات الموت السابقة سواء المشي لمسافات طويلة أو سوء التغذية، فالكبار يستطيعون أكل أي شيء حتى أوراق الشجر على عكس الصغار، فتكون وفياتها أكبر، بالإضافة إلى أمراض الأطفال القاتلة والمنتشرة، ومنها ما هو بسيط لكنه يؤدي إلى الموت، فمثلا حالات الإسهال العادية في الصومال تتسبب بمقتل كثير من الأطفال لسوء الوضع الصحي بشكل رهيب.

● إذن أين دور اتحاد الأطباء العرب في إرسال الكوادر والمعدات الطبية؟

■ عندما نتحدث عن بلد كامل به كارثة مستدامة لا يمكن أن يكون الحل بإرسال كوادر طبية، بل يجب صنع الكوادر المحلية، لأنه من المستحيل إرسال كوادر طبية أو أكاديمية هناك لمدد طويلة، فكل من تم إرسالهم من الأطباء هو بشكل مؤقت، لكن اتحاد الأطباء العرب بصدد تدشين مشروع التعليم الطبي عن بعد في الصومال لتدريب وتأهيل طلاب كليات الطب الحكومية هناك كمرحلة أولى وتدريب بقية الفرق الطبية من تمريض وغيره.

وبدأ الاتحاد بإرسال أجهزة طبية على أعلى مستوى وتقنيات ولكن قابلتنا مشكلة تشغيل وصيانة تلك الأجهزة، ونحن بصدد حل تلك الإشكاليات، أما الأدوية فالمشكلة في شحنها وتوصيلها لأن البحر مغلق بالقراصنة والجو تكلفة شحنه عالية جدًا.

● تضافر جهود لجان الإغاثة من جميع دول العالم العربي ألا يستطيع حل هذه المشكلات؟

■ نحن نواجه مشكلة في التنسيق بين الجهود الإغاثية، ونواجه أيضا العوائق الميدانية في التحرك خارج العاصمة لوجود تهديد على حياة الطواقم الطبية، وحالات الاختطاف لأخذ فدية.

كما أن سوء التنسيق والترتيب بين جهات الإغاثة المختلفة يعمل على إهدار بعض الوقت والمال، كأن تأتي منظمة ما وتقيم مشروعًا إغاثيًا مماثلًا في دائرة عمل مشروع منظمة إغاثية أخرى، مما يترتب عليه عمل مشروعين بكلفتين عاليتين لنفس الشريحة والناس، لكننا بدأنا التغلب على ذلك من خلال عمل اجتماع تنسيقي أسبوعي في مقر منظمة التعاون الإسلامي لتنسيق الجهود.

كما أننا نواجه عوائق لوجستية كإمداد جهات الإغاثة بالأدوية اللازمة في مواعيدها المناسبة وبالكميات والأسعار المناسبة، فنحن بحاجة إلى توفير الأدوية والمعونات من خارج الصومال لكي لا نشتري من السوق المحلي فنقلل العرض من الدواء فيزيد سعره على المرضى في الصيدليات وغيرها من المشكلات الأخرى، وبالتالي فسوق نيروبي ودولة كينيا الآن هي الأقرب ونجد مشكلات ضخمة في عمليات الشحن والتوصيل.

عاريَّة الكتب

جزء حديثي للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن جعفر بن مهريار اليزدي المتوفى بعد ٤٢٩هـ

هذا الجزء قديم يعود إلى القرن الرابع الهجري، يحتوى على حديثين وأحد عشر أثرا، وهو مخطوط مأخوذ من المجموعة الخطية من مجاميع الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.

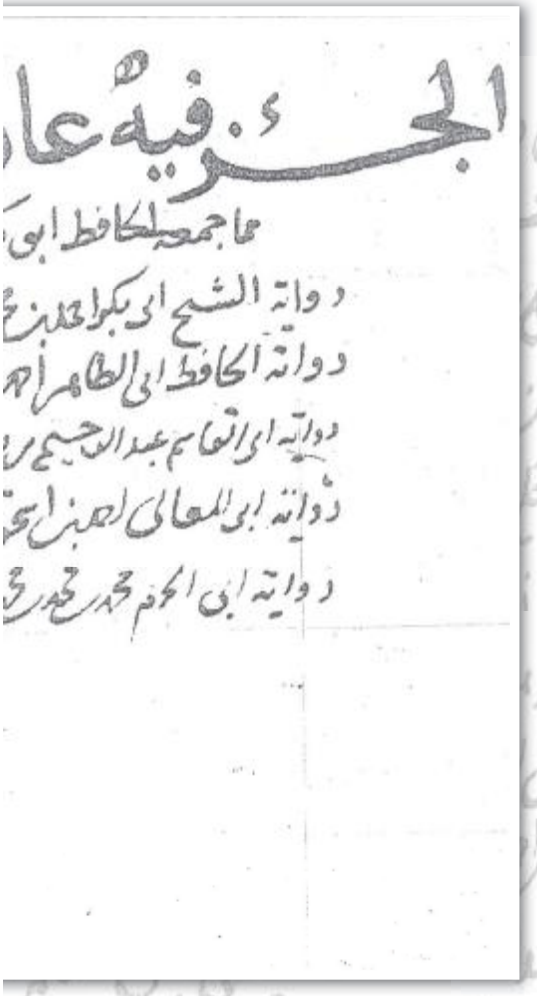

قال الحافظ أبوبكر أحمد بن محمد بن جعفر اليزدي، أخبرنا على بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا عبدالله بن محمد بن الحجاج، ثنا أبوعبدالملك المقري، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا إبراهيم بن زكريا الربعي، عن عيسى بن حكيم، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اختانَ كتابَ علم، فهو غلول يأتي به يوم القيامة».

أخبرنا علي بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا عبدالله بن محمد بن الحجاج، ثنا أبوعبدالملك المقري، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا أيوب بن سويد، ثنا يونس بن يزيد قال: قال لي الزهري: إياك وغلول الكتب، قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها.

أخبرنا علي بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا أبوصالح محمد بن يعقوب الوراق، ثنا أبوسعيد الحسن بن عبدالرحمن بن عمر، ثنا عبدالصمد بن يزيد، ولقبه مردويه قال: قال الفضيل بن عياض:ليس من فعل أهل الورع، ولا من فعال الحكماء، أن تأخذَ سماعَ رجل فتحبسه عليه، فمن فعلَ هذا، فقد ظلمَ نفسه.

أخبرنا علي بن عمر، ثنا علي بن محمد بن أبان، ثنا موسى بن أحمد بن موسى قال:

سألتُ محمد بن مصطفى جزءًا من فوائده لأنظرَ إليه، وكان لا يدفعُ كتابه إلى أحد، فشقَّ عليه أن يردني، ثم أنشأ يقول:

كم من كتابٍ شريفٍ ضاع عاريةً
فصرتُ من بعده في الناس حيرانا

حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم، ثنا أبويعلى أحمد بن علي الموصلي قال: سمعتُ عبدالصمد بن يزيد يقول: سمعت الفضيل يقول: ليس من فعل العلماء، أن يأخذ سماع الرجل أو كتابه فيحبسه عليه، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه.

ذكر أبوزيد عمر بن عبدالله بن أحمد الفرساني، عن محمد بن يحيى الحوار يقول: سمعتُ أحمد بن علي النخشبي يقول:

كان لي سماع مع رجل من أهل بغداد، يقال له سهل بن محمد الجوهري، فامتنع على أن يعطيني، فقدمته إلى

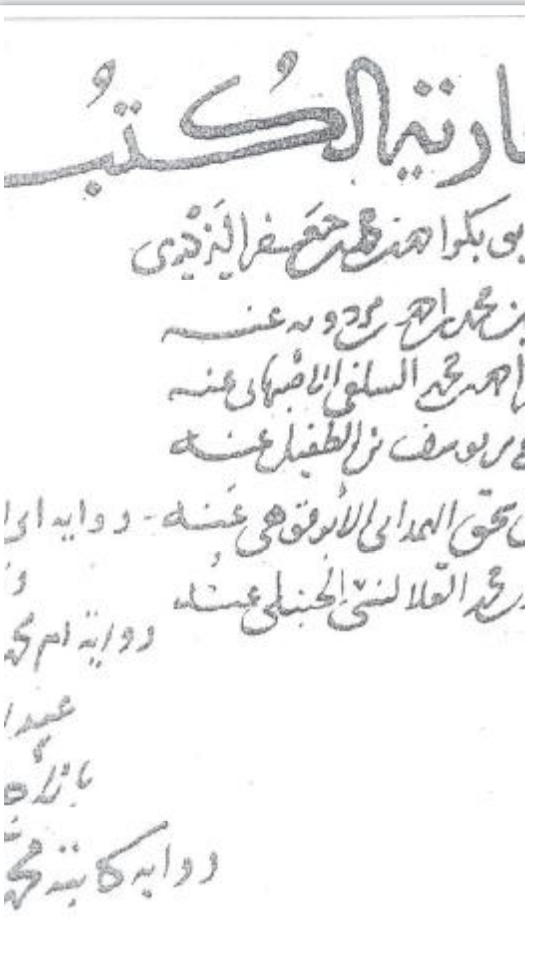

إسماعيل بن إسحاق القاضي، فسألني القاضي عن السماع في كتبه، أبخطي أم بخط صاحبه؟ فقلت: بعضه بخطه وبعضه بخطي، فأمر الرجل أن يعطيني حتى أنسخه، فقال الرجل: أعز الله القاضي، هذا رجل غريب، أخاف أن يذهب بكتبي، توثق لي حتى أعطيه. فقال القاضي له: اكترِ رجلا بدرهمين في كل يوم، وأقعده معه حتى يفرغ من نسخ سماعه.

أخبرنا أبوعمر بن أبي بكر بن عبدالوهاب المقري، وكان لا يعير أصوله لآخر، سمعته منه غير مرة يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر العبدي، ثنا ابن أبي الدنيا، ثنا محمد بن الحسين قال: سمعت قَبيصة يقول: كنا نعدُّ عاريَّةَ الرجلِ أصلَ كتابه هُجنة.

أخبرنا أبوعمر بن أبي بكر بن عبدالوهاب المقري يقول: إني سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن يحيى بن منده يقول: من استعار منك كتابًا فردَّه إليك، فاعلم أنه لا يحسنُ شيئا، أو كما قال.

أخبرنا أبوجعفر أحمد بن عبدالله بن العباس بن الوليد بن شجاع، ثنا محمد بن عبدالله بن الموفق أبوبكر، ثنا أبوالعباس أحمد بن يحيى الغسال، ثنا محمد بن حميد الرازي قال: سمعت جرير بن عبدالحميد الضبي يقول: سمعت حمزة بن حبيب الزيات، يقول: لا تأمنَنَّ قارئًا على صحيفة، ولا جمّالًا على حبل.

أنشدنا بعض أصحابنا:

أعرِ الدفترَ من جاء
ك بالرهن الوثيقِ
إنه ليس يضرُّ
أخذك من صديقِ

ذكر محمد بن إبراهيم المقري: إن لم أسمع حدثنا عبدالله بن محمد بن الفرج بمكة سنة ثمان وثلاثمائة، ثنا شبيب بن جعفر المصري، ثنا أيوب بن سويد، حدثني يونس بن يزيد الأيلي قال: قال ابن شهاب: إياك وغلولَ الكتب. قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها.

أخبرنا العدل الثقة أبوبكر بن أبي علي إملاء ، ثنا أبو العباس بن عبيدالله، ثنا عبدالرحمن بن داود بن منصور الفارسي، حدثنا عبيد بن سويد، ثنا محمد بن وهب بن أيوب بن سويد، ثنا يونس بن يزيد الأيلي قال:

سمعت الزهري رحمه الله يقول: إياكم وغلولَ الحديث، قالوا: وما غلول الحديث؟ قال: حبس الكتب على أهلها.

حدثنا أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ، ثنا أبوعلي الحسن بن أحمد بن محمد بن سعدان الخطيب التستري، ثنا أبونصر محمد بن حمدوية بن سهل المروزي، ثنا عبدالله بن حماد الأيلي، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا إبراهيم بن زكريا الربعي، عن عيسى بن حكيم، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس قال: قال: رسول الله ﷺ: «من اختانَ كتابَ علمٍ فهو غلول، يأتي به يومَ القيامة».

قال أحمد: غريب لم أكتبه مرفوعًا إلا بهذا الإسناد، وعيسى بن حكيم، هو عيسى بن ميمون.

آخر الجزء والحمد لله رب العالمين.

الإنسانية في عيون الإسلام

د. مسعود صبري

إن المسلم الصادق ينظر إلى هذا الكون بما فيه أنه من صنع الله تعالى، بما فيه من إنس وجان وطير وحيوان، فالكل خلقه، وكلهم يسبحون بحمده كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤)، وإن الله تعالى هو رب الناس ملك الناس إله الناس، فهو كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢)، وهذه الآية تدل على أن حكمة الله اقتضت أن يكون هناك تعدد في المعتقدات، كما هو التعدد والتنوع في كل ما خلقه الله تعالى، فالناس منهم الأبيض والأسود والأحمر، ومنهم الغني والفقير، ومنهم القوي والضعيف، ومنهم المؤمن ومنهم غير المؤمن، فالكل من خلق الله تعالى، فهو ربهم وإن لم يؤمنوا به كلهم.

لم يكن الاختلاف في الدين والمعتقد مانعا من التواصل الإنساني ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، فنحن المسلمين مأمورون بالبر والقسط والإحسان إلى غيرنا؛ لأن هذه تعاليم ديننا وشرعتنا، ذلك أننا الشهداء على الناس، كما قال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ولما كانت هذه الأمة كما قال عنها تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، كان واجبا عليها أن تتعامل مع الأمم الأخرى من منطلق أنها خير أمة، يعني أنها تتعامل معهم بالفضل قبل العدل، وبالإحسان قبل القسط، ويكون التعامل بالعدل أقل الدرجات، وهذا يعرفه الناس من سنن الله في الكون، فإن من كان سيدا، وكان كبيرا، كان أرفق الناس بهم، وكلما علا قدر الإنسان، كان أحسن سيرة، وأحكم مقالا، فإن سيادة الأمة لا تكون إلا بما تحمله من تبعات وما تؤديه من واجبات تجاه غيرها.

إن بعض المسلمين يظن أن مجرد الاختلاف في الدين أو الحكم على غير الأمة بالكفر، سبب للعداء، وهذا منطق خاطئ ما عرفه الرسول ﷺ ولا الصحابة الكرام، لأن الرسول ﷺ كان مع كل الناس كما وصفه ربه سبحانه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقد شهد له القاصي والداني بحسن خلقه وسموه قبل نزول الوحي عليه (الصادق الأمين).

مما يفترى به على الإسلام أنه لا يعترف بالآخرين وهذا محض افتراء

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة منهج الإسلام في التعامل بين المختلفين في العقيدة، لما شابه هذه المعاملة من اللغط وسوء الفهم والتطبيق، حتى شوهت صورة الإسلام باسمه، وهو منها براء.

إن الرجوع إلى النبع الصافي من دستورنا وهو القرآن والسنة، والاقتداء بهدي الرسول ﷺ وصحابته الكرام ليزيل هذه الغمة عن المسلمين، ويرفع عنهم ما نسب إليهم زورا وبهتانا، كما أنه يعيد إلى الدعوة إلى الله رونقها وحقيقتها، فيتعرف عليها الناس صافية بلا شائبة، صادقة بلا تزييف، نقية بلا شوائب.

والنظر إلى كتاب الله تعالى والسنة النبوية يحتاج إلى فقه وفهم، لا أن تُتخطف الآيات والأحاديث من هنا وهناك، بل لابد من استقراء منهج القرآن والسنة في التعامل مع الغير، وكيف نظر الإسلام إلى الإنسان بوصفه مخلوقا من مخلوقات الله، وكيف تحدث القرآن إلى الناس كافة من حيث أصل الخلقة.

مبادئ الإنسانية في القرآن

ومن أهم تلك المبادئ:

الأول: التفضيل

إن من أوائل ما يطالعنا تفضيل الله تعالى لبني آدم على غيرهم، ودفاع الله تعالى عنهم في تساؤل الملائكة، كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

باحث في المركز العالمي للوسطية

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)، فدلت الآية أن بني آدم في الجملة أفضل من غيرهم ممن كانوا يسكنون الأرض قبلهم، سواء أكانوا من الجن أم من غيرهم من المخلوقات.

والأمر الثاني: هو تكريم الله تعالى لبني آدم في الجملة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

الأمر الثالث: طلب العمارة، فالله تعالى يوجب على بني آدم بعد أن أورثهم الأرض وجعلهم فيها خلفاء- أي يخلف بعضهم بعضا الأرض جيلا بعد جيل فلا تكون لغيرهم- أن يتعاونوا على عمارتها بالصالح والنافع، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

الأمر الرابع: التعارف والتعاون على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

الأمر الخامس: التنوع والاختلاف، فالمسلم يؤمن أن الناس لن يكونوا دينا واحدا، ولا شيئا واحدا، فاختلاف الخلق وتعددهم دليل على وحدانية الله تعالى، فكل ما سواه متعدد، وهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد، كما قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود: ١١٨-١١٩). يقول الإمام ابن كثير- رحمه الله: يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ (يونس: ٩٩) وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقاداتهم ومللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، وهذا لا يعني أن الله خلقهم ليختلفوا، ولكنه من كسب الناس، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وفكرة التعددية الدينية لا تعني أن جميع الأديان متساوية فعلا؛ وذلك لاختلاف الأديان، فهناك أديان سماوية وهناك أديان وضعية، والسماوية كل منها مختلف عن الآخر، ولكن تجتمع كل تلك الأديان في حق واحد وهو حق الوجود والتعايش معًا.

مكانة الإنسان في الإسلام

وقد دعا الإسلام إلى احترام النفس البشرية أيًا كانت، حيا وميتا، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وقال ﷺ: «من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة» (أبو داود والنسائي وهو صحيح الإسناد).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ مرت به جنازة، فقام، فقيل: إنه يهودي! فقال: أليست نفسا؟

إن مما يفترى به على الإسلام أنه لا يعترف بالآخرين، وهو محض افتراء، بل إننا نعتبر من مفاخر ديننا أنه الكتاب الأوحد الذي اعترف بكل الأديان السابقة، ومن يطالع القرآن يجد حديثا طويلا عن موسى وعيسى عليهما السلام، وحديثا مفصلا ومجملا عن بقية الأنبياء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥١)، وقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا. وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا. أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٤-٥٨).

بل أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء وشرائعهم المنزلة من عند الله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤).

ومن السنة أن النبي ﷺ لما وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه».

وعن عيسى عليه السلام يقول الرسول الكريم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». فهذا اعتراف صريح باليهودية والنصرانية، ويشبه الرسول ﷺ الأنبياء بالإخوة من أب واحد لكنهم من أمهات شتى، والمعنى أن شرائع الأنبياء متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت فروعها.

ولا يعني هذا اعتقاد صحة الأديان الموجودة، وفرق بين الاعتراف بها، وبين اعتقاد صحتها.

وإن هذا الاعتراف من الإسلام ببقية الأديان لم يجد صدى صادقا عند أتباع الأديان الأخرى، فنحن نعترف وهم لا يعترفون، وهذا من شيم الإسلام وفضله على العالمين.

مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات

د. بركات محمد مراد

من المسلَّم به أن الحضارة دائمة التنقل، وهي مشاع بين الناس لا يحتفظ بها إلا الأقوى والأجدر، فإذا ما أصابه الوهن أو انتابه الضعف ولت سراعًا، ومن هنا كان للعرب والمسلمين الأوائل جهدهم وفضلهم في الدفع بعجلة الحضارة إلى الأمام، وقد شهد المنصفون من الغربيين لعلماء العرب والمسلمين بما قدموه من إنجازات أسهمت في رقي المدنية وتقدم الحضارة بعد أن كان الأوروبيون أو كثير منهم ينسبون اكتشافات العرب والمسلمين أو يدعونها لأنفسهم كذبًا وزورًا، غير أن الحقيقة كالشمس لا يمكن حجبها أو إخفاؤها، فعرف الحق لذويه وعاد الفضل لأهله، وحديث اليوم عن فضل العرب ومآثرهم في مجال الزراعة وحرث الأرض ومكافحة الآفات، ودورهم في رقي الحضارة الإنسانية التي قامت في البداية على أكتاف الزراعة والمزارعين قبل أن تقوم على أكتاف الصناعة والصانعين.

العرب هم أمة أقدم من اسمها الذي تعرف به اليوم؛ لأنها على أرجح الأقوال أرومة الجنس السامي التي تفرع منها الكلدانيون والآشوريون والكنعانيون والعراقيون وسائر الأمم السامية التي سكنت بين النهرين وفلسطين وما يحيط بفلسطين من بادية وحاضرة، وقد تتصل بها الأمة الحبشية بصلة النسب القديم مع اختلاط بين السامية والحامية(١).

ويرى الباحثون أن أسلاف العرب كانوا يتمتعون بحضارة أصيلة، ويقطنون الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، ولكن بسبب تزايد عدد السكان وتعرض تلك المنطقة لتغيرات مناخية سيئة اضطر سكان الجنوب إلى الخروج من بلادهم على شكل موجات متعاقبة، فاتجه بعضهم شرقًا إلى بلاد الرافدين، ومنهم من توجه شمالاً، وبقي في وسط الجزيرة قبائل حافظت على كيانها واستقلالها وحرمتها ولغتها(٢).

ومن البدهي أن عرب وسط الجزيرة لم يهتموا بالزراعة وكانوا يحصلون على المنتجات الزراعية التي يحتاجونها عن طريق التجارة وتبادل السلع، كما كانت شجرة النخيل أثمن النباتات لديهم لأنها تنمو في الواحات المبعثرة بين كثبان الرمل، فتعطيهم أطيب الثمر بأدنى جهد وأقل ماء، أما القاطنون في أطراف الجزيرة- وخاصة في الحجاز واليمن والعراق وبلاد الشام- فكانوا على جانب كبير من الخبرة في شؤون الزراعة والعناية بالأشجار المثمرة واستخراج المياه، لذلك لم تزل بقاع اليمامة إلى ما بعد الإسلام مشهورة بالمراعي الواسعة، والعيون والأمطار الغزيرة والمروج المعشبة التي تخلفت مما هو أخصب منها وأعمر بالإنسان والحيوان في أقدم الزمان، وقد لاحظ الرحالة الألماني شوينفرت أن القمح والشعير وجدا في حالتهما الآبدة في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس في مصر والعراق(٣)، وقد اكتشفت في أرض اليمن كتابات بالخط المسند، تعتبر قوانين صدرت عن الحكومات اليمنية قبل الإسلام نظمت بموجبها العلاقات الزراعية بين المزارعين الذين يعملون في الأرض التي تمتلكها الدولة وتقوم بتأجيرها لمن يريد استثمارها من القبائل والأفراد، كما نظمت حقوق السقي والاستفادة من الماء(٤).

ولما جاء الإسلام حث دستوره (القرآن الكريم) المسلمين على الزراعة وحرث الأرض والتصرف فيما تنبته الأرض من زروع وأشجار وثمار وأزهار قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النمل: ١٠-١١)، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٣-٤)، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

(٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)﴾ (يس: ٣٣-٣٤)، فالذين يتفكرون في النباتات وحرثها وزراعتها ويتعمقون في بحثها وفحصها يصلون إلى أسرار وآيات تشهد بعظمة مبدع الكون، والإسلام دين الجهد والجهاد والعقل والتدبر(٥)، وقد أفرد القرآن الكريم الكثير من مفردات علم النبات والزراعة ووسائلها، فمثلا أورد حقيقة على جانب كبير من الأهمية العلمية حينما قرر القرآن في سورة الحجر الآية ٢٢ قوله تعالى:﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، وهذا ما اكتشفه علماء النبات بعد ذلك بقرون طويلة عندما قالوا إن الرياح وسيلة من وسائل التلقيح في النباتات(٦).

وفي السنة النبوية الشريفة نجد أن هناك الكثير من الأحاديث التي تحث على الزراعة وفلاحة الأرض منها: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، يقول الإمام الشنقيطي: قال العيني: وفي الحديث أن الغرس والزرع واتخاذ الصنائع مباح وغير قادح في الزهد، وفيه أيضًا الحض للمسلم على عمارة الأرض لنفسه ولمن يأتي بعده، وفي الحديث أيضًا أن الزراعة والغرس من أفضل المكاسب(٧)، إذن العمل بالزراعة عبادة إلى جانب أنها كسب شريف.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها». وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه».

وعلى نهج القرآن وهدي الرسول ﷺ سار المسلمون فتركوا لنا آثارًا كانت الشرارة الأولى في بناء حضارة العالم، من ذلك ما روي من أن يزيد بن مسيلمة كان يغرس في أرضه، فقال له عمر ﷺ: «أصبت، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم». وروي عن عمر بن عبدالعزيز ﷺ انه قال: «زارعوا على الأرض بنصفها، بثلثها، بربعها.. إلى عشرها ولا تدعوا الأرض خرابًا»(٨).

عمل كثير من الصحابة في الزراعة واشتهرت المدينة المنورة بمزارعها وبساتينها

وكان لانتشار الإسلام أن ساد الوفاق بين القبائل العربية وأخذ بعضها يستقر إلى جوار القرى والمدن، وأصبحت الحاجة ملحة لتوافر كميات من المواد الغذائية في تلك المجتمعات، لذلك قام الرسول ﷺ بحض الناس على الزراعة فقال: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»، كما بشر الزارعين بأجر جزيل عند الله.

وقد عمل كثير من الصحابة في الزراعة، واشتهرت المدينة المنورة بمزارعها وبساتينها، وأقطع النبي ﷺ رجالاً من أصحابه الأراضي الواسعة ليعمروها ويزرعوها ويستثمروها، ومن هؤلاء: أبوبكر الصديق ﷺ، وعمر بن الخطاب ﷺ الذي أعطي أرضًا نفيسة بخيبر، ومنهم ربيعة الأسلمي، وأعطى أبوبكر ﷺ في خلافته أرضًا زراعية لطلحة بن عبيدالله، وأرضًا أخرى لعيينة بن حصن، وأرضًا ثالثة للزبير بن العوام.

وتوسع عمر في توزيع الأراضي ليقوم الناس بإحيائها وزراعتها واستثمارها، فأعطى سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد- رضي الله عنهم- وآخرين.. وكذلك فعل من بعده من الخلفاء (عثمان وعلي).

وكان الناس يزرعون أراضيهم بأنفسهم وأهليهم، أو يؤجرونها للزراعة والغراسة، أو يعطونها للزراع بالربع والثلث، قال موسى بن طلحة: رأيت سعدًا وابن مسعود وجبر بن عتيك يعطون أرضهم بالثلث والربع، وكانت بعض المزارع والبساتين تحمل في السنة مرتين، وكان يزرع فيها أنواع الحبوب وأصناف الثمار المعروفة وقتذاك، ويذهب بها إلى سوق المدينة المنورة، وأسواق الأماكن المجاورة(٩).

وفي العصر الأموي ولما استتب الأمر لبني أميه أمر الولاة بمسح الأرض الزراعية لجباية الخراج والزكاة، وقاموا بشق الترع وإصلاح المجاري وتشجيع الزراعيين على إحياء الأرض البور، وقد اشتهر زياد بن أبيه بأنه كان يقطع للرجل قطعة من الأرض ثم يمهله مدة عامين، فإذا أصلحها واستثمرها أصبحت ملكًا له وإلا استردها منه، وقد ازدادت في زمن الأمويين زراعة أنواع الحبوب والقطن وقصب السكر، كما ازداد غرس الأشجار المثمرة كالكرمة والزيتون والنخيل، وفي العصر الأموي أيضا بدأ إنشاء الحدائق والبساتين، فشيد الخليفة هشام بن عبدالملك سد طريقة وبجواره عدد من البساتين المثمرة، وفي العصر الأموي كذلك أقام الحجاج بن يوسف الثقفي الترع والجسور وأنشأ القنوات واستصلح الأراضي البور وزاد من الرقعة الزراعية في دولة بني أمية(١٠).

وفي العصر العباسي، ولازدهار ورخاء الحياة ظهرت الزراعة البستانية لتزيين القصور، وحينما بنى المعتصم مدينة سامراء لم يفته كما يقول اليعقوبي العناية بإنشاء الحدائق الغناء والبساتين، يقول المستشرق رامبو: لم يكن في عصر العباسيين أهم من مهنة الفلاحة، فقد أظهر العرب بمهارتهم مزايا فواكه الفرس وأزهار إقليم زندران، وقد أغنوا العلم- ولاسيما علم النباتات- بمسائل جديدة كثيرة.

لقد أصبح العرب في العصر العباسي أول العارفين بالزراعة وأحسن العمال، وأصبحت الزراعة التي أخذوها من أساليب بابل والشام ومصر علمًا حقيقيًا للعرب أخذوا نظرياتها من الكتب ثم وسعوها بتدفقاتهم وتجاربهم وكانوا يطبقونها بمهارة، ولا تستنكف أعلى الطبقات عن العمل بأيديهم في زراعة الأرض، وكان غيرهم يحقرها ويعدها عملاً مهنيًا، وقد روى دوزي أن ابن الخطيب لم يكتسب من غير الفلاحة مالاً، وقد أقام من أعمال العمران ما يحسده

عليه أعظم طواغيت الزمان(١١).

وفي العصر العباسي أيضًا كان هناك اهتمام بالفلاحة العلمية التجريبية، فلم يعتمدوا فقط على النظريات الزراعية بل تابعوا العملية العلمية الزراعية من أولها إلى آخرها بدءا بالحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرع العرب في تخير الأرض ثم استنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي(١٢).

الزراعة العربية في المغرب العربي والأندلس

كانت الأندلس والمغرب العربي متخلفين علميًا وحضاريًا عن مشرق العالم الإسلامي في مجال الزراعة حتى أول القرن التاسع للميلاد، ولما تولى الخلافة عبدالرحمن الناصر سعى إلى تدارك هذا القصور، وذلك بإرسال البعثات العلمية إلى الشرق العربي للدراسة في بغداد ودمشق والقاهرة، وجلب الكتب المؤلفة والمترجمة إلى العربية، وكانت هذه البعثات بداية لنهضة علمية زراعية في الأندلس حتى ظهر في الأندلس علماء أجلاء قاموا على علم وادخلوا الجديد في الطرق الزراعية، وفي تلك الأثناء ظهرت مدرستان في علم الزراعة في الأندلس:

الأولى، اهتمت بعلم العقاقير والنباتات الطبية، وكان من روادها ابن جلجل وابن وافد وابن سمجون والغافقي وابن ميمون وابن البيطار.

والمدرسة الثانية، اهتمت بعلم الفلاحة والنبات، وكان من روادها ابن بصال الطليطلي وابن حجاج الاشبيلي والحاج الغرناطي وابن العوام والشريف الإدريسي وأبوعباس النباتي، ثم حدثت نهضة غير مسبوقة في الأندلس في هذا المجال فعمرت المدن وكثرت الخيرات وانتشر العلم حتى كان في قرطبة وحدها دكان نسخ واحد يستخدم مائة وسبعين جارية في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة، وكان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب صنفت في شتى العلوم جميعها(١٣) .

يقول رتشارلس سينوبوس في كتابه تاريخ الحضارة: جرى أمراء العرب على أصول إسقاء الأرض بفتح الترع، فحفروا الآبار وجازوا بالمال الكثير ممن عثروا على ينابيع جديدة، ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران، ونقلوا إلى أسبانيا أسلوب النواعير لتمنح المياه والسواقي التي توزعها، وان سهل «بلسنة» الذي جاء كأنه حديقة واحدة هو من بقايا عمل العرب وعنايتهم بالسقيا، كما أن العرب استعملوا جميع أنواع الزراعة التي وجدوها في مملكتهم وحملوا كثيرًا من النباتات إلى صقلية وأسبانيا، وربوها في أوروبا فأحسنوا تربيتها حتى لتظنها متوطنة وذلك مثل الأرز والبطيخ والقنب والمشمش والبرتقال والكبار والنخيل والهليون والزعفران والبطيخ الأصفر والعنب والعطر والورد الأزرق والأصفر والياسمين بل والقطن والقصب(١٤).

المؤلفات العربية في مجال الزراعة والحرث والري

مرت الحضارة العربية الزراعية بطورين من أطوار الحضارة والتمدن، أولهما بعد أن استقرت الدولة العربية الإسلامية سياسيًا بدأت النهضة العلمية بمرحلة الاكتساب البدائي- أي تجريب الخبرة المتوارثة- تلتها مرحلة الترجمة حيث اهتم الخلفاء بالحصول على المخطوطات اليونانية وترجمتها، ومن أولئك الخلفاء هارون الرشيد الذي أوفد الرسل لهذا الغرض مئات المرات إلى الإمبراطورية البيزنطية لشراء المخطوطات، كما كان الخليفة المأمون اشد تحمسًا في جمع الكتب واقتنائها، فكان على اتصال مباشر بالإمبراطور البيزنطي ليو، وقد طلب إليه أن يرسل له جميع ما لديه من المخطوطات العلمية، بهذا أصبح للمأمون الفضل الأعظم في مرحلة الاكتساب، فقد أسس بيت الحكمة وخصصه للترجمة وأضاف إليه مرصدًا فلكيًا، وعلى هذا فإن القرن العاشر الميلادي أو الرابع الهجري لم ينقض على الدولة العربية حتى كانت نهايته نهايةَ طور الاكتساب والترجمة.

أما الطور الثاني فهو طور الخبرة، ولقد أخذ العرب عن غيرهم كما أخذت كل أمة عن غيرها، لكنهم وضعوا ما اكتسبوه من خبرات وافكار في بوتقة عربية وصاغوه بصيغتهم الخاصة حتى خرج فريدًا في بابه، وظهر بمظهر نظم ومؤسسات قائمة بذاتها(١٥)، هكذا قسمت المؤلفات الزراعية عند العرب إلى قسمين: قسم معرب عن اليونانية، وقسم مؤلف بالعربية، فمن الكتابات اليونانية في الزراعة التي عرفها العرب وترجموها كتاب ديمقراط الرومي من القرن الثاني قبل الميلاد، وآخر لقيندانيوس أناطوليوس البروتي، من القرن الرابع الميلادي، وآخر للكسيانوس ياسوس، من القرن السادس الميلادي، وكتاب الفلاحة النبطية الذي نقل من السريانية إلى العربية في مطلع القرن العاشر الميلادي، غير أن العرب لم يتوقفوا عند نقل هذا التراث، بل طوروا العلوم الموروثة حتى أصبحت مؤلفاتهم بدورها أسسًا جديدة انطلقت منها العلوم الحديثة، وأول كتاب كان بمنزلة حجر الأساس في نشأة الزراعة العربية هو كتاب «الفلاحة النبطية»، والذي رغم أنه معرب من السريانية فإنه أصبح أثرًا عربيًا اقتفته سائر المؤلفات العربية في علمي الزراعة والنباتات، ويضم هذا الكتاب في صفحاته الألف سائر المعارف في أمور الفلسفة والدين والسحر والطلاسم، فضلا عن الزراعة وما تضمنه من زراعة الأزهار والأشجار المثمرة والحبوب والبقول، وفي استنباط المياه من الأرض وتطعيم الأشجار كذلك في عمل السماد واختبار الأرض لبعض المزروعات، ومعارف أخرى كثيرة تحيط بسائر أعمال الحقل مستندة كلها على خبرة عميقة وممارسة طويلة للعناية بالأرض والنبات.

أما أشهر الكتب العربية في الزراعة فهو كتاب الفلاحة لابن العوام- القرن الثالث عشر الميلادي- الذي اطلع على جميع العلوم التي كانت في عصره، ومنها العلوم الزراعية القديمة، ثم قام بتجارب عديدة في الزراعة دون نتائجها في كتابه الضخم الذي ترجم إلى الأسبانية والفرنسية في القرن التاسع عشر، ويتألف كتاب الفلاحة لابن العوام من ثلاثين فصلًا عن الزراعة تبحث في مواضع شتى، منها ما

يتعلق بطبيعة الأرض والسماد وأنواع المياه وطبيعتها وإنشاء الجنائن والمشاتل وزراعة الأشجار المثمرة وعمليات التطعيم وتقليم الأشجار وعمليات التسميد والري وإخصاب الأشجار الاصطناعي ومكافحة الأمراض الزراعية وطرق تعطير الثمار وتلوين الورد وحفظ الحبوب والبذور والنباتات الصالحة للنسيج والنباتات الصابغة وغيرها(١٦).

ويذكر أنه يعود الفضل لابن العوام لتعريفنا بجهود من سبقوه في هذا المجال من العلماء العرب والذين لم تصل إلينا كتبهم، مثل ابن وافد وابن سمجون وابن ميمون والحاج الغرناطي(١٧)، ولأبي حنيفة الدينوري، القرن الثالث الهجري، كتاب اسماه «النبات» حوى أنواع النباتات والتربة وكيفية شق الترع والجسور، وبه باب خاص يحتوي على شرح لغوي لأسماء النباتات التي وردت في أشعار العرب، ولابن البيطار، القرن السابع الهجري، جهود عظيمة في هذا المجال فقد سافر إلى الشام من الأندلس ودرس نباتها، ثم سافر إلى مصر فجعله الملك الكامل الأيوبي رئيسًا على العشابين وألف كتابه في النبات وهو فريد في بابه، وكان عليه معول أهل أوروبا في نهضتهم الأخيرة(١٨)، ومن علماء العرب في علم النبات رشيد الدين المتوفى سنة ٦٢٩هـ صاحب كتاب الأدوية المفردة، وكان كثير التدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها وله كتاب يسمى أحوال النباتات(١٩).

مكافحة الأمراض الزراعية في الحضارة العربية والاسلامية

كان العرب والمسلمون اعلم الأمم بالزراعة إبان ازدهار حضارتهم، فقد عرفوا تفصيلًا وإجمالًا أهمية خدمة الأرض وأثرها في القضاء على الآفات الزراعية خاصة البادرات الحشرية، وذلك من خلال تقليب التربة وتعريض الآفات فيها للظروف الجوية غير الملائمة، إضافة إلى التخلص من الحشائش الضارة والأدغال النامية في الحقول(٢٠).

واستخدم العرب والمسلمون المبيدات الحشرية الكيميائية في مكافحة الآفات الزراعية والسيطرة على الحشرات الضارة في صورة طعوم أو سوائل ترش أو غازات بواسطة التدخين، وليكن طريقنا لإيضاح ذلك بمثل واحد من كل هذه الطرق.

الطعوم السامة: استخدمها العرب والمسلمون لقتل الفئران والكلاب والخنازير والذباب والجراد والنطاط والقوارض الأخرى، فقد استخدموا مبكرًا برادة الحديد مخلوطة بالدقيق أو الخبز بالسمن، كما عرفوا أن تراب الزئبق يقتل الفأر والزرنيخ الأصفر يقتل الذباب برائحته(٢١).

المبيدات المرشوشة: عرف العرب المبيدات المرشوشة واستخدموها بتوسع، فمثلًا كانوا يستخدمون ثمرة الحنظل بعد نقلها من الماء لرش البيوت بها لقتل البراغيث(٢٢)، كما كانوا يرشون البيوت بالماء المذاب به النشادر لقتل جميع الهوام(٢٣).

المواد الكمياوية الطيارة (التدخين): استخدم العرب في التدخين موادًا كيماوية طاردة طيارة سريعة التبخر من اصل نباتي، كثيرًا ما تكون غير سامة وليس لها أي تأثير ضار على الإنسان والحيوان والنبات، فقد استخدموا الكبريت المدخن لطرد البراغيث(٢٤)، وبخروا البيوت بالكزبرة لطرد الحيات والعقارب(٢٥).

المبيدات الحيوية: العرب أول من استخدم المبيدات الحيوية من ذلك ما استخدم في ربوع اليمن منذ آلاف السنين، عندما استجلبوا نوعًا من النمل الصحراوي المفترس على أنواع الحشرات التي تصيب النخيل والتمر ومازالت هذه الطريق مستخدمة في بعض الدول العربية إلى الآن(٢٦).

وفي وسع الباحثين أن يحصوا لنا آثار العرب في بعض العلوم أو بعض الصناعات، ولكن آثار العرب في الحضارة عامة لا تستقصيها الأرقام ولا الألفاظ، ولا هي موقوفة على الحصر أو الادعاء حتى في بعض العلوم التي يدعي الغرب أن العرب لم يألفوها مثل الكيمياء والهندسة والرياضيات أو حتى التكنولوجيات بمعناها الحديث.

الهوامش

١- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، القراءة للجميع ١٩٩٨ ص ١٣.
٢- مجلة هنا لندن، العدد ٤٦٧ سبتمبر ١٩٨٧، عبقرية الحضارة العربية ص ٢١.
٣- عباس محمود العقاد، مصدر سابق ص١٥.
٤- مجلة هنا لندن، مصدر سابق ص٢٢ .
٥- محمود عبدالوهاب فايد، التربية في كتاب الله، مكتبة الاعتصام ١٩٧٢ ص٢٠.
٦- المصدر السابق ص٣١ .
٧- الشنقيطي، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، الجزء الثاني ص ٣٣٣، طبعة مصر ١٩٦٩.
٨- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار نهر النيل ١٩٨٣ ص ٥٨.
٩- حسن عبدالغني أبوغيدة، النشاطات الحرفية والمهنية في صدر الإسلام، مجلة الفيصل العدد٢٨٥ ص٣١.
١٠- نخبة من علماء الأزهر، الدين والحياة، وزارة الأوقاف الإدارة العامة لبحوث الدعوة، ص ٨٢.
١١- د.عبدالمتعال محمد الجبري، الحضارة والتمدن الإسلامي، بأقلام فلاسفة النصارى، مكتبة وهبة ١٩٩٣ ص٣٨.
١٢- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول ص ٢٦٦.
١٣- عباس محمود العقاد، مصدر سابق ص٩٠.
١٤- د.عبدالمتعال محمد جبري، مصدر سابق ص٣٩.
١٥- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، دار الهلال دون تاريخ، الجزء الثالث ص١٦١.
١٦- ابن الفارض تاريخ علماء الأندلس، طبعة مدريد ١٩٧٤ ص٢٤١.
١٧- المصدر السابق، ص٢٤٢.
١٨- جورجي زيدان، مصدر سابق ص٢٠٧.
١٩- المصدر السابق، ص ٢٠٨.
٢٠- د.عماد الحفيظ، مكافحة الآفات الزراعية عند العرب، مركز إحياء التراث ١٩٨٩ ص ٤١٦.
٢١- القزويني، غرائب المخلوقات والحيوانات وعجائب الموجودات، سلسة الذخائر، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٣ ص ٥٧، ٨٣.
٢٢- المصدر السابق ٨٧ .
٢٣- المصدر السابق ص ٩٥.
٢٤- المصدر السابق ص ٦١.
٢٥- المصدر السابق ص ٧٤.
٢٦- مجلة هنا لندن مصدر سابق ص٢٠.

دراسة في أبعاد العلاقة بين الهوية والمصطلح

المئذنة والمعرفة!

أ.د.خالد فهمي

(١) الهوية والمصطلح: مدخل في المفهوم

من المهم جدا أن ندخل إلى قراءة أبعاد العلاقة بين الهوية والمصطلح بما هي ترجمة أو تفسير لما يمكن أن يكون رباطا جامعا بين المئذنة بما تحمله اللفظة.. الرمز من دلالات، والمعرفة ببيان موجز لمفهوم الهوية والمصطلح معا.

ومن الممكن أن نعبر عن الهوية بالماهية، فهوية أي شخص هي مجموع أمرين يميزانه عن غيره هما: اسمه، وعمقه معا.

يقول المعجم الفلسفي في شرحه مصطلح الهوية (ص ٢٠٨/١٠٨٤): إنه: «حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره».

وهو ما يدعمه جون جوزيف في (اللغة والهوية ص ١٨ ترجمة د.عبدالنور خرافي، عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٧م /ع ٣٤٢٩) قائلا: «يوجد مظهران أساسيان لهوية شخص ما، أولهما: اسمه الذي يميزه عن غيره من الناس، وثانيهما: ذاك الشيء غير الملموس والأكثر تعقيدا وعمقا الذي يشكل في الحقيقة ماهية المرء».

ومن هذا المعجون المعقد يجد المصطلح مساحة له ليظهر على خريطة هذه الهوية، ذلك أن المصطلح: لفظ حامل لمعنى ناتج حقل بعينه.

ويتجلى الرابط بين الهوية والمصطلح في هذا الذي يقرره د.عبدالسلام المسدى في (قاموس اللسانيات ص ١١ الدار العربية للكتاب، تونس) قائلا: «مفاتيح العلوم ومصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه».

ومن هنا فإن هذا المدخل نحو تحرير مفهومي الهوية والمصطلح يشير إلى أن الهوية بما هي عمق الإنسان وما به يتميز عن غيره، ويشير إلى المصطلح الذي هو مجمع حقائق المعارف والعلوم، وهو ما يجعله المادة الأساس في بناء كيان الهويات والأعماق للإنسان والوطن معا.

(٢) المئذنة والمعرفة.. البدايات الأولى الدالة

إن تأمل تاريخ الإسلام يقود إلى استنتاج أولي ظاهر يقرر أن الإسلام بما هو رؤية متمايزة للكون والحياة أنتج منظومة لغوية اصطلاحية موجهة لهذه الرؤية، ومؤسسة لها معا.

وهذا الذي نقرره أمر مستقر في بنية الأدبيات العلمية في مجال اللسانيات أو فقه اللغة في نسخته التراثية العربية، وهو ما يبدو واضحا في الباب الذي عقده ابن فارس اللغوي في كتابه (الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في فهارسها، ص ٧٨ تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م) بعنوان: الأسباب الإسلامية: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت».

ويزيد ابن فارس الأمر وضوحا عندما يقرر أن التصور الجديد الذي أوجده الإسلام ظاهره وصاحبه جهاز اصطلاحي كاشف عن حقيقته، فيقول (ص ٨٣): «فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء...، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: «فسقت

أستاذ اللغة العربية بجامعة المنوفية

الرطبة»: إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه» وهكذا.

وهذا الذي أطلنا نقله من ابن فارس اللغوي السني ليس صوتا فريدا في تاريخ فقه اللغة العربية التراثية، وإنما هو صوت متواتر ممتد يشكل اتجاها وحقيقة قائمة راسخة وقف أمامها أبوحاتم الرازي في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية) والسيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة) وغيرهما.

واستقرت حقيقة علمية في اللسانيات المعاصرة في دراسات الدارسين والمؤرخين للعربية من العرب وغير العرب، ومن المسلمين وغير المسلمين، بحيث يصح من جانبنا أن نقرر أن ثمة إجماعا على أثر الإسلام في تأسيس قائمة طويلة من المصطلحات الكاشفة عن رؤيته للحياة والكون، عرفت باسم جامع في هذا الحقل العلمي باسم «الكلمات الإسلامية العربية».. استقرت في بنية معجمه، وعرفت طريقها إلى معاجم الشعوب الإسلامية غير العربية.

وهذا التنبه إلى أثر التصور الإسلامي في المعجم المختص في اللسان العربي هو ما يترجم توجيه المئذنة لتاريخ المعرفة في الحضارة العربية.

(٣) الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح في تراث المعجمية الاصطلاحية العربية

عرف تاريخ المعجمية الاصطلاحية عددا كبيرا من المعاجم المختصة في المجالات المعرفية المختلفة، تبرهن على الجهد العلمي الضخم الذي بذله العلماء المسلمون، وتوالى ظهور معاجم المصطلحات المتعددة العلوم في تاريخ العلم عند العرب من القرن الرابع الهجري.

وقد وصل إلينا من هذه المعجمات التي جمعت مصطلحات العلوم المتنوعة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية منذ ذلك التاريخ الباكر ما يلي:

١-مفاتيح العلوم، للخوارزمي الكاتب، ت ٣٨٧هـ.

٢-الحدود والفروق، لابن هبة الله الطبيب، ت ٤٩٥هـ.

٣- التعريفات، للجرجاني، ت ٨١٦هـ.

٤-مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي، ت ٩١١هـ.

٥- التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا، ت ٩٤٠هـ.

٦-التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ت ١٠٣١هـ.

٧- الكليات، للكفوي، ت ١٠٩٤هـ.

٨- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١١٥٨هـ.

٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون.. دستور العلماء، للأحمد نكري، ت١١٧٣هـ.

وقد اتضح من تأمل مادة هذه المعجمات جميعا وعي أصحابها بأن ما تضمنته معاجمهم من مصطلحات يعد بمنزلة مفاتيح لفهم ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وهو ما صرح به غير واحد من هؤلاء في مقدمات هذه المعجمات، على ما نرى ذلك صريحا في مقدمة المناوي لمعجمه التوقيف على مهمات التعاريف.

ثمة إجماع على أثر الإسلام في تأسيس قائمة طويلة من المصطلحات عن رؤيته للحياة والكون

ويظهر من مجموع المصطلحات التي ضمتها هذه المعجمات وتوزعها على ما يلي:

حقل مصطلحات العلوم الشرعية.

حقل مصطلحات العلوم العربية.

حقل مصطلحات العلوم الحكمية (التجريبية أو الأجنبية).

الوعي بهيمنة الشريعة الإسلامية وتوجيهها للجهاز الاصطلاحي للعلوم في الحضارة العربية الإسلامية، والنظر إلى العلوم العربية والحكمية باعتبارها علوم وسائل وآلات للتمكين لتنفيذ الشريعة والقيام بها.

وهذا الذي نقرره من أمر ظهور العلاقة بين الهوية المؤسسة على التصور الإسلامي للكون والحياة وبين المصطلح الناطق بهذا التصور جاء الاعتراف به نظريا في الأدبيات اللسانية التراثية كما مر بنا هنا، وجاء البناء عليه تطبيقا في المعجمات الاصطلاحية المتعددة العلوم.

وقد تجلى أمر توجيه الإسلام للمصطلح في اللسان العربي من الناحية التطبيقية في معجمات المصطلحات المتعددة العلوم التي رتبت مداخلها موضوعيا أو علميا، حيث افتتحت هذه المعاجم جميعا بأبواب لشرح معاني مصطلحات العلوم الشرعية أولا بما هي غاية، ثم توالت بشرح معاني مصطلحات العلوم الأخرى عربية وحكمية بما هي وسيلة وآلة. وهذا الذي نقرره ظاهر في ترتيب المعاجم التالية:

أ- مفاتيح العلوم للخوارزمي.

ب- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، والمنسوب للسيوطي، حيث رتبا معجميهما مبتدئين بتعريف مجموعة المصطلحات المنتمية للعلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وغيرها.

وهي العلامة التطبيقية الدالة على هيمنة الشريعة وتوجيهها لحركة المصطلحات في اللغة العربية.

(٤) تنامي الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح في العصر الحديث

والمتابع لحركة المجتمعات العربية المعاصرة يقف على عدد من العلامات الدالة على تنامي الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح بما هو مخزن للمفاهيم في العصر الحديث.

وقد اتخذ هذا الوعي مسارات متعددة يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

أو لا- حرص حركات التحرر الوطني جميعها على امتداد خريطة الوطن العربي على تعريب لغة الحياة، وتعريب لغة العلم.

ثانيا - الحرص على النص في دساتير الدول العربية على عروبة لسانها بما يعد أحد أهم مقومات هويتها.

ثالثا- ظهور حرص الرواد من العلماء في مجال العلوم التجريبية والتقنية على التأليف والتدريس بالعربية، كملمح من ملامح مقاومة آثار الاحتلال الأجنبي، وإيمانا بأن الشخصية الوطنية لا تستكمل ملامح هويتها من دون التفكير باللسان القومي، وهو الأمر الذي لا يحصل من غير تعلم بهذا اللسان.

رابعا- إلحاح مفكري النهضة في المشرق والمغرب العربي جميعا على الدعوة إلى تعريب المصطلح، توصلا إلى تحقيق الذات في مواجهة ما كان من تيارات جارفة سعت إلى استلاب العقل والوجدان العربيين زمنا طويلا.

وقد تبدت العلامات الوطنية في التعامل مع مصطلحات العلوم الحديثة منذ وقت مبكر من عمر النهضة العربية الحديثة، ولعل أهم هذه العلامات تمثلت في العودة إلى مخزون اللغة العربية الوفير، وإعادة إحياء عدد من

تبدت العلامات الوطنية في التعامل مع مصطلحات العلوم الحديثة منذ وقت مبكر من عمر النهضة العربية

ألفاظه بعد تحميلها بالدلالات الجديدة المستحدثة، وهو ما يؤكده محمد سواعي في كتابه (أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر: مقدمة تاريخية عامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩م، ص ١٣١):«وتشمل الآليات التي استعملها الطهطاوي لاستنباط مفردات تعبر عن مواد وأفكار طارئة على المجتمع العربي في فترته.. إحياء المفردات العربية القديمة للدلالة على معان جديدة».

وهذه العودة إلى اللغة العربية معناها في النظر الواضح استبقاء الروح العربية حية بخصائصها النفسية والروحية والعقلية من خلال إعادة إحياء الألفاظ القديمة بعد تطويرها دلاليا.

وهذا الإحياء استبقى عددا من ملامح الحياة العربية المسكونة بالتصور الإسلامي للكون والحياة في الإدارة والتعليم، وسلوك الناس ومفاهيم التواصل... إلخ.

وقد وصل الأمر بعدد من الدارسين إلى أن يقرروا أن الثورة اللغوية المعاصرة في ميدان إغناء العربية بمصطلحات جديدة تحمل مواد وأفكارا ومفاهيم حضارية تولى التأسيس لها رفاعة الطهطاوي وغيره هي أقرب إلى الثورة اللغوية التي أحدثها الإسلام قديما وكان من نتائجها إغناء اللغة العربية بعدد وافر من المصطلحات، بما ارتبط بها من مفاهيم جديدة ترسخ للقيم الروحية والوجدانية والعقلية والإنسانية التي أرساها الدين الجديد يومها.

وهو الأمر الذي يؤكده مرة أخرى محمد سواعي قائلا (ص١٣١): «ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصحة إن زعمنا أن فترة الطهطاوي تمكن مقارنتها... في تاريخ اللغة العربية بالثورة الإسلامية في القرن السابع الميلادي التي أدخلت مفردات كثيرة إلى اللغة العربية، أو حددت معاني مفردات كانت تستعمل بمعان خاصة ومعينة في فترة ما قبل الإسلام، ليصبح استعمالها لدلالات معينة جديدة في الفترة الإسلامية».

وهذه الثورة الاصطلاحية المعاصرة المرتبطة بعمل الطهطاوي لا يمكن تصور مداها من دون تصور الأصول الفكرية والأجنبية التي سكنت عقل الرجل موصولة النسب بالإسلام وحضارته وتصوراته للحياة والكون معا.

(٥) المخاطر على الهوية تبدأ من العبث بأبنية المصطلحات

إن هذا الذي ظهر هنا عنوانا جانبيا يُدرك ما يقوله عندما نقول: إن المخاطر المحدقة بالهوية تبدأ تنزلاتها على أرض الواقع من نقطة العبث بخريطة المصطلح.

وفي هذا السبيل يصح أن نتأمل صنيع حركات الاحتلال الأجنبي للعالم العربي الإسلامي في مواجهة ملامح المقاومة لصنيعه بآليات ظاهرة تمثلت في واحد من أظهر أشكالها في تبديل المصطلحات العسكرية، فلقد ظلت الحياة العربية في مفتتح عصر النهضة الحديثة محافظة على ما ورثته من مصطلحات عسكرية من مثل:

- الجهاد - والجهادية.
- المجاهد.

-المرشد،والشيخ... إلى غير ذلك من مصطلحات هذا المجال الحيوي الخطير.

وقد وقف أكثر من رائد من رواد النهضة والإصلاح المعاصر أمام المخاطر الوافدة من هذا الباب.

وقد كان مالك بن نبي (ت ١٩٧٣م) واحدا من أكثر مفكري النهضة العربية المعاصرين إدراكا للمخاطر المترتبة على تفريغ عدد من المصطلحات من شحناتها العاطفية والحضارية التي تراكمت حول معانيها خلال قرون متطاولة كانت الفكرة الإسلامية هي الحاكمة والموجهة، ويركز على المخاطر هذه من خلال ما يتعلق بعدد من الاصطلاحات المؤثرة فيقول في كتابه (مشكلة الأفكار ص١٤٢): «وهكذا تحدث الناس بالتدرج عن (الجندي) الذي كان فيما مضى المجاهد».

والتوقف أمام الكلمتين وتحليل دلالة كل منهما يدرك منه أن كلمة الجندي وترسيخها كان عملا من ترسيخ الفرنسية في الجزائر والإنجليزية في مصر بعد الاحتلال، والكلمة التي تم إهدارها واغتيالها وهي (المجاهد) ارتبطت خلال تاريخها الطويل باستحدادها شحنات متدفقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فتراث الأمة المسلمة في مواجهة العدو الغازي، فضلا عن الرصيد الدلالي الهائل الذي جمعته اللفظة المصطلح من دلالات الشرعية والقبول والتعاطف والتراحم مع من يمثلها، بالإضافة إلى الجزاء الأخروي والكرامة الدنيوية لمن يقوم بمعناها، كل تلك الشحنات الدلالية ثم اغتيالها عندما أزاحتها المفردة المترجمة (الجندي)!

ومثل ذلك يمكن ملاحظته فيما بين مصطلحي (المرشد أو الشيخ) في المجال الدلالي نفسه، وبين كلمة (كولونيل) بما هي نبت غريب الوجه واليد واللسان عن حضارتنا ودينا.

ومن الحق أن الحضارة الحديثة في الميدان العسكري في مصر تعيينا كانت بارة عندما أعادت وضع المصطلح العسكري، وتأمل باب ألقاب الرتب العسكرية لأفراد جيشها تجده دالّا على حسن وعي جيل الرواد من قادة العسكرية المصرية بضرورة الوعي بعلاقة الهوية بالمصطلح، وهو الأمر الذي انعكس على عدد كبير من مصطلحات ألقاب رجال الجيش المصري وتكويناته لنلمح فيها المصطلحات التالية:

١- النقيب. ٢- الرائد. ٣- المقدم. ٤- السرية. ٥- اللواء.

وهذه المصطلحات العسكرية التي أوردها د.خالد فهمي في كتابه (كل رجال الباشا: محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، دار الشروق، القاهرة سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ترجمة: شريف يونس، ص١٥) تظهر عليها فكرة إعادة إحياء ألفاظ إسلامية ضاربة بعمق في السيرة النبوية تعيينا، فالنقيب لقب تعود أصوله الأولى في الاستعمال لبيعة العقبة، والرائد تعود جذوره واستعمالاته لواحد من وظائف النبوة فيما ظهر من أن النبي ﷺ رائد لا يكذب أهله، والمقدم هو لفظ يتعلق بطبيعة التكوين والتشكيل للأفراد على الأرض، وبما هي رتبة دالة على شجاعة افتتاح المعارك.

وتأتي السرية علما ظاهر الاستعمال قديما فيما كان يعده النبي ﷺ من تكتلات وتجمعات لأهداف جهادية... إلخ.

ومن كل هذا ندرك إدراكا جليا وظاهرا أن الحضارة المعاصرة في هذا اللحظة الحرجة من تاريخ الأمة العربية، لاسيما وهي تفتتح صفحة جديدة من عمرها، يلزمها أن تنتج مصطلحاتها الحاملة لمفاهيم الوجود، ومعاني العلم، ودلالات المعرفة من رحم المئذنة لتستقيم لها هويتها وماهيتها.

الإصلاح ضرورة شرعية وحاجة إنسانية

د. حسين شحاتة

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح كما جاء في قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ولقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (البخاري)، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

يستنبط من ذلك أن الإصلاح والنهي عن المنكر والتصدي للفساد ضرورة شرعية ومن مسؤولية الجميع، ولقد اهتم الإسلام بهذا فوضع له المنهج والبرنامج وهذا ما سوف نتناوله بشيء من الإيجاز في هذه الدراسة.

تحليل مظاهر الفساد

لقد استشرى الفساد في كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١)، ولقد تنبأ الرسول بذلك فقال ﷺ: «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهم: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» صدق رسول الله (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي).

الإصلاح ضرورة شرعية وحاجة إنسانية

يرى الفقهاء والعلماء والدعاة أن الإصلاح ضرورة شرعية ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: من الآية ٨٨).

كما أوجب الله على ولي الأمر القيام بالإصلاح فقال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

وتأسيسا على ذلك:

- هناك ضرورة شرعية للإصلاح الشامل لحفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال.
- هناك ضرورة شرعية للجهاد ضد المفسدين حتى لا يزدادوا فسادًا في الأرض.
- هناك ضرورة شرعية للتصدي لمن يعطلون تطبيق شرع الله ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.
- هناك ضرورة شرعية لتطهير المجتمع من المفسدين والمنافقين ومن في حكمهم لأنهم رأس الفساد في المجتمع.
- هناك ضرورة شرعية لمقاومة من يعتدون على الدين والنفس ومن يهتكون الأعراض ومن يشوهون صورة الإسلام ومن يسرقون الأموال.
- هناك ضرورة شرعية للتصدي للخائنين الذين يريدون تزييف إرادة الأمة بأموالهم المنهوبة من المال العام.

ولقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (البخاري).

- من يقوم بالإصلاح؟ ما صفات المصلحين؟

من صفات من يقوم بالإصلاح كما وردت في كتب الفقه والدعوة:

- الصلاح.
- الحلم والرحمة.
- الإخلاص.
- الأمانة والتواضع.
- الصدق.

خبير إقتصادي

- الوسطية.
- العفة.
- الوفاء.
- العزة.
- الشجاعة والعزيمة.

فالإصلاح جهاد ولا يقوم به إلا من يرغب أن يجاهد ويضحي ويتاجر مع الله، حتى ننتصر على الفساد لابد من جهاد، والجهاد يحتاج إلى تضحية، والتضحية تحتاج إلى رجال يؤمنون ويبايعون الله، والذين ورد فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١١١-١١٢).

فالإصلاح من مسؤولية الصالحين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، الذين يبايعون الله، والذين يضحون بكل عزيز لجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الكافرين والملحدين ومن في حكمهم السفلى.

● مشكلات عاجلة في حاجة إلى الحل

من أهم هذه المشكلات التي تستوجب الحل من أجل الإصلاح ما يلي:

● مشكلة البطالة: ومن سبل العلاج تشجيع الاستثمار وحماية الصناعة الوطنية والتركيز على الضروريات وترشيد نظام تمويل المشروعات الصغيرة و المتناهية في الصغر بالصيغ الإسلامية البعيدة عن الربا.

● مشكلة العنوسة: ومن سبل العلاج بناء مساكن شعبية ودعم وتيسير الزواج مالياً وإنشاء الصندوق الاجتماعي

ثمة ضرورة شرعية للإصلاح الشامل لحفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال

لتيسير الزواج.

● مشكلة المرض: ومن سبل العلاج إعطاء الأولوية لعلاج المرضى من الفقراء والمساكين.

● مشكلة التعليم: ومن سبل العلاج وضع استراتيجية جديدة لربط التعليم باحتياجات سوق العمل، وجعله حقاً لكل مواطن، وإصلاح حال المعلم، والتصدي لمشكلة الدروس الخصوصية.

● مشكلة الفساد: ومن سبل العلاج إصلاح نظام الإعلام ونظام التعليم والاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية.

● مشكلة العجز في الموازنة: ومن سبل علاجها الترشيد، منع الإسراف والتبذير، التركيز على الضروريات والحاجيات.

● مشكلة المديونية: ومن سبل علاجها الابتعاد عن التمويل بالفوائد الربوية، وترشيد الإنفاق والالتزام بالأولويات الإسلامية.

وهناك مشكلات أخرى يضيق المقام لعرضها وتحليلها.

المنهج الإسلامي للإصلاح

يقصد بالإصلاح في المنهج الإسلامي هو تقويم المعوج والمنحرف عن شرع الله، فقد رسم الإسلام للناس الطريق المستقيم الواجب السير عليه، وأصل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)، وقال الله لرسوله محمد ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يس: ١-٤). وكانت رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً هي الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فلم تقتصر فقط على المعروف بل ركزت على منع الناس من ارتكاب المنكر، ومن صوره الفساد، ولقد أمر الله الناس بذلك فقد قال تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، ولقد كان منهج رسول الله ﷺ ذلك، بل أوصانا بالتصدي للمنكر بالمنع والعلاج، فقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (مسلم).

وكانت هناك جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي من مقاصدها النهي عن الفساد، وفي مجال المعاملات في الأسواق أنشئ نظام الحسبة، حيث كان يقوم المحتسب بالاطمئنان على تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وكان سلطانه في بعض الأحيان تعذير المخالفين.

نداء من القرآن لمن يريدون الإصلاح

● ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:٢٤).

● ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩).

● ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: من الآية١٤).

● ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠).

المؤمن عمله كله عبادة

جاد الله فرحات

في الحديث المروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) والذي رواه أصحاب الكتب الستة والإمام مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال له «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، وفي رواية «عليها» حتى ما تجعل في فيِّ (فم) أمرأتك».

قال ﷺ: «إذا أنفق الرجل نفقة على أهله يحتسبها، فهي له صدقة» وكان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه فمر بهم شاب ذو صحة جيدة، فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما يدريكم أنه ليس في سبيل الله؟».

«إنه إن كان خرج يسعى على وُلده صغارًا فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان».

ويقول ﷺ: «في بضع أحدكم صدقة».

قالوا يارسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أريتم لو كان وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر».

فكل عمل يعمله المؤمن يبتغي به وجه الله يكتب له به أجر

فنوم المؤمن عبادة إذا نوى بهذا النوم التقوى على عبادة الله، وكان نومه على طريقة الرسول ﷺ كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»، وطعام المؤمن عبادة، إذا نوى التقوى على

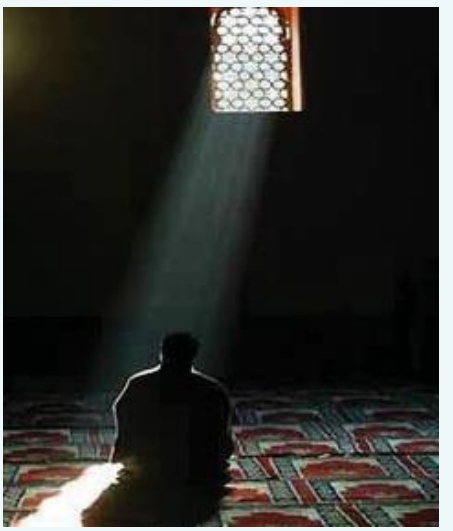

عبادة الله سبحانه وتعالى، وكان على سنة رسول الله ﷺ.

وكل عمل يعمله المؤمن يبتغي به وجه الله تعالى يؤجر عليه، حتى اللقمة التي يضعها في فم امرأته.

وأما ما يصيب المؤمن في هذه الحياة فهو كله له خير، كما في حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم).

فالمؤمن شاكر في حالة السراء، يعلم بقلبه أن جميع النعم مصدرها من الله سبحانه وتعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ (النحل: ٥٣).

حامد لله تعالى بلسانه يقول في الصباح: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

وإذا أمسى يقول مثل ذلك «اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

وإذا أكل طعامًا قال: «الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»

إلى آخر الأذكار التي تقال عند اليقظة «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وعند النوم «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وكفانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤي» (رواه مسلم).

وهو يستغل نعم الله في طاعة الله.

وإذا أصابته ضراء صبر واحتسب؛ لأنه يعلم أنها من عند الله تعالى، قال علقمة في قوله تعالى، في سورة التغابن آية ١١ ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾.

هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ويعلم أن هذا من إرادة الخير به.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له بالعقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»

وقال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»

يقول عبادة بن الصامت لابنه «يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»

والمؤمن يقول بلسانه عند المصيبة «الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون»

كما قال تعالى في سورة البقرة آيتي ١٥٦-١٥٧:

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما توفي أبوسلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ. (رواه مسلم)

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» (رواه البخاري).

ويقول ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (رواه البخاري). والأحاديث كثيرة

والحاصل أن عمل المؤمن في ليله ونهاره إذا احتسب الأجر واتبع سنة رسول الله ﷺ هو عبادة يؤجر عليها، ولو كان من أعمال العادة المباحة كالنوم والطعام.

وأن أمر المؤمن كله له خير في السراء والضراء، طالما علم أن المنعم والمبتلي هو الله سبحانه وتعالى، وتصرف كما أمر الله تعالى وكما أرشد رسول الله ﷺ.

ولقد كان ﷺ المثل الكامل فحياته ومماته كلها لله تعالى، كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام (آية ١٦٢) ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾.

وبقدر الاقتراب من هذه الآية الكريمة يكون المؤمن مقتربًا من التمسك بهديه ﷺ والتشبه به في أفعاله وأقواله وفي كل هديه وسننه ﷺ.

وإذا عمل عملًا من أعمال الآخرة رياءً وسمعةً كان عليه الوزر كما في الحديث الذي يرويه أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: فبماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء، فقد قيل ذلك. يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة». (صحيح الجامع).

ويكفينا حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أبوموسى الأشعري «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل مقيما صحيحًا» (رواه البخاري).

الإسلام دين الحرية

أسعد النوبي

لم يعرف في تاريخ البشرية منذ أن عرفت الدنيا أساليب الحكم وسياسة الشعوب قائدًا ومصلحًا مثل محمد ﷺ، فقد استطاع أن يغير وجه الدنيا وأن يحول مجرى التاريخ في فترة بسيطة لا تعتبر زمنًا بالنسبة لعمر الشعوب والأمم وحركات التاريخ، مما يدل على أن هذا النبي الإنسان مؤيد بقوة عليا تدير هذا الكون وتدير نظامه، ورسولنا ﷺ نبي أمي لا يكتب أو يخط بيمينه ولم يجلس إلى معلم ولكن ملأ الدنيا علمًا ونشر في ربوعها كلها حكمة وأمدها بزاد من المعرفة وبث في عقولها الصواب والرشد.

لهذا يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم، وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها فقد جاء بها لتعرفها العالم.

لقد بعث ﷺ وفي المجتمع الإنساني اصنام كثيرة عملت عملها في تقويض بنيانه ونشر الفساد في كيانه، وفي علاقات العالم الاجتماعية حطم المصطفى ﷺ صنم التعصب والتفرقة العنصرية، والإسلام لا يكره شيئًا ككراهية هذا التمايز العنصري بين الناس، ويبرأ ممن يثير العصبية مصداقًا لقوله ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل مع عصبية، وليس منا من مات مع عصبية».

وللأسف الشديد كما يقول الراحل محمد عطية الإبراشي في كتابه «روح الإسلام»: «ومازالت الأمم التي ترفع صوتها باسم الديموقراطية والحرية تقاتل عباد الله الأحرار الذين تسميهم الأجناس المكونة معاملة خاصة، فيها إذلال وسخرية وعنف واحتقار».

وقد نهى ﷺ عن مخاطبة العبد والأمة بأي عبارة يفهم منها الرق والعبودية حيث قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله»، فالرسول الكريم يكره كلمة عبد، وكلمة أمة، لأنهما ضد الحرية، وضد الإنسانية.

ومن تعاليمه ﷺ قوله: «لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت ان الناس لا تستعبد ولا تستخدم».

يقول الابراشي في كتابه «عظمة الإسلام»: إن من يطلع على تاريخ الأمم والأديان السماوية يجد أن الإسلام قد دعا إلى تحرير الأرقاء، وإزالة الرق عن بني الإنسان، وابتغاء مرضاة الله، وتقربًا إليه جل في علاه، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه» (البخاري ومسلم).

ولم يكتف الإسلام بالحث على العتق وتحرير الأرقاء، بل دعا إلى الإحسان إلى المملوك والخادم، قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦).

يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها

ففي هذه الآية الكريمة قد أمر الله بالإحسان إلى كثيرين، وذكر منهم المماليك والخدم.

وعن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ، فعيره بأمه، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (البخاري).

وقال ﷺ: «اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه» (البخاري).

وهنا نرى الإنسانية والعطف والشفقة والرحمة وحسن المعاملة جلية واضحة في الإسلام، فهو ينادي بأن تعطي الخادم أو المملوك مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلفه من العمل ما لا طاقة له به، وأن تنظر إليه نظرة تحفظ له كرامته وإنسانيته، وهنا تظهر العظمة الإسلامية في المعاملة الأخوية.

لغة وأدب

إعجاز الرواية القرآنية

يقسم النص الروائي طبقًا للوحدات الزمنية؛ لمعرفة كيفية ترتيبها وتربيطها وانسجام مفاصلها، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن القصص القرآني جزء لا يتجزأ من الإعجاز القرآني، وأن هذا القصص قد أثر في الغرب، كما أشار إلى ذلك مؤرخو الأدب الغربي.

وينقسم النص الروائي إلى مقاطع وصفية، ومقاطع سردية، تمثل المقاطع الوصفية تمثيل الأشياء الساكنة، أما المقاطع السردية فتتناول الأحداث وسريان الزمن، وبتتبعنا لسورة يوسف مثلا يمكن بسهولة أن نستخرج المقاطع الوصفية، أقصرها آية، وأطولها بضع آيات.

يقوم الوصف على مبدأين متناقضين، المبدأ الأول هو الاستقصاء، والمبدأ الثاني هو الانتقاء، يقوم الاستقصاء على تناول أكبر عدد ممكن من التفاصيل، في حين يقوم الانتقاء على تناول أقل عدد ممكن، وقامت الخلافات بين الكتاب- ولا تزال- على أيهما أكثر واقعية، وأيهما أكثر تعبيرًا؟!

تولستوي كان يرفض الاستقصاء، وبلزاك كان من أنصار الاستقصاء، وفلوبير بين الاتجاهين.

وقد فطن النقاد العرب إلى الظاهرة، فهذا قدامة يضع بين صفات الشعر الجيد ما أسماه التتميم، وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكتمل بها جودته شيئًا إلا أتى به.

وفي سورة يوسف نجد أن القرآن قد انحاز إلى الانتقاء في مواضع، وإلى الاستقصاء في مواضع، الاستقصاء على سبيل المثال وصف المراودة.. تناول تفاصيل التفاصيل في سبع آيات، من الآية ٢٣ إلى ٢٩ من السورة الكريمة، والانتقاء مثاله: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا...﴾ (يوسف: ٩٣).

وإذا كان التراث العربي يعد كنزًا لا ينضب قادرًا على إمداد الكتاب بالموضوعات والأفكار، فكثيرا ما نجد فيه سبقًا لأمور كثيرة تعد من القضايا المعاصرة، فما بالنا بالقرآن العظيم!!

عبدالرحمن أبو المجد

بعد سنوات الصخب

أدب المدونات.. إلى أين؟

القاهرة - دار الإعلام العربية

خلال السنوات العشر الأخيرة، شهدت دول عربية عدة أبرزها مصر ظاهرة «أدب المدونات»، والتي حظيت بكثير من الصخب في السنوات الأولى لانطلاقها، سيما أن هذه المدونات أزالت كثيرًا من العقبات التي يواجهها المبدعون في التواصل مع جمهورهم.. لكن مع التنامي السريع لمواقع التواصل الاجتماعي الأخرى مثل فيس بوك وتويتر ويوتيوب والتي تتسم بقدر لا محدود من المرونة والتفاعل الآني مع المتلقي، تأثرت ظاهرة «أدب المدونات»، فهل تلقت ضربة قاصمة عبر هذه المواقع، أم أن الأمر مناقض لذلك.. إلى التفاصيل:

«المدونات شاركت في التغيرات السياسية في البلاد العربية بمناقشة الوضع السياسي وتبني مبادرات وتجارب وإبداعات، جزء منها جدير بالاهتمام والمتابعة، وكثير منها كفثاء السيل، ثم جاءت مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيس بوك لتقلل من دور هذه المدونات بعد أن اتجه شباب المدونين لاستخدام خدمة «النوت» على الفيس لنشر أفكارهم».. هكذا لخصت آية الفقي صاحبة مدونة «قررت أكون عانس» التي تناقش العلاقة بين الرجل والمرأة من منظور إسلامي، حديثها حول واقع المدونات بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي.

تذبذب

يتفق معها المدون تامر مبروك صاحب مدونة «الحقيقة المصرية» التي تحوّلت إلى موقع إلكتروني يرأس تحريره، مؤكدا أن المدونات لعبت دورًا مهمًا سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي، مؤكدا أيضا أن تنامي دور الفيس بوك في السنوات الأخيرة لا يعني أيضا القضاء على أهمية المدونات، لاسيما أنها حققت في السنوات الأولى لانطلاقها قدرًا كبيرًا من الحرية التي لم يحلم بها المبدعون في يوم من الأيام، والذين عانوا لسنوات طويلة من الإقصاء والتهميش والاحتقار لإبداعاتهم، سواء في المنابر الإعلامية والثقافية، أو لدى دور النشر التي كانت تركز على أسماء بعينها بغض النظر عن قيمة المحتوى.

اتهامات لمواقع التواصل الاجتماعي بتهميش المدونات.. وآخرون يؤكدون العكس

ولفت إلى أن المدونات يمكنها أن تستعيد عرشها الذي تذبذب بسبب فيس بوك وتويتر ويوتيوب من خلال تفعيل سبل التواصل المباشر بين المبدع وجمهوره، لاسيما أنها تتميز أيضا بمساحة نشر أكبر من التي تتيحها مواقع التواصل الإلكتروني.

رد الجميل

بدوره، أكد المدون الفلسطيني تامر ثابانة صاحب مدونة «سباعنة» التي أنشأها على إحدى صفحات موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» أن المدونات بمختلف تخصصاتها تؤدي دورًا كبيرًا في نشر المعرفة وإثراء الساحة الثقافية بتجارب جديدة مما يساهم في تنمية وعي وفكر المواطن العربي ورفع سقف حريته وتفكيره وتعبيره عبر فضاءات رحبة.

ولفت في هذا الصدد إلى العديد من التجارب التي حققت نجاحًا كبيرًا في عالم المدونات الأدبية تحديدًا، مشيرًا إلى أن وحش العنوسة كان هو البداية التي انطلقت منها مدونة «عايزة أتجوز» للصيدلانية الشابة غادة عبدالعال، والتي أثارت ضجة كبيرة، خاصة بعد أن تحوَّلت إلى كتاب حقق مبيعات قياسية.. وهي التجربة ذاتها التي خاضتها باكينام إسماعيل، التي قاتلت الإحباط واليأس بالكتابة عبر الإنترنت من خلال مدونة «يوميات بنوته»، عبَّرت من خلالها عن حكاية كل بنت تقابل عريسها وتحدث لها مواقف طريفة ومتباينة.. أيضا رحاب أبوالعلا التي وجدت في فضاء المدونات مجالاً لإطلاق تجربتها الإبداعية التي تمخضت عنها أعمال لاقت نجاحًا كبيرًا منها «أنا مخنوقة»، «مشاكل البنات»، «كان فيه وخلص».. وأضاف أن النجاحات التي حققتها المدونات خاصة بالنسبة للمبدعين تجعل رد الجميل إليها أمرًا ضروريًا، ويتطلب ذلك ضرورة تفعيلها واتخاذ خطوات ملموسة نحو تطويرها لتواكب ما تتسم به مواقع التواصل الأخرى من جاذبية ومرونة.

إشهار مجاني

بينما يوضح المدون علي الجزائري في مدونته أن الفيس بوك من الممكن أن

يكون مصدر إشهار مجاني للمدونة إذا أحسن استخدامه، موضحا أنه من خلال الحساب الخاص يمكن التواصل ونشر آخر موضوعات المدونة في حائط الفيس بوك.

ويردف قائلا: «استفدت كثيرًا من الفيس بوك في الترويج لمدونتي والتعريف بها وجلب كثير من الزوار».

إلا أن أحمد صبري، الرئيس السابق لمجموعة الإنترنت بغرفة تنمية صناعة تكنولوجيا المعلومات، يؤكد بدوره تراجع دور المدونات أمام «الفيس بوك»، مبررا ذلك بأن المدونة تأخذ شكل الموقع ولا يوجد بها ميزة التواصل المستمر مع القراء، وهو الجانب الذي تتميز فيه مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى وعلى رأسها الفيس بوك.

طابع خاص

أما المدونة والأديبة الشابة بسمة العوفي فتؤكد أن التدوين نوع من الإدمان لا يعوضه التواصل عبر الفيس بوك أو تويتر، موضحة أن للمدونة طابعًا خاصًا يختلف عن غيرها من أنواع الكتابة الإلكترونية، فالفيس بوك وتويتر لهما إيقاع سريع قد يكون عيبًا أكثر من كونه ميزة، فقد يشغل القارئ العديد من الصور والفيديوهات التي يتم رفعها على هذه المواقع كل لحظة، بينما جمهور المدونة دائما ما يبحث عن المعلومة أو الإبداع بكل دقة.

وتابعت قائلة: عندما أطلقت مدونتي الساخرة «ناس مبالغ فيها» لم يعلق إلا أعداد قليلة جدا، لكن عندما وضعت رابطًا لها على الفيس بوك اشتهرت، وقام بالدخول عليها المئات والتعليق على ما تتضمنه من إبداعات.

إبداع مشترك

على مستوى آخر، يوضح الشاعر والناقد مكاوي سعيد أن موقعي فيس بوك وتويتر أضافا إلى أدب المدونات نوعًا من الإبداع المشترك بين المبدع والجمهور من خلال مشاركتهم بالتعليق مباشرة على إبداعه، وكان نجاح بعض التجارب الأدبية عبر المدونات سببًا في انتشارها وتزايد الالتفاف حولها.

وأضاف أن الفضاء الإلكتروني ساعد كثيرًا على انتشار تلك التجارب الأدبية، التي شكلت قاعدة جماهيرية عريضة انتقلت من المقاهي الثقافية والنوادي الأدبية إلى العالم الافتراضي.

وتابع قائلا: إن زيادة المترددين على المدونة والتعليق على ما تتضمنه من أعمال المبدع لا يعني بالضرورة كون هذا الإبداع أدبًا حقيقيًا سواء كان شعرًا أو قصة، وقد يفتح هذا الإقبال المجال لخداع الأديب سواء في حجم موهبته أو الحكم على العمل أيضا عن طريق أصدقائه على هذه المواقع، فغالبا ما يشوب نقدهم وتعليقاتهم كثير من المجاملة والنفاق.. لذلك لابد من تقييم هذا الإبداع بواسطة ناقد متخصص.

لا تلتزم القواعد

ويعلق الروائي أحمد الشيخ قائلا: الكتابة على المدونات لا تعد أدبًا بالمعنى المعروف، لكنها نوع من الكتابة التي يجب أن يتعامل معه بحساسية وترقب، ذلك أنها نوع من الكتابة فرضته مفردات الواقع، وغالبا ما تأخذ هذه الإبداعات شكل التعبير الذاتي الذي لا يلتزم بقواعد الإبداع الحقيقية.

وتابع: إن هذه الأشكال الجديدة في الكتابة بعيدة عن المدارس المختلفة في الكتابة كالواقعية أو السريالية أو الرومانسية ولا تعد شعرًا أو قصة أو كتابة مسرحية، لافتا إلى أنها قد تعبر عن موهبة حقيقية، غير أنها في حاجة إلى مزيد من الصقل والتمكين.

فضاء إعلامي وإبداعي

أخيرا، يؤكد د.هشام عطية، الأستاذ المساعد بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن المدونات لعبت دورًا مهمًا في النشر لمن لم يجد قناة للتواصل مع الجمهور على وسائل الإعلام التقليدية نتيجة محدودية حرية التعبير، فساهمت المدونات والفيس بوك في إيجاد فضاء إعلامي وإبداعي كبير، أتاح وسائل غير محدودة للتعبير ونشر الخواطر والرؤى، بعيدا عن الحظر والاحتكار والتضييق الذي طالما عانى منه المبدعون في وسائل النشر التقليدية.

عالم المدونات العربي.. الكويت تحل ثالثًا

واكب ظهور هذا العالم في وطننا العربي ضجة كبرى باعتبار هذه المدونات صوت من لا صوت له، وصوت كل من تاقت نفسه للتعبير عن رأيه بحرية دون التقيد بسياسة تحريرية لصحيفة أو قناة تتبنى فكرًا معينًا، خطوات بسيطة تؤديها على أي من المواقع التي تسمح بإنشائها بعدها تكون امتلكت مدونة، لك مطلق الحرية في اختيار اسمها وموضوعاتها وصورها الثابتة أو المتحركة.

وقد لاقت هذه الظاهرة قبولا كبيرًا بين جمهور الإنترنت عامة، والمبدعين على وجه الخصوص، حتى وصل عدد المدونات العربية وفق إحصائية عام ٢٠٠٨ إلى ٤٩٠ ألف مدونة، جاءت مصر في المرتبة الأولى من حيث عدد المدونات، تليها السعودية، ثم الكويت، ولاقت بعض المدونات شهرة كبيرة، وكان بعضها سببًا في شهرة بعض شباب المبدعين وتحولهم إلى كتاب بارزين تتسابق دور العرض التي كثيرا ما أوصدت أبوابها في وجوههم، تتسابق إلى كسب ودهم ونشر أعمالهم.

الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية

عبدالله محمد الكندري

تتميز الحضارات الإنسانية على مر العصور بمجموعة من السمات تميز كل حضارة عن غيرها، فالناظر في حضارة وادي النيل يعجب من إتقان بناء الأهرام وفنون الطب القديم والتحنيط في الحضارة المصرية القديمة، والمتابع لحضارة اليونان والرومان بعدهم يلفت نظره دقتهم في بناء المدرجات والهياكل، وحرصهم على تزيين القصور والقلاع.

وأما الحضارات الشرقية في الهند وبلاد فارس فلها صور أخرى من المميزات، فهي تميل إلى الإعجاب بالزينة والزخرفة وبهاء الألوان، وهكذا تتنوع هذه الصفات وتتعدد هذه المميزات من موضع لآخر، ومن حضارة إلى أخرى.

من أشهر ما تميزت به منطقتنا الخليجية نشأة فن الأختام بها، فقد تم العثور على أقدم أشكال الأختام التي صنعها الإنسان في منطقتنا الخليجية، ومنها انتقلت إلى سائر مراكز الحضارة الإنسانية في العالم.

وقد أسفرت سلسلة الحفريات الأثرية التي بدأت سنة ١٩٥٨م في الكويت، وخاصة في جزيرة فيلكا، عن مجموعة كبيرة من الأختام يقارب عددها ستمائة ختم، ويعود أقدم هذه الأختام المكتشفة إلى فترة الألف الثاني قبل الميلاد.

وقد صُنعت معظم هذه الأختام المكتشفة في جزيرة فيلكا من الحجر الصابوني، واتخذت الشكل الدائري الشبيه بالزر المقبب من الخلف، وهو الشكل المميز لأختام المنطقة التي تُعرف بـ«أختام الخليج العربي» و«الأختام الدلمونية».

ويدل شيوع هذه الأختام في المنطقة الخليجية على رقي المستوى الحضاري عند سكانها، وأنها دليل على توجه الإنسان نحو الاهتمام بالملكية الخاصة، حيث استخدمت هذه الأختام للتعرف على الممتلكات الشخصية، وختم المقتنيات الثمينة لحفظها، وكذلك ختم العقود والبضائع التجارية.

وأما ما ورد في اتخاذ الخواتم والأختام في شريعتنا الإسلامية، فأشهر ما جاء فيها الحديث المتفق عليه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

«إن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتمًا حلقته فضة، ونقش فيه «محمد رسول الله».

ومثله ما ورد في صحيح مسلم- رحمه الله- من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه:

«إن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة، ونقش فيه «محمد رسول الله» وقال للناس: «إني اتخذت خاتمًا من فضة، ونقشت فيه «محمد رسول الله» فلا ينقش أحدٌ على نقشه».

ومن ألطف من صنف في هذه المادة الشرعية الخاصة في الفقه، الإمام زين الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، رحمه الله تعالى، ت ٧٩٥ هـ،

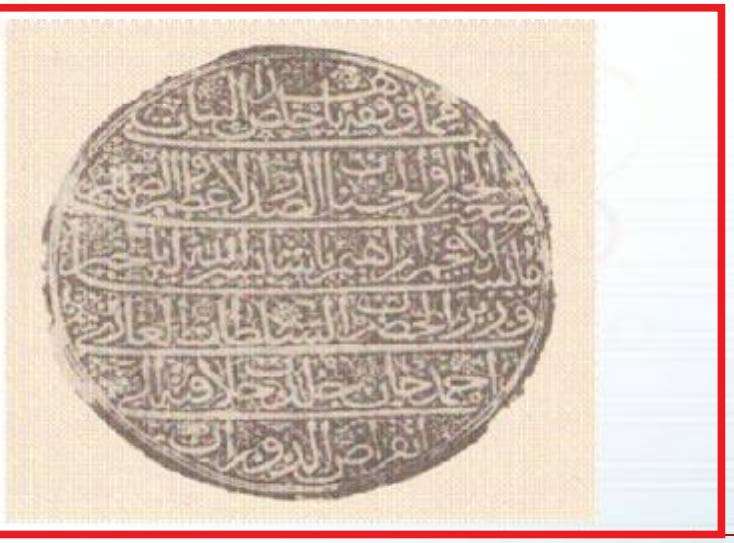

باحث في جامعة الكويت

الذي ألف كتابًا سماه «أحكام الخواتم وما يتعلق بها»(١).

ثم تنوعت الحاجات فيما بعد في اتخاذ الخواتيم، فمنها ما هو خاص بالعقود الشرعية من بيع وشراء وأنكحة، ومنها ما هو متصل بالقضاء وتنفيذ الأحكام، وأختام أخرى خاصة بالمراسيم السلطانية والمراسلات الملوكية، وغير ذلك من الشؤون العامة والخاصة مما يحتاج إلى ضبط وتوثيق.

ومن أشهر حاجات الأختام أختام الوقف، وللوقف أشكال وصور عديدة، فمنها ما كان وقفًا على الحرمين الشريفين مثلًا، وهناك أوقاف أخرى على المساجد والمدارس، وغير ذلك من أنواع الوقف، وهذه الوقفيات لا يزال الكثير منها مصانًا محفوظًا في مواضع وقفه، وكثير منها تعرض للضياع والتلف.

ومن اللطائف التي تُذكر لشروط الواقفين ما ذكره العلامة المؤرخ ابن العماد الحنبلي، رحمه الله تعالى، ت ١٠٨٩هـ، في كتابه الماتع «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، في وفيات سنة سبع وسبعمائة، في ترجمة رئيس مصر الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخرالدين محمد قوله:

وقال ابن فضل الله: رأيت إلى جانب تربته مكتب أيتام، وهم يكتبون القرآن في الألواح، فإذا أرادوا مسحها غسلوا ألواحهم وسكبوا ذلك على قبره، فسألت عن ذلك، فقيل لي: هذا شرط الواقف، وهذا قصدٌ حسنٌ وعقيدةٌ حسنة (٢).

ومن أبواب الخيرات التي شارك فيها معظم طبقات المجتمع الإسلامي وقف كتب العلم، ليدخلوا من باب قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم)، حتى أصبح وقف كتب العلم ظاهرة اجتماعية تميز بها المجتمع الإسلامي ولا يزال.

وقد تنوعت صيغ هذه الوقفيات العلمية من الكتب، فمن الواقفين من وقفها على ولده وولد ولده خاصةً دون غيرهم، ومنهم من وقفها على أهل مذهبه دون غيرهم من المذاهب، وربما خص الواقف أهل بلد دون غيرهم، مثل وقف كتب بعينها على رواق الشوام، أو رواق الأتراك بالأزهر الشريف، أو أن يكون وقفًا عامًا شاملًا لكل طلبة العلم.

والمتابع لنوعية الأختام الوقفية على أغلفة المخطوطات الإسلامية يجد بسهولة اهتمام المجتمع المسلم بكتب العلم، والحرص على وقفها على دور العبادة والتعليم، ويكتشف من خلالها نوعية المشاركين في هذه الوقفيات.

وربما جاء الوقف عبارة عن كلمة واحدة فقط بهذه الصورة «وقف»، وتزيد في بعض الأحيان لتصبح «وقف لله تعالى»، ثم تنوعت الأختام وتعددت أشكالها، واختلفت صيغ الوقف وأساليبه بحسب غايات واقفيها وشروطهم، لتصبح مادة علمية استفاد منها المؤرخون، لتقييم التطور الحضاري لهذه الأمة المباركة.

وهذه أمثلة عملية لأختام هؤلاء الواقفين، تنوعت فيها الشروط والتواريخ بجميع طبقات المجتمع الإسلامي، فمن داخل القصر السلطاني خاتم وقف للسلطان محمود خان، وخاتم آخر للصدر الأعظم رئيس الوزراء إبراهيم باشا، وخاتم ثالث لرئيس الكتاب مصطفى، ورابع لشيخ الإسلام فيض الله أفندي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا خاتم لنقيب الأشراف شيخ زاده محمد أسعد، وخاتم لرجل من عامة المسلمين يُدعى سليم آغا.

وللنساء نصيب أيضًا في هذا الباب الواسع من الخيرات، كما جاء في خاتم السلطانة مهرشاه سلطان أم أمير المؤمنين السلطان سليم خان، وخاتم آخر باسم امرأة تُسمى الحاجة عائشة، زوجة السيد الحاج أحمد جميل.

وللعلامة الأديب، القاضي الفقيه المالكي (٣)، أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي الإحسائي، رحمه الله تعالى ت ١٢٨٥هـ، قصيدةٌ لطيفةٌ في بيان فائدة أختام الوقف،

وكيف استفاد القاضي منها في إصدار أحكامه:

الحَمْدُ للهِ الذي قَدْ أبْطَلا
بِشَرْعِهِ حِيلَةَ مَنْ تَحَيَّلا
ورامَ بالحِيلَةِ أنْ يُحَلِّلا
ما حَرَّمَ الشرعُ لهُ وعَطّلا
وبعد ذا فأفْضَلُ التحيهْ
نُهدي إلى ذي الشّيَمِ المَرْضِيّهْ
فَقيهِ عصرِهِ بلا مُدافَعْ
ذي الفضلِ والعلمِ الشريفِ النافعْ
عبداللطيف ابْنِ أئمّةِ الهُدى
مَنْ نُصِرَ الدينُ بهم وجُدِّدَا
وبعد ذا يا صفوةَ الإخوانِ
طُرًّا ويا نادرةَ الزمانِ
ماذا ترى في رَجُلٍ لَئيمِ
يدعونَهُ الجُهّالُ بالحَكيمِ
أرادَ أن يَسْلُبَ وَقْفَ المَسْجِدِ
لِقِلّةِ التّقْوى وعِظَمِ الحَسَدِ
فاحْتالَ مَعْ جماعةٍ في وَرَقَهْ
مَكْذوبَةٍ مَصْنوعَةٍ مُخْتَرَقَهْ
حَوَتْ من كُلِّ باطلٍ مُزَيَّفَا
مِثْلَ دَمٍ على قَميصِ يُوسُفا

يدل شيوع الأختام في المنطقة على رقي المستوى الحضاري لدى سكانها

فَساقَنا الشيخُ إلى القاضي الذي
قَدمْتُهُ أكْرِمْ بِهِ من جهْبِذِ
أحْضَرَنا واسْتَنْطَقَ الخَصْمَ فَمَا
رَأى لَدَيهِ حُجّةً واسْتَعْجَمَا
حَتّى رَآهُ يُشْبِهُ المُبَرْسَمِي
يَهْذي ولَمْ يُحْسِنْ ما يُكَلِم
ولَم يَزَلْ عَنْ أمْرِهِ يَسْتَخْبِر
حَتّى بَدَا الأمرُ الذي لا يُنْكَرُ
صَكٌّ عليهِ خَتْمُ قاضي البَلَدِ
لا يستطيعُ جَحْدَهُ من أحَدِ
أثْبَتَ أنّ النخلَ وَقْفُ المسجد
فَزالَ لَيْلُ الشكِ والتردد
وقد أبانَ إنما الحكيمُ
مُزَوِّرٌ وأنه أثيمُ
بِجَحْدِهِ لذلكَ العَقارِ
وبَيْعِ مائِهِ الزُلالِ الجاري
قد باعَهُ بِمائَتَيْ ريالِ
صيغَةَ المُخادِعِ المُحْتالِ
وجاءَ بالتّمْويهِ للْعِبارَهْ
مُطَوَّلٍ لِمُدّةِ الإجارَهْ
إلى ثَلاثِمائَةِ سنينا
يُخادِعونَ اللهَ والذينا
تلاعُبٌ بالدينِ واسْتِهْزاءْ
كأنّهُم لَمْ يَقْرَأوا الإحْياءْ (٤)
فما تَرى في مِثْلِ ذا المُزَوِّرِ
هل هو بالتّأديبِ والحَبْسِ حَري
أو أنّهُ يَسْتَوْجِبُ النّكالا
كما نَرى في ديننا مُحْتالا
فأمِنْ علينا بالجوابِ الشافي
في رَدْعِكُمْ للظالمينَ كافي
لا زِلْتُمُ للعالَمينَ مَنْهَلا
ورادعينَ كُلَّ من تَحَيّلا
ثُمّ صَلاةُ اللهِ والسلامُ
ما اخْتَلَفَ الضياءُ والظلامُ
على النّبيِّ العَرَبِيِّ أحْمَدَا
وآلِهِ ومَنْ بِهَدْيِهِ اهْتَدى

الهوامش

١. أحكام الخواتم وما يتعلق بها لابن رجب الحنبلي- دراسة وتحقيق د. محمد محمود الوائلي- ١٩٨٧م- مطابع الرحاب بالمدينة المنورة.
٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: ٨/٢٨- دار ابن كثير- دمشق- بيروت- ١٩٩٢م.
٣. الأعلام للزركلي: ١/ ١٨٢.
٤. كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى.

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟

في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

العبء المعبّأ

الخطأ: معبء في.

الصواب: معبأ في.

الهمزة المتطرفة (في آخر الكلمة) تكتب بطريقة تناسب حركة الحرف السابق لها، بغض النظر عن حركة الهمزة نفسها.

فإذا كان الحرف السابق للهمزة مفتوحا، كما هو الحال في كلمة «معبَّأ» حيث إن الباء مفتوحة، كُتبت الهمزة على ألف لأن الفتحة تشبه الألف.

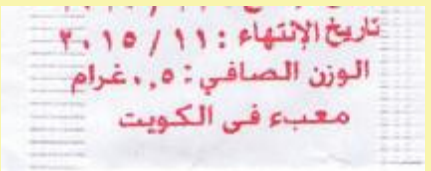

أما إذا كان الحرف السابق للهمزة مكسورا، كتبت على نبرة (تشبه في شكلها الياء، فالكسرة ياء قصيرة)، مثل شاطئ.

إما إذا كان الحرف السابق للهمزة مضموما، كتبت على واو، فالضمة واو قصيرة، مثل لؤلؤ.

وإذا كان الحرف السابق للهمزة ساكنا، كتبت على السطر. مثل بُطء وسماء.

الذهب النضار في أمر «الانتضار»

الخطأ: بانتضاركم

الصواب: بانتظاركم

الصحيح «انتظار»، وليس انتضار.. ولم أقف على كلمة «انتضار» في المعجم، لكن لو وجدت ستكون مشتقة من النُّضار وهو الذهب الخالص.

الخلط بين الضاد والظاء شائع جدا خاصة في الخليج، ويبدو أن كاتب هذا الإعلان معجب بكون اللغة العربية لغة الضاد، فحول الظاء إلى ضاد، والتفرقة بينهما ليست سهلة دائما، لكن يمكن اللجوء إلى المقامة الحلبية التي نظمها الحريري، وهي قصيدة جاء في جزء منها جمع لجذور جميع الكلمات العربية التي فيها حرف الظاء، فيكون ما عداها ضادا.. ويقول في بدايتها:

أيها السائلي عن الضّاد والظّا
ء لكَيْلا تُضلّهُ الألْفاظُ
إنّ حِفظَ الظّاءات يُغنيكَ فاسمعْ
ها استماعَ امرئٍ لهُ استيقاظُ

وهناك بعض الكلمات البسيطة الواردة في المقامة، والتي ترد بالضاد وبالظاء (مع اختلاف المعنى)، مثل ضل وظل، حضّ وحظ، لكنها قليلة ويمكن حفظها.

ويظن البعض خطأ أنه يمكن التفرقة بينها بمحاولة نطق الكلمة بلهجة أهل الشام أو مصر، فإذا نطقها ضادا، كانت كذلك وإلا كانت ظاءً.. وهذا رأي غير دقيق، فكلمات مثل عظم وظهر تنطق بالضاد في لهجات الشام ومصر.

وتظل الطريقة الأسهل والأضمن هي تعويد النفس على التفرقة بين هذا الكلمات من خلال الاطلاع، أو الرجوع إلى المعجم أو المقامة الحلبية في حال الشك.

مكر اللغة ودهاؤها

عبدالله أيت الأعشير

ابتسار موضوع «مكر اللغة» من الموضوعات القديمة الذي حلّقت فيه أجنحة الأوائل حتى أتوا فيه بالمتخير اللباب الذي أدرك كل الصيد في جوف الفرا. وقد بقي في بطون أمَّات الكتب والمعجمات ينتظر من يزيل عنه الأصداف التي تمنع المفنِّين وعموم القراء من إدراك خباياه وزواياه المغطشة. وفي هذا العصر الذي تداعت علينا فيه الأمم- نحن العرب- من كل جانب، يعد إهمال الاهتمام بهذا الموضوع نتيجة من نتائج الغفلة في التعامل مع ألفاظ وتعابير اللغة كخادم يساعد على تحديد المعنى، أما التعامل مع تلك الألفاظ والتعابير باعتبارها أخلاء وأخدان دُهاة ماكرين، بقدر ما يبدون مكنوناتهم، يصرون على إخفاء ما لا يصح إظهاره تأدبا وتلطفا تارة، وإمعانا في الإضمار والإخفاء لأغراض خبيئة تارة أخرى، فإنه ظل شأوا مُغرَّبا وعنقاء مُجنَّحة، لا يقدر عليهما إلا المترهبون الحذاقيون الذين عجموا عود النصوص وسبروا غور خبيئها الذي يصر مبدعوها على التعتيم واللبس والغموض، اعتمادا على طرائق تعبيرية أساسها الحذف والتقديم والتأخير والإيجاز والتعابير المجازية التي تتطلب فطنة وحذاقة ملمة بأسرار اللمحة الدالة والومضة البارقة التي تتخفى وراء غلالتها مثل تلك العبارات الساحرة.

إذ أعلن أني لست سوى فرع من أيكة أُبَيّناء الكلام العربي المبين الذين شقوا كَمَّ دهاء اللغة ومكرها، وأتوا فيه بما يعجز الطوق، فإنني أضع بين أيدي القراء هذه الكلمات والعبارات التي تعتورها الألسنة صباحا ومساء من دون أن ندرك أنها بمكرها ودهائها، تفعل في المجتمع ما يفعله السوس في الخشب. فلماذا نطوي كشحنا عن مثل هذه العبارات التي تشفع السم بالعسل، ولماذا بقيت هذه الناحية من البحث غير مستقصاة، ولماذا لوَّن الغرب اتجاهاته في هذا الموضوع ألوانا شتى وطرائق قددا؟ بينما نحن لا يمضي علينا الوقت من دون أن يقيم الشاهد على غفلتنا، كما يتجلى ذلك في غير قليل من هذه التعابير التي تجري رسَلات على الأسلات من دون أن ندرك غورها الذي يَعِد قيَمنا الأصيلة بالمحو والإبادة. ولقد أنهضني إلى الخوض في هذا الموضوع كثير من معارض العبارات التي عميت علينا أنباؤها ودسائسها، ومن ثمة نتناولها محلولا منعشا، ونشربها شرابا نميرا من دون الانتباه لصميم حقيقتها التي تدعونا أن نسلك طريقهم حذو النعل بالنعل. وقد وأيْتُ وغَزوتُ من هذا المقال أن أثير شهية المتأدبين للخوض في هذا الموضوع الذي يهدي إلى السبيل الناهجة، وأن أكون أنا النذير العريان لهذه الطرائق القدد التي تتشعب بنا إلى مزالق الرأي، ومضلات التدابير التي بدأت تمد رؤوس الشياطين في مؤسسات المجتمعات المدنية العربية. وقديما قيل: العاشية تُهيِّج الآبية.

لا ينتبه كثيرٌ من الصحافيين إلى خطورة استخدام عبارة «التبشير الديني» التي تحمل منتهى الخداع اللغوي

أولا: تحديد معنى المكر

جاء في الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري: «المكر: الاحتيال والخديعة» (١) وفي لسان العرب لابن منظور: «مكر: الليث: المكر احتيال في خفية... ابن سيدة: المكر الخديعة والاحتيال... والمكر: المَغْرَة... ويقال للأسد: كأنه مُكِرَ بالمكر أي طلِيَ بالمَغْرة. والمكر سقي الأرض؛ يقال: امكروا الأرض فإنها صُلبة ثم احرثوها، يريد اسقوها... والمكر ضرب من النبات... ابن سيدة: والمكر حُسن خدالة الساقين... ابن الأعرابي: المكرة الرُّطبة الفاسدة. والمكرة: التدبير والحيلة في الحرب. ابن سيدة والمكرة الرطبة التي قد أرطبت كلها وهي مع ذلك صلبة لم تنهضم». (٢) جاء في حاشية مقدمة محقق كتاب «الترجمان عن غريب القرآن» : «يرجع معنى المكر إلى أنه تدبير أمر في خفاء، ومعلوم بداهة أن ما يدبر في الخفاء لا يلزم أن يكون شرا، بل قد يكون خيرا، ثم اكتسب المكر في تصورات العامة صورة مستهجنة، تخصيصا منهم للمكر في تدبير ما هو شر...» (٣) إننا بإزاء ما يسميه علماء اللغة تخصيص الدلالة، حيث إن دلالة المكر في البدء كانت عامة تدل على تدبير أمر في الخفاء قد يكون للخير وقد يقصد منه الشر، ثم حالت أحوال قصرت استعمال اللفظة على الخداع والاحتيال، شأنها شأن كثير من الألفاظ التي يقص الاستعمال اللغوي بعض أطرافها مبقيا على معنى خاص نتيجة للتغيرات الذوقية والسياسية والفنية والاجتماعية والدينية مثل الألفاظ

مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين - المغرب

الآتية التي كانت دلالتها عامة ثم خصصت بشيء محدد: الصلاة والنفاق والفنان والسبت والمأتم والعذراء والتلاميذ والأستاذ والصفقة والكعبة وهلم على ذلك جرا وسحبا.

ثانيًا: دلالة لفظة المكر في القرآن الكريم

أورد القرآن الكريم هذه اللفظة (مكر، يمكر، مكرا، الماكرين، مكرهم، مكرهن، يمكرون، مكرتموه، مكرنا، مكروا، تمكرون...) سبعين مرة (٧٠) والملاحظ من استقراء استعمالات القرآن لهذا الجذر اللغوي، أن الله- جلَّ في علاه- تارة يبقي اللفظ من دون صفة، وتارة أخرى يلحق به صفة السوء والكُبَّار. قال تعالى من سورة فاطر آية ٤٣: ﴿استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله...﴾ وقال من سورة نوح آية ٢٢: ﴿ومكروا مكرا كبارا﴾. وقال أيضا من سورة النحل آية ٤٥: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض...﴾. إن الذي يقرو دلالة (المكر) ويكتلئ الاستعمالات التي وردت فيها، لا يساوره شعاع من الريب في أن القرآن الكريم أبقى على دلالة (المكر) عامة يراد بها تدبير أمر في خفاء قد يكون للخير، وقد يكون للشر. «والله تبارك وتعالى يمكر وهو خير الماكرين، ولذلك ذم الله المكر السيئ، ولم يذم مطلق المكر» (٤) وهذا يحذقه من كان دريا بلغة القرآن الكريم الذي لم يبق من روض الكلمات العربية الأبكار كلمة إلا افترعها وشق كمَّها، ولا عبارة شائقة ماتعة إلا اقتنصها بكَيفية معجزة تُوَلِّد عجائب لا تحصى ولطائف لا تستقصى، تدعو الباحث إلى الاستفراه والمكابدة والاعتيام وقرع ظنبوب الاجتهاد لأجل الظفر بشعاع من شمس معرفتها.

ثالثًا: دهاء اللغة

وهو مذهب يغزو التلطيف والتليِّين تارة، والدهاء والتغليظ والتعنيف تارة أخرى، لأجل حجب المعايب وتغليف القول المراد بطبقات أسلوبية معمَّاة تفضي بالمتلقي إلى التقبل والرضا، وبالمُرسِل إلى الفلج والظفر بالمراد. فهذا خليفة أراد حماية صديق له مُدمِن على شرب الخمر فقال للوالي: «إذا أحضر أحدهم هذا السكير، فاجلد الذي أحضره مائة جلدة، ثم اجلد السكير ثمانين جلدة! فلمَّا تسامع الناس بأمر الخليفة لم يجرؤ أحد على الشكوى من السكران!» (٥) ومثل ذلك مثل المنجِّمَيْن اللذيْن استطلعا مستقبل أحد الملوك فقال الأول للملك بأنه سيكون أول من سيتخَرَّمُه الموت من أهله، وهي حقيقة أفزعت الملك الذي أمر بطرده والإساءة إليه. ولما تسامع الآخر بخبر المنجم الأول قال للملك في حيلة ودهاء بعد أن تأكد هو الآخر من دنو أجل الملك: إنك يا مولاي لن تفجع بأحد من أهلك طوال حياتك. فسُرَّ الملك لمقالته وأكرمه، رغم أن المقالتين تتفقان في أن الملك هو أول من سيموت، لكن الثاني تلطف واحتال، ولم يقل كما قال الأول الذي لم يحترس بعقله من قوله. وفي إطار الملاطفة مع النبي ﷺ، وظف سبحانه وتعالى في سورة «المجادلة» فعليْن مختلفين في درجة التلطيف، فعندما تَعلق الأمر بكلام المرأة التي تشتكي زوجها للنبي ﷺ، استعمل فعل (تجادلك) وعندما اشترك معها الرسول ﷺ في الكلام تلطف القرآن قائلا: (والله يسمع تحاوركما) لأن التحاور ألطف وأليَن من الجدال والمجادلة.

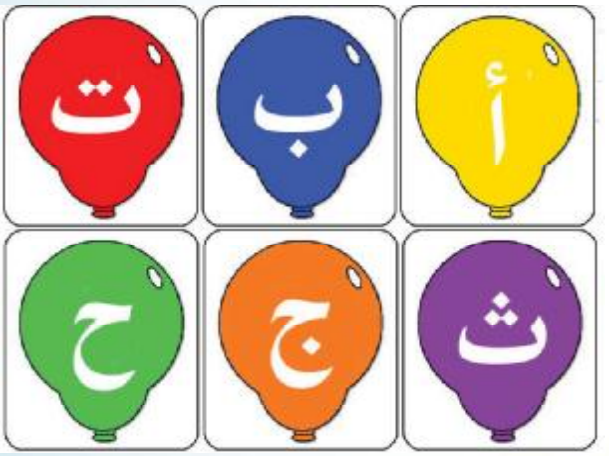

ويعد هذا الدهاء والتلطف الذي تجود به اللغة، طريقة أسلوبية حكيمة تنعت في البلاغة بأسلوب الحكيم، وهو ضرب لا يستطيعه إلا الحذاق المترهيون أبيناء الكلام العربي، إذ إن تتبع هذه الظاهرة اللغوية (مكر اللغة ودهاؤها) بات يتطلب فطنة وحذاقة ولوذعية قادرة على استجلاء الأغراض الخفية لبعض الألفاظ والعبارات التي تشفع السم بالعسل أملا في توجيه نظرة المجتمع نحو غايات سافلة، وقيم منحطة إن كتب لها الذيوع والانتشار فستذهب مستقبلا بالأوتاد، وتعصف بكيان الدول الإسلامية. لهذا وَأَيْتُ على نفسي وجردت العزم على هتك أستار تزيين وتلطيف بعض الأقاويل التي تروج لها بعض الدوائر التي انسلت من القيم الدينية كما تنسل الأفعى من خرشائها في مثل هذه العبارات التي تنكبت سبيل الحق في تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، مثل العبارات الآتية التي استوردناها من مدنية الغرب الذي يعوم في محيط من المفاسد الأخلاقية، التي يرجو- في إطار كونيته المسلطة على الضعفاء سيفا بتارا- أن نركب معه قاطرة العولمة بقضها وقضيضها من دون أن يسمح لنا بالتوفر على غربال واسع الثقوب يمكننا- في أثناء هزهزته- من الإطاحة بالمضلات الكُثر التي تفعل في هُويتنا العربية الإسلامية ما يفعله السَّرف في المال.

أ- تعبيرات الحقل الاجتماعي

- الأمهات العازبات.
- الأمهات الوحيدات.
- الأطفال المتخلى عنهم.
- الزواج المسيار.
- المثليون.

● التحرش الجنسي.

لا ريب أن مثل هذه العبارات التي لم نسمع بها وبمثلها في آبائنا الأولين، لا تنتشر إلا في المجتمعات التي ماسحها الغرب، وختلها ختلة السِّرحان، فزين لها سوء أفعالها حتى حادت، أو كادت أن تحيد عن القيم الدينية الأصيلة، ومن ثمة أضحت البَغيُّ أُمًّا عازبا، والبُهْتة ولدا مُتخلَى عنه تأمل قوله تعالى في سورة مريم لما بشَّرها المَلَك بعيسى عليه السلام. آية ٢٠: ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾ حيث سارعت إلى نفي صفة البغي عنها مثلما نفاها قومها عن أمها في السورة ذاتها. آية ٢٨: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾. وإذ ثبت بما لايدع رسيسا من الريب أن هذه العبارات وغيرها من إنتاج مجتمعات الغرب اللائكية، فإن أفضل ما نوطئ به الكلام في هذه الناحية الدعوة إلى تجفيف منابعها، ومحوها من الوجود العربي الإسلامي، لأنها عبارات من السوأة الصلعاء العارية عن الفضيلة. وإذا كان الغرب قد غرق في أوحال التفكك الأُسَريِّ والاجتماعي، وجعل أنفه في قفاه حتى انتهى إلى دركات الانحلال الأخلاقي التي يلبس فيها الحق بالباطل، فإن هذا الخطب البازل المستحكم، لا يميته إلا ترك هذه المُضلات، وتجفيف منابع تلك المفاسد بالعودة إلى القيم الإسلامية التي تحرم الزنا وتجرم النتائج المنكرة المتولدة عن تعاطي الفاحشة. إذ لا يخفى على الذابر الذي استوشى حقيقة هذه الاصطلاحات أنها بمثابة مقدمات الحروب الناعمة التي يدبرها الغرب اللائكي فتغنيه- في الغالب الأعم- عن تكاليف الحروب العسكرية، لأن المقاومة بالكلمة تتصدر الجيوش الحقيقية، فإذا لم تغن كلمات اللغة عن المقاومة بالفعل، فإنها تؤسس لمرحلة التخصيب والدهاء وزرع الأجنَّة اللغوية المُعَدَّلة على شاكلة عبارات السوأة الصلعاء الآنفة، لتدمير الخصوصيات اللغوية لصالح تيار العولمة المستأسد على دول الأطراف والحواشي، تخلخل وترجرج كلماتها وما تقوله تلك الكلمات رويدا رويدا، وعندما تطمئن إلى تمظهرات سمومها التي تسري في جسد تلك اللغات، ترفع رؤوس شياطينها، وتكسر رماح الكلمات التي تدافع عن حوزتها رُمْحًا رُمْحًا حتى لا تجتمع فتتأبى على الانكسار. وقديما قيل: يُبْلغ الخَضْمُ بالقَضْم.

ب- تعبيرات الحقل الديني

وفي الميدان الديني يبدو الدهاء والمكر والاحتيال في أوضح تجلياته، إذ إن الغرب المستبد أحكم خطة بزلاء تتمظهر تارة في لباس التشدد والغلظة، لعلمه أن للقسوة موضعا لا ينبغي الاستغناء عنها، كما في عباراته المنكرة الآتية، التي تكشف عن وجهه البغيض، الذي يتقصَّدُنا بالجافي من القول، والمنكر من الصفات التي تفتقر لأدنى شرائط التأدب والكياسة، مؤكدا في إصرار أن الذي يؤثر تلك الفعال فسوف يصلى سعير نيران طائراته، وكان ذلك عليه هينا يسيرا، كما يتبدى من الصفات والعبارات الآتية:

● محور الشر.
● الإسلاموفوبيا.
● الإرهاب والتطرف.
● الانتحاريون الفلسطينيون.

وفي أحايين أخرى يتبدى في لباس اللطف والمشاورة، لعلمه أن للتلطيف واللِّين موضعا ينتفع به، مستفيدا من نصائح المترهيِّين الدواهي في سياسة القَول «وكان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة، تنل حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة، فيجترئ عليك عدوك، وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك» (٦)، لذلك أحكم خطة ستربها إرْبه حتى يعرف بالمماسحة التي تقضي له حاجاته من دون كد، لأنه أبصر الثلَم والمعايب التي يتقحَّم منها على الشعوب المتخلفة التي يعُدُّها أغر من الظبي المُقْمر، ومن ثمة لا يتوانى في الظهور بمظهر المكر والتودد والاستمالة لأجل شرب عباراته المستفرهة المُعمَّاة شرابا سائغا نميرا، لأنه دبر خطة بزلاء أساسها انتقار المفردات والعبارات المغرية ببريقها وبرقها الخُلَّب مثل عبارة:

● «دولة إسرائيل» إذ لا امتراء أن هذه العبارة التي تنسب اليهود إلى أبيهم «يعقوب» تنبض بغير قليل من الدلالات الدينية التي توحي أولا بشرف الانتساب إلى إسرائيل، وآخرا بإقامة كيانهم على أساس ديني يدعو إلى العطف والشفقة من خلال استحضار عذابات « يعقوب» عليه السلام.

أما عبارة: «التبشير الديني» التي أصبحت تجري على ألسنة الصحافيين في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، من دون الانتباه إلى خطرها الإيديولوجي والديني، فإنه يسعى- من خلالها- إلى خلخلة يقينيات المسلم، من خلال التسويق للحمولة العاطفية التي تدل

عليها. إنه هو المبشر الحامل للخير والمحبة والسلام، بينما يدل غيره على التنفير والإرهاب. وهذا منتهى الخداع اللغوي الذي يركب السَّخَبر لتزيين تحويل الناس عن معتقداتهم، وكسب أنصار جدد ينضمون إلى لائحة الأقليات في المجتمعات العربية، ومن ثمة افتراء الدفاع عن حقوق معتقداتهم ولغاتهم، وهلم على ذلك جرا وسحبا.

ج- تعبيرات الحقل السياسي

- دول الطوق.
- عملية السلام.
- المستعمرات الإسرائيلية.
- محور الاعتدال.
- الشرق الأوسط الجديد.
- الاتحاد من أجل المتوسط.
- الحقوق اللغوية.

هذه العبارات التي ظاهرها الحياد، وباطنها من قبله التدليس، قد دبرت الإمبريالية والصهيونية جريانها على ألسنة الصحافيين، غايتها حجب الحقيقة التي تقولها بمكر سيئ ودهاء مدبر، تارة باعتماد التغليظ اللغوي الذي يظهر الجانب السيئ للعبارة، كما في عبارة: «الانتحاريون الفلسطينيون» الآنفة، وكأن الفلسطينيين ليست لهم قضية، ولم يفرض عليهم العدو أشد أنواع الحصار الذي لم يبق لهم سوى أن تتفتق عبقرياتهم عن طريقة جهادية فعالة لإرهاب العدو. أما عبارة «دول الطوق» فتكشف كما يؤكد د.نبيل علي في كتابه «العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول» عن إيديولوجية ماكرة مؤداها أن إسرائيل حمامة ترمز إلى السلام، ويطوقها أعداء لدٌّ يهددون كيانها، ولذلك يتعين على الغرب أن يقوي سلطانها على دول الممانعة. وإذا كانت عبارة «الحقوق اللغوية»- في ظاهرها- ترمي إلى الإنصاف والعدالة، فإنها عند إنعام النظر في خباياها، تسعى إلى تقويض التماسك المجتمعي والسِّلم اللغوي، بزرع الفتنة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد، وتأجيج الاقتتال

هناك بعض الحيل الأسلوبية التي تروج لها العولمة بوسائلها الذكية وحبائلها الشيطانية

حول الكلمات، وما تقوله تلك الكلمات واللهجات بالنسبة إلى كل طائفة من أبناء الشعب الواحد، لضمان الحماية اللغوية، وإنقاذ اللهجة من الموت، وامتلاك الوسائل الإعلامية المروجة لها. ومن ثمة تصوير تلك اللهجات كأنها مائدة المَنِّ والسلوى، التي يجب على العرب أن يأكلوا منها لركوب قطار العولمة. هذا نذير من النذر الذي يُطِل برأسه الشيطاني الليطاني على مشهد مأساة الانتحار اللغوي، والذي يقول في دهاء مدبر، وتواطؤ منكر: إن العربية الفصحى خرساء لا تكاد تبين، ومن ثمة يحسن بالعرب أن يستبدلوا بها اللهجات التي تزودها الشعوب بالخميرة اللازمة للبقاء والتواصل المفضيَيْن إلى تفتيت وحدة اللسان، ومن ثمة فقدان الثقة باللغة العربية الفصحى، والعزوف عنها وعن استعمالها، والتهاون في فقدان كلماتها وما تقوله تلك الكلمات! ويؤكد اصطلاح «عملية السلام» بما لا يدع رسيسا من الريب أن عملية السلام لا أول لها ولا آخر، فهي عملية طويلة الذيل، قليلة النيل، بحيث إن أي حل جزئي لقضية من القضايا، تتولد عنه أمَّات قضايا أُخَر لم تكن في الحسبان. وهذا هو السر في أن عملية التفاوض تراوح مكانها لا تبغي عنه بديلا، مادامت تسمح للصهيونية بقضاء مآربها في السيطرة على أكبر قدر من الأراضي الفلسطينية التي تنبت فيها المستوطنات كما تنبت الفطر بالدود.

رابعًا: تأزير

هذه نغبة طائر في هذا الموضوع الذي يجب أن تتوجه إليه نابهة الأمة العربية لتبصرة شعوبها بالمُنِّعلات التي يرمينا بها الغرب المعولم، فنزيل عن أعيننا العُصاب التي تحجب عنا حقيقته كاملة. وإذ أدْرِك أن البحث في موضوع «مكر ودهاء اللغة» سيتشعب في قادمات الأيام بعديد التحليلات والتسويغات والترجيحات، فإنني أرجو أن أكون أنا النذير العريان في الإبانة عن بعض الحيل الأسلوبية التي تروج لها العولمة بوسائلها الذكية، وحبائلها الشيطانية، التي تجعلنا نتمتَّك محلول مصانعها اللغوية التي تمدها بلاغة الدهاء بالوقود الكافي لإلقاء عصا التفرقة بيننا، وإلهائنا بسفاسف الأمور التي تذكيها الفتن اللغوية التي بدأت تطل برؤوسها الشيطانية المشتعلة بيننا على مستوى القطر الواحد. وقانا الله شر هذه العاقبة. آمين.

الهوامش

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية- تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور عطار- الجزء الثاني. باب الراء فصل الميم- ص ٨١٩ الطبعة ٤- كانون الثاني/ يناير ١٩٩٠- دار العلم للملايين بيروت- لبنان.

لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. المجلد الخامس. باب الراء فصل الميم. ص ١٨٣ و ١٨٤ الطبعة ٣- ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م- دار صادر. بيروت- لبنان.

الترجمان عن غريب القرآن. تاج الدين أبوالمحاسن عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله اليماني. دراسة وتحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم. ص ٤٦- الطبعة ١- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م. مكتبة البيان- الطائف.

نفسه.

أوراق منير العجلاني. كتاب المجلة العربية. العدد ٤٠٠. ص ٩٨- جمادى الأولى ١٤٣١هـ/ مايو ٢٠١٠ م. الرياض. المملكة العربية السعودية.

٦- الأدب الكبير والأدب الصغير. عبدالله بن المقفع. ص ١٧٧. دار الجيل. بيروت.

تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان

عبدالعزيز صالح العسكر
كاتب سعودي

كتاب جميل وسفر نفيس حوى معلومات نادرة، وأخبارًا كثيرة، وأرخ لأحداث مهمة، مما جعل الكتاب درة من درر العلم وجوهرة من جواهر التاريخ. ومؤلف الكتاب إمام من أئمة العلم والفقه واللغة والتاريخ، عرفه الناس قاضيًا ومعلمًا وفقيهًا وخطيبًا ومصلحًا، كان (رحمه الله) يرصد في أعماله كلها وأسفاره جميعها ما يمر به من أحداث، ومن عرفه من أئمة وحكام وعلماء، وخاصة من مات منهم في حياة الشيخ، فقد أملى الشيخ مئات الصفحات في التراجم وتوثيق أهم الأحداث.. ولكن ما أملاه لم يطبع في حياته، ثم سخر الله لتلك الأوراق والصفحات من يجمعها ويرتبها ويخرجها للناس في هذا الكتاب القيم.

حسب هذا الكتاب شرفًا ومكانة أن يكون من مؤلفات الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله باز- رحمه الله وغفر له، وقد سجل عليه رقم ٤٢ من سلسلة مؤلفات ورسائل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

أما جامع الكتاب ومحققه فهو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، وأخرجت طبعته الثانية دار «أصالة الحاضر» في الرياض عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، في ١١٥ صفحة.

وكتابنا هذا على صغر حجمه حوى- كما أسلفنا- درًرا ثمينة في التراجم وتوثيق الأحداث نشير في السطور التالية إلى بعض منها:

١- رجوع أبي الحسن الأشعري إلى السنة.

٢- مولد الحافظ الدارقطني.

٣- وفاة ابن جرير.

٤- وفاة الشيخ عبدالعزيز الحصين.

٥- مولد الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

٦- مولد الشيخ عبدالعزيز أبي حبيب الشثري.

٧- مولد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومحمد تقي الدين الهلالي.

٨- دخول الملك عبدالعزيز الرياض، ومقتل عجلان بن محمد.

٩- وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

١٠- وفاة الشيخ حمد بن فارس.

١١- تعيين الشيخ عبدالعزيز بن بشر في قضاء الرياض، والشيخ عبدالله بن دهيش في قضاء الإحساء.

١٢- نقل الشيخين ابن زاحم وعبدالعزيز بن صالح إلى قضاء المدينة.

١٣- قدوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من إفريقيا حاجًا، واستقراره في المدينة.

١٤- تعيين الشيخ ابن صالح مساعدًا لإمام المسجد النبوي.

١٥- افتتاح المعهد العلمي في الرياض وتعيين الشيخين محمد الأمين الشنقيطي وإبراهيم الشنقيطي فيه.

١٦- وفاة الشيخ صالح الزغيبي واستقلال الشيخ ابن صالح بإمامة المسجد النبوي.

١٧- افتتاح كلية الشريعة بالرياض وانتقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إليها.

١٨- وفاة عبدالوهاب عزام.

١٩- افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة وانتقال الشيخ ابن باز لها نائبًا لمديرها وانتقال الشيخين محمد الأمين الشنقيطي وإبراهيم الحصين إليها.

٢٠- وفاة ملك اليمن أحمد حميدالدين، وولاية ابنه البدر، وثورة عبدالله السلال عليه والحرب في اليمن.

٢١- بعثة مشايخ الجامعة الإسلامية لنيجيريا، والانقلاب فيها، ومقتل الزعيمين أحمدو بللو وأبوبكر تفاوا.

٢٢- إعدام سيد قطب، ووفاة الشيخ عبدالرحمن الحصين.

٢٣- وفاة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٢٤- تولي الشيخ ابن باز رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض، وانتقال الشيخ إبراهيم الحصين معه، وتولي الشيخ عبدالله بن حميد رئاسة مجلس القضاء الأعلى.

٢٥- تولي الشيخ الحركان الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.

٢٦- وفاة الملك خالد، ومبايعة الملك فهد، ووفاة الشيخ عبدالله بن حميد.

٢٧- وفاة الشيخ محمد الحركان.

٢٨- وفاة الشيخ صالح بن علي الناصر.

٢٩- وفاة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

٣٠- وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ صالح الخريصي.

ولمعرفة أسلوب الشيخ وطريقته في الترجمة نختار أنموذجًا (مثالًا) من تلك التراجم، فتحت الرقم (٦٣) قال الشيخ: «فائدة تاريخية: توفي الشيخ العلامة د.محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسيني في الدار البيضاء في المغرب في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ شوال ألف وأربعمائة وسبعة، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في المهديين، وضاعف له الحسنات، وكفَّر عنا وعنه السيئات.

وكان مولده (رحمه الله) في محرم من عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر، أخبرني بذلك (رحمه الله) مشافهة، وبذلك يكون قد عاش سبعًا وتسعين سنة إلا شهرين وأيامًا، وكان عالمًا فاضلًا باذلًا وسعه في الدعوة إلى الله سبحانه أينما كان، وقد طوّف في كثير من البلاد، وقام بالدعوة إلى الله سبحانه في أوروبا مدة من الزمن، وفي الهند، وفي الجزيرة العربية، ودرَّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله مؤلفات منها: «الهدية الهادية للفرقة التجانية» وكان أول حياته تجانيًا، ثم خلصه الله منها، وردَّ على أهلها، وكشف عوارها، ومن مؤلفاته الأخيرة «سبيل الرشاد» وقد خلَّف ابنين وبنتين أو ثلاثًا، وفقهم الله، وأصلح حالهم، وجبر مصيبتهم، وقد صلى عليه جم غفر، ودفن في مقبرة الدار البيضاء، جمعنا الله به في دار الكرامة، وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، إنه جواد كريم. حرر في ٢٢/ ١١/ ١٤٠٧هـ» ص ٦٩- ٧٠- ٧١.

هذا مثال من تراجم الكتاب، وبه تتضح خصائص أسلوب الشيخ في كتابه، ونستطيع أن نستخلص من هذا المثال الخصائص التالية لأسلوب الشيخ:

١- جاء الكتاب وفاء من الشيخ لمن ترجم لهم، فمنهم الحكام والملوك الذين تولوا حكم البلاد ونفع الله بهم البلاد والعباد، ومنهم العلماء الأجلاء سواء منهم الأئمة في العصور الإسلامية السابقة، وهم غالبًا ممن يرد ذكرهم في دروس الشيخ ومناقشة طلابه.. ومن العلماء الذين ترجم لهم- كما أشرت إلى ذلك في سرد الأسماء- العلماء المعاصرون للشيخ، وقد عرفهم عن قرب وأحبهم وأحبوه.

٢- كان الشيخ يملي الترجمة من ذهنه على أحد كتابه، ثم لا يعيد فيها النظر أو يزيد عليها، فجاءت التراجم عفوية، وبعاطفة صادقة وأسلوب سهل واضح.

٣- السمة الواضحة للتراجم الإيجاز فبعضها لا تزيد على بضعة سطور ويندر أن تزيد على صفحتين.

٤- كان الشيخ منصفًا لمن ترجم لهم، فلا يعني ترجمته للعَلَم التزكية الكاملة له، وإنما يشير الشيخ (رحمه الله) إلى فضائل العَلَم وجهوده ومكانته وبذله وجهاده، مع التلميح إلى الملحوظات عليه أو المآخذ- إن وجدت، وقد يصرف النظر عنها إن كانت يسيرة وقد تغيرت في آخر حياة العَلَم.

٥- كان الشيخ جريئًا صريحًا في ذكر بعض الأحداث للتوثيق التاريخي، وقد أثبت المحقق بعض الأخبار والأسماء وحذف بعض الاستطرادات في مواطن محدودة مما له علاقة بأمور انتهت ولا مصلحة في نشرها، وذكر ذلك في مقدمة التحقيق ص ٩ م.

٦- ما أحوجنا إلى مثل هذا الكتاب من مثل ذلك الشيخ فأقواله شهادة لمن كتب عنهم، وتوثيق لأحداث وخصال ربما لا يعلمها الناس عن الأئمة والعلماء، فعسى الله أن يمد علماءنا بعونه وتوفيقه وتسديده ليكتبوا لنا مثل هذا الكتاب النفيس، وينقلوا لنا مآثر العلماء والدعاة وأخبارهم وإنتاجهم.

غفر الله لشيخنا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ورحمه وجمعنا به في دار كرامته، وجزى الله من أخرج هذا الكتاب وأشرف عليه وشرحه وخرج نصوصه خير الجزاء وأعظم لهم الأجر والثواب، وقد قدموا بعضًا من الوفاء لشيخنا، ونفع الله بهذا الكتاب إنه جواد كريم.

قصيدة الحج في الشعر العربي الحديث

عبدالهادي صافي

لاشك أن تجربة الحج من التجارب الإنسانية الخالدة، تلهم الشعراء والأدباء، وتمنحهم من روعتها وجلالها عواطف وأحاسيس روحية عميقة، وهي على تنوعها وألوانها وأطيافها تثير أخيلة الشعراء وتمدهم بصور حسية وواقعية، وتهيج في نفوسهم أرقى أنواع المشاعر الإنسانية، وتفتق أذهانهم عن معان كبيرة، ترتد إلى التاريخ الأول للدعوة الإسلامية في أول انطلاقها من الجزيرة العربية، وتعيش حاضر المسلمين المؤلم والمتردي مع الأسف، وتتطلع إلى مستقبل أرحب حين تتحقق أهداف الأمة الإسلامية والعربية.

إن هذه التجربة القدسية تدعو الشعراء أن يقفوا أمام مسؤوليتهم الأدبية ورسالتهم، فيعبروا بحق عما يجيش في نفوسهم من آراء سياسية وأفكار دينية عامرة منحتهم إياها المواقف المتعددة الألوان في هذه المناسبة الدينية السامية، فلبس الإحرام له معنى التجرد من زخارف الحياة، ومناسك الحج من طواف وسعي لها في كل منسك معانيه الدينية والإنسانية، والوقوف بعرفات متجردين متساوين على اختلاف عروقهم ولغاتهم وألوانهم بلباس واحد يغمره البياض الناصع كالحقيقة الواضحة.

ولغنى هذه التجربة الدينية المقدسة وخصوبتها نجد كثيرًا من الشعراء قد صوروا مشاعرهم فيها، ووصفوها لنا وصفًا دقيقًا وواقعيًا.. ونأخذ من الشعراء المحدثين الذين أبدعوا قصيدة الحج أمير الشعراء أحمد شوقي في رائعته التي يقول في مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تُوَلي وجهة البيت ناضرًا
وسيم مجالي البشر والقسمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تَزف تحايا الله والبركات

ثم يأخذ في وصف الكعبة الغراء، والميزاب، وزمزم في عاطفة قوية متأججة، ورمي الجمرات في صور متتابعة، وكأنها تجري حركتها أمامك هذه اللحظة:

وفي الكعبة الغراء ركن مرحب
بكعبة قصاد وركن عفاة
وما سكبَ الميزاب ماءً وإنما
أفاض عليك الأجر والرحمات
وزمزم تجري بين عينيك أعينًا
من الكوثر المعسول منفجرات
ويرمون إبليس الرجيم فيصطلي
وشانيك نيرانًا من الجمرات

وما يفتنك بشعر شوقي هو هذه الموسيقى الساحرة التي تتناسب مع جلال الموقف وروعة المشهد، هذه النجوى التي يطلقها ويناجي بها ربه معترفًا بتقصيره وطامعًا بعفوه ومغفرته:

ويا رب هل تغني عن العبد حجة
وفي العمر ما فيه من الهفوات؟
وأنت ولي العفو فامح بناصع
من الصفح ما سودت من صفحاتي

ويختلط الإحساس بجلال المكان المقدس بهموم عامة يشعر بها كل مسلم يعيش واقع أمته المتردي، وخاصة عندما يقف الحاج أمام قبر الرسول ﷺ فتكون هذه المناجاة الرائعة:

إذا زرت يا مولاي قبر محمد
وقبلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت مع الدمع العيون مهابة
لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية
وضاع أريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات؟

وهناك شاعر سوري حديث، لا يقل شعره روعة عن شعر شوقي، وهو الشاعر بدوي الجبل الذي تخيل أنه يسير في رحلة إلى بيت الله الحرام، ويعتذر عن عدم تحقيقها، فيعيش بروحه وخياله هذه التجربة الكبيرة التي، كما قلت سابقًا، تدعو كل شاعر إلى وصفها، والعيش في أجوائها شعرًا وخيالاً وتصويرًا:

وأقعدني عنك الضنى فبعثتها
شوارد شعر لم ترع بضريب
أقمت وآمالي إليك مجدة
تلف شروقًا معتمًا بغروب

ويصور الكعبة الزهراء والنور المتدفق منها، والشذا والوحي، ويأتي على ذكر الأماكن المقدسة.. الحطيم وزمزم، وكلها أماكن لها ذكريات عطرة، وتترك أثرًا كبيرًا في النفس عند ذكرها، وتلهب

باحث لغوي

القلوب لوعة وحنينا لزيارتها ورؤيتها:

هنا الكعبة الزهراء والوحي والشذا
هنا النور فافني في هواه وذوبي
ويا مهجتي: بين الحطيم وزمزم
تركت دموعي شافعًا لذنوبي
وفي الكعبة الزهراء زينت لوعتي
وعطر أبواب السماء نحيبي

ويصف في قصيدته هذه الطويلة مواكب الحجيج كالأمواج، يدعون الله ويلحون في الدعاء، تردد الصحراء صدى هذا الدعاء، وقد اجتمعوا من كل حدب وصوب يضوع الشذا من بردهم وهم جميعًا متساوون نظائر:

مواكب كالأمواج عج دعاؤها
ونار الضحى حمراء ذات شبوب
ورددت الصحراء شرقًا ومغربًا
صدى نغم من لوعة ورتوب
تلاقوا عليها من غني ومعدم
ومن صبية زغب الجناح وشيب
نظائر فيها: بردهم برد محرم
يضوع شذًا: والقلب قلب منيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواغبًا
بأفيح - من عفو الإله - رحيب
وذل لعز الله كل مسود
ورق لخوف الله كل صليب

ويهمنا في هذه القصيدة الثناء على الإسلام الذي وحد الأمم ومحا الأحقاد من القلوب، وكان نور هداية للإنسانية جميعًا، ورحمة على العالمين، فينطلق البدوي في هذه الابتهالات:

ويا رب في الإسلام نور ورحمة
وشوق نسيب نازح لنسيب
فألف على الإسلام دنيا تمزقت
إلى أمم مقهورة وشعوب
سجايا من الإسلام: سمح حنانها
فلا شعب عن نعمائها بغريب

سبك متين، وصور فنية متلاحقة، وعاطفة إسلامية صادقة جامحة، كلها تحقق عناصر الشعر الرائع، فمن يقرأ هذه القصيدة الطويلة يحس كأنه يعيش أجواء الحج، ويشعر كأنه في رحاب الله وفي الأماكن المقدسة، وهذه مقدرة من الشاعر أن يجعلك تعيش تجربته الشعورية، وهذا من سمات نجاح القصيدة الشعرية كذلك، وهذا ما يسميه النقاد بالصدق الفني الذي يعتبر أحد الأسس الذي تقوم عليه القصيدة الشعرية، فالقصيدة متخيلة ولكنها توهمك بأنها حقيقة، لصدق مشاعرها وصدق أسلوبها الفني، تقرأ أبيات القصيدة فيشدك الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة، وتتبلل عيونك بالدموع حسرة، لأنك لم تكن مع جموع الحجيج تلبي معهم، وتذرف العبرات، لأنك لم تستطع أداء الحج، وتتحرق إلى زيارة الرسول ﷺ تشكو له همومك، وهموم أمتك التي رانت عليها، وسيطرت على كل حياتها، وتتوسل وتتضرع أن يكون مستقبل هذه الأمة أحسن حظا من الأيام السابقة، وأن تتوحد كلمة المسلمين على البر والتقوى.

وما يلفتنا في قصيدة البدوي نغمها العذب الذي يتوافق مع الجو الروحاني، والوزن الشعري (البحر الطويل) الذي يتلاءم مع الرحلة الطويلة وهي تجوب الصحراء والفيافي، واستخدامه لتراكيب وألفاظ صحراوية، وكأنها تنتمي إلى الشعر العربي القديم (عج دعاؤها- نار الضحى حمراء ذات شبوب - أناخوا الذنوب المثقلات لواغبًا). ونقف عند بعض الصور الفنية الجميلة مثل (وعطر أبواب السماء نحيبي)، (تلاقوا عليها من غني ومعدم ومن صبية زغب الجناح وشيب)، (ورددت الصحراء شرقًا ومغربًا صدى نغم من لوعة ورتوب).

وهناك قصائد كثيرة وردت في الشعر العربي الحديث، وكلها قصائد رائعة، تجري على هذا النسق البديع من الشعور بالشوق واللهفة لأداء فريضة الحج وتصوير واقعي لمشاهد المناسك السعي والطواف والموقف بعرفات ومزدلفة ومنى والبيت الحرام والكعبة الزهراء بجلالها وروعتها.. كما يقول احد الشعراء المحدثين يصف هذا الشوق وهذه المشاهد التي تتكرر كل عام، فهو في قصيدته يصور حالته الشعورية وقد فاتته فريضة الحج، وهو يرى الحجاج يتأهبون للرحيل، قاصدين بيت الله الحرام، فيأخذه الشوق والحنين، ويذرف الدموع حسرة وأسى، ويتراءى له البيت الحرام بجلاله ووقاره:

خلفوني مع الدموع وراحوا
ليتهم من وداعهم قد أراحوا
فجروا في الفؤاد نبع حنين
يا بروحي حنينه الوضاح
وسماء أسمو إليها وأسمو
وضياء يلفني لمّاح
وسحاب يقتادني ونجوم
وأغانٍ علوية وبطاح
وتجلى البيت الحرام وقارًا
وجمالا أفياؤه والساح
وجلال الأستار في الكعبة الغراء
نور من الهدى ووشاح

ويستمر على هذا النسق الرائع في وصف المشهد المقدس: الناس المحرمون، وزحام الطواف والتلبية والجو السماوي يلف المكان الرحيب:

وبرايا والمطهر عريان يمشي
وزرتاه إيمانه والسماح
يا بر وحي الإحرام مورد تقوى
وتساو وروعة وانفتاح
وزحام الطواف نفحة حب
وحنان الدعاء روح وراح
وتعالى الصوت الحبيب جهيرًا
تلبيات ترجيعها صداح
واقع تخشع القلوب إليه
ومقام العز فيه الصلاح

ويقف أمام قبر الرسول ﷺ يشكو ذنوبه وحوادث الأيام وهموم الحياة، متمنيًا

أن يسعده الله ويأذن بسفر إلى بيت الله الحرام:

يا رسول الأنام طال ضياعي
في مسيري وزلزلتني رياح
وخيالي إثر الحجيج شفاني
وسقتني بصفوها الأقداح
أتراني أحظى بسفرة حج
في حياتي أم فاتني المصباح

ونرى أن الشعراء المغمورين الذين لم تسلط عليهم الأضواء يأتون بشعر قد يكون أروع وأعمق من شعر الشعراء المشهورين البارزين، ففيه الصدق والتواضع، بعيدًا عن حب الظهور والبروز.. فيبقى شعرهم أشد أثرًا وتأثيرًا في النفس، وجاء شعرهم- حقًا- مزينا بثوب قشيب من الحسن والجمال.

وأريد أن أختم هذا الحديث عن قصيدة الحج بشاعر آخر، لا يقل براعة وإبداعًا عن الشعراء الذين تحدثنا عنهم، فصحيح أنهم مغمورون، ولكن إذا أتيحت لهم فرصة للظهور، وطبعت دواوينهم وآثارهم الأدبية، لعرفهم الناس ولقدروا إنتاجهم الأدبي، واستطاعوا أن يقوموه تقييمًا صحيحًا، يضعهم في مكانهم اللائق في دنيا الأدب وعالم الشعر.

أريد أن أستعرض قصيدة لشاعر امتلك كل أدوات الشعر الجيد، من خيال خصب، ومعانٍ شعرية عميقة، وتناسق في الألفاظ، وقوة في التراكيب، وسوف أدلل أثناء الحديث على مكامن القوة في الأداء، والخصوبة في الخيال، والمشاعر الدينية الصادقة، لأخلص إلى أن الشعر الإسلامي الذي يطرح أفكارا إسلامية، ويصور أحداثا دينية، ويصور مناسبات مقدسة، لا يقل روعة وجمالا عن سائر القصائد التي تصور وتتحدث عن قضايا إنسانية أخرى غير دينية.. وأحب أن أشير في هذه الدراسة إلى أن الأدب الإسلامي إذا توافرت فيه عناصر الجمال والقيم المعنوية، يكون من الآداب الجديرة بالقراءة والمتابعة، أما إذا أهمل الجانب الجمالي في الشعر والأدب، واعتمد على رصانة المعاني التي يقدمها ويطرحها فحسب فإنه يكون بذلك قد أهمل عنصرًا مهمًا في العملية الإبداعية وهو عنصر الجمال، وينتج عن إهمال هذا الجانب أدب باهت لا حظ له من الروعة والإبداع، إذ إن أهم عنصر من عناصر الشعر هو عنصر الجمال الفني، وعليه مدار التفوق بين الشعراء، ولو فقد هذا العنصر لاقترب من النثر، ولفقد الجمال فيه، وهو- أي عنصر الجمال في الشعر- يخلب العقول ويجدد الإحساس بالروعة، ويضيف إلى القارئ المتعة النفسية، وقد يكون الجمال الصادر من الشعر يأتي عن طريق الصور الشعرية والخيال الجانح، وقد يكون من التناغم الموسيقي ومن تناسق الألفاظ وانسجامها مع المعاني والأفكار، وقد يكون من هذه العناصر جميعًا.

والشاعر الذي أعرض بعض الأبيات من قصيدته التي جاءت في ديوانه «نسيم الصباح» تحت عنوان «هنا تذرف العبرات يا عمر» يشكو في مطلعها من الهجير وقفر المرابع وذبول الزهر في الساح، ويشكو من بعض الخطوب التي نزلت به، فيطلق بعض الحكم والحقائق التي يراها ماثلة أمامنا، فليس في الأرض الواسعة وفي البهارج والأضواء التي تحيط بنا إلا حصاد هشيم يجلب السهد والهم، وقد آن للقلوب الحائرة المضطربة أن تستريح في ديار الله وتستريح من طول الجهد والعناء:

هذي ديار حباها الله منزلة
يهفو إليها.. إلى أفيائها البشر
ربوعها السحر لا يرقى لها قلم
والسحر يدرك لا يأتي به الخبر
خذني إلى (البيت) تسعى في جوانبه
نسائم بأمان الله تنتشر
في بطن (مكة) قدسي الشعاع سرى
فما تحس سوى الأنوار تنهمر

وفي كل منسك من مناسك الحج يشعر بالسعادة الروحية والوجدانية، وبالمتعة الإيمانية، فعند الطواف تظلنا سحابة من الأمن والاطمئنان فلا تحس بخوف ولا بخطر، وعند المقام ركعتان.. جنان الكون تختصر، ونرتوي من ماء زمزم وكوثره العذب الذي يغسل كل كدر وبلاء، والملتزم يلوز به الحاجون، وتقبيل الحجر الأسعد والدموع الحانيات التي تذرف في شوق وفي وله:

تعال نشرب صفاء الود كوثره
هذا المعين فلا طين ولا كدر
تعالى (نسع) إلى روض تظلله
سحابه الأمن.. لا خوف ولا خطر
وفي مقام (خليل الله) موقفنا
والركعتان: جنات الكون تختصر
تبدت الكعبة الزهراء حالية
مجلوة.. فعيون القوم تنبهر

لقد التقى في هذه الأبيات: جلال المعاني مع جمال المباني، قدسية العواطف والمشاعر مع نورانية الصور والمفردات والحروف، فجاءت القصيدة محلقة في أجوائها الإيمانية، تتطلق بجماليات إبداعية يحسها كل قارئ وذائق. والأبيات التي قدمتها تعتبر نموذجًا طيبًا وصالحًا للشعر الإسلامي الرفيع الذي نرنو إليه.

وفي الختام، فقد لاحظنا أن قصيدة الحج في الشعر العربي الحديث تتسم بسمات فنية وخصائص أسلوبية تميزها عن غيرها من القصائد التي كتبت في تجارب شعرية أخرى، وأهم هذه السمات شفافية التعبير، وحرارة الأداء، وجمال التصوير والتلوين.

أسرتي

التربية هي الحياة

إن العملية التربوية هي عملية بناء اجتماعي إنساني شامل ومستمر، لابد أن تقوم على موروثات اجتماعية وعقيدة معينة، فالإنسان ليس تركيبًا عضويًا فقط، بل سلسلة من القيم والسلوكات، تنحدر إليه من الماضي الذي قامت عليه بيئته، وكلما تشرَّب الإنسان من هذه البيئة صعب تغيير أفكاره ومعتقداته، قد يتغير بالشكل ولكن ذيول الماضي تلاحقه، إلا إذا كانت التربية الطارئة أقوى تأثيرًا من التربية التي نشأ عليها.

فعندما جاء الإسلام بالتربية الجديدة السامية رفضها الجاهليون بسبب تربيتهم الجاهلية المتأصلة في نفوسهم، إلا أن التربية الجديدة تغلبت عليهم لقوة الإسلام وصلابته.

وقد أرسى الإسلام قواعد تربوية كانت بحق «جامعة خصبة لشتى أنواع الفنون والعلوم والآداب، بالإضافة إلى رسالتها في تكامل البعدين الروحي والمادي لشخصية الفرد، بما يحقق خيره وصلاحه في الدنيا، وسعادته وتطهيره في الآخرة».

د. طارق البكري

د.إبراهيم رجب:

الأسرة والمدرسة شريكان في تحمل مسؤولية تدهور العلاقة بين الطالب والمعلم

حوار: تسنيم الريدي

منذ أكثر من ثلاثين عامًا عرضت مسرحية «علموهم الحب» في فرنسا والتي كانت النواة لفكرة مسرحية «مدرسة المشاغبين» في مصر مع اختلاف المضمون والرسالة والهدف، فقد نجحت الأولى في التأكيد على أن الحب والاحترام يسهل التعليم، في حين زرعت الثانية كل معاني عدم الاحترام وسوء الأخلاق والسلوك في التعامل بين الطالب والمعلم وبين الأب وابنه، والتي كانت ومازالت قدوة للشباب والمراهقين في تعاملهم مع معلميهم، والتي كانت سببا من أسباب تدهور العلاقة بين الطالب والأستاذ إلى يومنا هذا.

وقد أجريت أخيرا دراسة في بيت لحم بعنوان «إشكالية العلاقة بين المعلم والطالب في المرحلة الثانوية في المدارس الخاصة في محافظة بيت لحم من وجهة نظر المعلمين والطلبة»، والتي خرجت بعدة نتائج أهمها وجود بعض المشكلات الأسرية بين الآباء والأبناء وانعكاسها على تعامل الطلاب مع أساتذتهم، وبناء على ذلك رصدت الدراسة نظرة متشائمة من معظم المعلمين إلى مستقبل التعليم بسبب تراجع قيمة المعلم وعدم احترام الطلاب له.

وقد يستطيع المعلم أن يجرب العديد من طرق التدريس ويختار ما يجده مناسبا للطلاب من خلال تفاعلهم معه بشكل جيد، وذلك لتفعيل دور الطالب في الدروس فيتعلم الطالب بذاته عن طريق التجربة من الخطأ والصواب، وأخيرا فعلى المعلم أن يكسب قلب الطالب ليكسب عقله، والمعلم الموهوب هو الذي يجذب الطالب إليه بل ويدفعه إلى الحرص على التعليم وبذل كل جهده للتفوق والتميز بين صفوف زملاءه، وذلك من خلال شعورهم برغبة المعلم الداخلية في تطوير مهاراتهم وقدراتهم العقلية، من خلال تبادل الأفكار بينهما مع الحفاظ على احترام أفكار الطلاب مهما اختلفت معه، وتقبله لأخطاء وهفوات الطلاب وعدم القسوة خلال تعامله معهم أو تعنيفهم.

توجهت «الوعي الإسلامي» إلى الدكتور إبراهيم عبدالرحمن رجب أستاذ السياسة الاجتماعية والتخطيط، قسم الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع، كلية التربية، بجامعة الأزهر، ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية السابق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعضو أكاديمية العلوم بنيويورك (قطاع تاريخ وفلسفة العلوم) والذي تحدث معنا حول هذه القضية في هذا الحوار:

• زادت العلاقة بين الطالب والمعلم توترًا في الفترة الأخيرة، بما جعلها تأخذ مكانًا في ساحات المحاكم والقضاء مع ارتفاع نسبة العنف فيها.. ما تفسيركم لذلك؟

■ لا يمكن فهم تلك الظاهرة بمعزل عما يجري في المجتمع ككل، إنها مجرد عَرَض آخر من أعراض ما يسمى علميًا بعملية «التفكك الاجتماعي» Social Disorganization التي استشرت نتائجها في كل جوانب الحياة في مجتمعنا وازدادت حدة في الحقبة الأخيرة، والتفكك الاجتماعي يعني عجز النظم الاجتماعية الأساسية في المجتمع عن أداء وظائفها بكفاءة. والظاهرة التي نحاول تفسيرها الآن (اضطراب العلاقة بين الطالب والمعلم) إنما تتصل مباشرة بحجم القصور المفزع الذي أصاب اثنين من أهم هذه النظم الاجتماعية وأضعف قدرتها على القيام بواجباتها الأساسية ألا وهما «النظام الأسري» و«النظام التعليمي». فالأسرة والمدرسة شريكان أصيلان في المسؤولية عما يحدث مما يؤدي إلى هذه الظاهرة وعشرات أخرى بجانبها. لكن المجال يقصر هنا عن البيان التفصيلي لأبعاد وطبيعة مسؤولية كل طرف منهما بالتحديد الواجب، كما أن المجال لا يتسع للحديث عن العوامل السببية المؤثرة من خارج هذين النظامين اللذين يتأثران بالضرورة بأوضاع النظم الاقتصادية والسياسية والترويحية والإعلامية في المجتمع، بل والمؤثرات التي تفد إلينا من خارج المجتمع.

• يعتقد البعض أن وسائل الإعلام كان لها دور كبير في تشويه العلاقة بين الطالب والمعلم وإعطاء الضوء الأخضر للطلاب بعدم

احترام المعلمين وعلى رأس ذلك ما قدم في «مدرسة المشاغبين»... ما رأيكم؟

■ لا جدال في الخطورة الكبرى للتأثيرات التي تمارسها أجهزة الإعلام والترويح التجاري على النشء والشباب بل والكبار، فالتوجهات التي تتبناها تلك الأجهزة والقائمون عليها تصبح بمثابة الزاد الفكري اليومي الذي يتم استقباله وتبنيه دون وعي خصوصًا من جانب الفئات الحساسة شديدة التقبل للإيحاء من أحداث السن، وأكتفي هنا بالإشارة إلى حالة «مدرسة المشاغبين» التي نقلها مؤلفوها ومخرجوها عن فيلم أميركي رائع يحمل رسالة تربوية راقية فحولها «أهل الفن» في بلادنا إلى مسخ مجنون لا يحمل أي قيمة راقية – بل وكأنه قد تم تصميمه خصيصا لهدم كل قيمة راقية في العلاقة بين الطالب والمعلم ! بل وفي المجتمع ككل.

● وهل «للدروس الخصوصية» دور في تضخيم حجم المشكلة؟

■ «الدروس الخصوصية» إنما هي مؤشر حاسم دال على مدى التفكك الاجتماعي الذي أصاب النظام التعليمي في البلاد. وأخطر ما فيها أنها تضع رقبة التلميذ (أي درجاته) في يد مدرس الفصل الذي يملك نجاحه ورسوبه في سنوات النقل، في نفس الوقت الذي تضع فيه رقبة المعلم في يد التلميذ وأولياء الأمور الذين يملكون المال الذي يحتاجه المعلم ليعيش هو وأسرته. لكن الأمر يتطور ويصبح أكثر تعقيدا بعد ذلك بتدخل النفوذ الاجتماعي للأهل النافذين أو المعلمين من ذوي الاتصالات.. وتلك مجرد رؤوس أقلام.

● هل للتربية في رياض الأطفال وقبلها دور الحضانة دور في تربية النشء سواء في احترام المعلم وتقديره أو على عكس ذلك؟

■ رياض الأطفال ودور الحضانة جزء لا يتجزأ من المنظومة التعليمية، لها دورها الكبير في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وهي تتأثر بما يتأثر به النظام التعليمي ككل، ولكنها أكثر حساسية للعلاقة بين أولياء الأمور والإدارات القائمة على تلك الدور، وخصوصًا في حالة

الدروس الخصوصية مؤشر يدل على مدى التفكك الإجتماعي الذي أصاب النظام التعليمي

تقاضي مصروفات عالية تجعل الإدارة تحت رحمة أولياء الأمور، ثم إن أصحاب تلك الدور والقائمين على الإدارة ينقلون تلك الضغوط إلى المعلمين الذين تضيع هيبتهم في نظر التلاميذ وهم في بداية حياتهم التعليمية، مما ينتقل معهم إلى بقية المراحل.

● يعاني بعض المدرسين من انعدام الضمير حيث أصبحت المدرسة متنفسًا للمعلم لتفريغ ما بداخله من مشاكل شخصية، وقد انعكس ذلك سلبًا على العملية التعليمية، برأيكم ما سبب ذلك وكيف تخرج كليات التربية مدرسًا متميزًا؟

■ تلك قضية متعددة الأبعاد، ولا يجوز تبسيطها بهذا الشكل، فالمسألة تبدأ من اختيار الطلاب الذين يقبلون بكليات التربية (الذين هم بدورهم نتاج لمنظومة التعليم قبل الجامعي بكل ما فيها!) ثم نوعية وتوجهات أساتذتهم، ثم طبيعة المناهج والمقررات (المثقلة بالنظريات ذات التوجهات المادية المستوردة من ثقافات أخرى لا يمكن للطالب التوحد معها، والتي لا يذكر فيها تقوى الله أبدًا) ثم نوعية التربية العملية أو التدريب الميداني الذي يتحصل عليه الطلاب، ونوع الإشراف الذي يقوم به الأساتذة عليهم، والذي لا يتضمن بوضوح كاف الأبعاد الخلقية للطالب ولا الخوف من الله عند تقويم التربية العملية.. هذا من جهة مسألة تميز الخريجين. لكن إذا أسكن الخريج المتميز (إن وجد) في وظيفة أفقدها المجتمع تميزها، ووضع في محيط يخنق التميز ويحاصره فأنى لنا الحديث عن الضمير، إذا كان المعلم يعيش في جو عام أضاع مكان الضمير وقصّر في إعلاء شأنه بين الناس.

● أخيرًا ما مقترحاتكم العملية لإعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب، وما دور الوالدين في ذلك؟

■ في ضوء ما سبق يتضح لنا أن إعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب مرتبطة بإصلاح أوضاع الأسرة من جانب وإصلاح المنظومة التعليمية من جانب آخر، إضافة إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية والسياسية والمؤسسات الإعلامية والترويحية في المجتمع ككل، فليست هناك وصفة سحرية خاصة نستطيع أن نقدمها للأسرة لتقوم «وحدها» بإعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب، ولو أننا أعطينا الأسرة قائمة بما يمكن لها أن تفعله في هذا السبيل لسارع الآباء والأمهات بمطالبتنا بتقديم مثلها للمعلمين الفاسدين (في رأيهم) لكي يتقوا الله في تعليم أبنائهم.

مهارات تحبيب أطفالنا في القرآن

تحقيق: آمنة محمد

منح أحد التابعين معلم ابنه مكافأة سخية، حيث حفظ الابن الفاتحة، وقال للمعلم: إنه لو كان يملك ما هو أكثر من هذه المكافأة لأعطاه إياه، لأن ما حفظه الابن أثمن من أية نقود. هكذا فهم الأولون قيمة تحبيب الأطفال في القرآن وربطهم به لسانًا وأخلاقًا، وأدركوا أهمية جعل القرآن جزءًا مهمًا في حياة هؤلاء الأبناء يشبون على تلاوته وحبه وحفظه.

نحن نعلم جميعًا فضل القرآن وفضل تعلمه وتعليمه، فقد دعا سيدنا محمد ﷺ أصحابه والتابعين من بعدهم إلى تعلم القرآن وقراءته، وشجعهم على حفظه، وكان يقدم الحافظ على غير الحافظ، ويقول: «وأحقهم بالإمامة أقرؤهم»، و«خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (رواه مسلم).

وقوله: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (رواه مسلم).

ونحن كآباء وأمهات علينا أن نحرص على تعليم القرآن لأطفالنا، واليقين بأنه عقل المؤمن ودستور حياته إذا تمسك بتعاليمه لن يضل أبدًا، كما أن القرآن هو خير ما يثبت النفس، ويفسح أمام العقل آفاق العلوم والمعارف الإنسانية.

وحب الطفل للقرآن يعينه على حفظه وبعده عن آفات اللسان كلها، كما أن الطفل إذا أحب القرآن وفهمه ثم عمل به كان هذا صدقة جارية في ميزان حسنات والديه يلبسهما الله بهما تاج الكرامة يوم القيامة.

وهناك بعض الوسائل التي تحبب الطفل في القرآن، منها:

- القراءة أمامه، وخاصة لو كان الوالدان يقرآن معًا.
- إهداء الطفل مصحفًا خاصًا به، يتجاوب معه ويشعر بملكيته ومكانته.
- تحفيزه وتشجيعه على دخول المسابقات القرآنية.
- تسجيل صوته وهو يقرأ، فهذا يشجعه ويحثه على التجويد والتحسين.
- الدفع به إلى حلقات المسجد، وحثه على إمامة المصلين في النوافل.
- الاهتمام بأسئلة الطفل حول القرآن، والحرص على الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل مبسط وميسر.
- قص قصص القرآن على الطفل، فهو يحب القصص.

كيف يحفظ؟!

ومن واقع خبرة عملية يقول الشيخ محمود بقوش- إمام وخطيب ومحفظ-: إن أفضل مراحل تعلم القرآن الكريم هي فترة الطفولة المبكرة (٣-٦ سنوات)، حيث يكون عقل الطفل يقظًا، وملكات الحفظ لديه نقية، ورغبته في المحاكاة والتقليد قوية.

وهناك مفاتيح عدة تعين الوالدين والمربين على تحبيب الطفل في القرآن.

أولًا: احترام طفولته، حيث إن الطاقة الحركية لديه كبيرة، وقد لا يستطيع الجلوس صامتًا منتبهًا طوال فترة التحفيظ، لذلك لا مانع من تركه يتحرك وهو يسمع أو يردد تحت نظر المحفظ أو أحد الوالدين.

ثانيًا: المكافأة، وذلك بإهدائه شيئًا يحبه حتى ولو قطعة حلوى، كلما حفظ قدرًا من الآيات، أو الثناء عليه أمام زملائه أو رسم نجمة في كراسته، فإن زاد في الحفظ زدنا له عدد النجوم، وهكذا.

ثالثًا: للفهم دور كبير، فشرح معاني الكلمات بأسلوب شيق، وبه دعابات وأساليب تشبيه، مما ييسر الحفظ والاستحضار.

رابعًا: احترام عقليته، فعلى الوالدين والمحفظين ألا يستهينوا بعقل الطفل، إذ إن لديه قدرة كبيرة على تخزين المعلومات، فلا تكون الإجابة عن الأسئلة سطحية هشة، بل

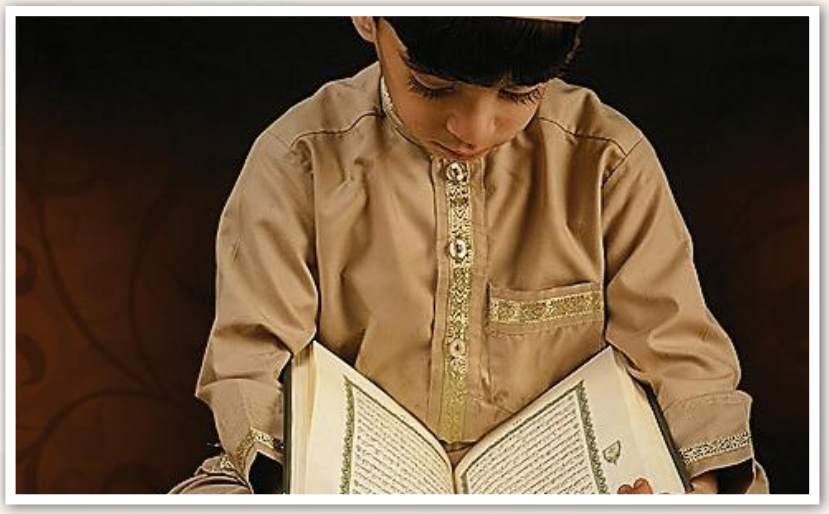

يجب أن تكون مقنعة حتى لا يشعر بالدونية والاستهانة به.

خامسًا: التنافس، فغرس روح المنافسة بين الأطفال مهم جدًا، فأفضل ما يمكن أن يتنافس عليه الصغار هو حفظ كتاب الله، على أن يكون المحفظ ذكيًا لا يقطع الخيط الرفيع بين التنافس والصراع، ولا يزرع في نفوسهم الحقد على زملائهم المتميزين.

سادسًا: بالحب تبلغ ما تريد.. ومن الضروري عدم الإسراف في عقاب الطفل غير المستجيب، فيكفي إظهار الغضب، وإذا استطاع المحفظ أن يحبب تلاميذه فيه، فإن مجرد شعور أحدهم بأنه غاضب منه لأنه لم يحفظ سيشجعه على الحفظ حتى لا يغضب منه المحفظ مرة أخرى.

سابعًا: مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، على المحفظ أن يعرف سبب تعثر بعض الأطفال في الحفظ.. هل هو نقص في القدرات العقلية؟ أم وجود عوامل تشتيت في المنزل؟ وغير ذلك بحيث يحدد طريقة التعامل مع كل متعثر على حده.

ويشير الشيخ محمد إلى أن أنسب السور للطفل وأيسرها حفظًا من قصار السور؛ لأنها تقدم موضوعًا متكاملا في أسطر قليلة، فيسهل حفظها، ولا تضيق بها نفسه.

ثامنًا: لا تسأم من كثرة طلباته.. حيث تجب المسارعة إلى تلبيتها قدر المستطاع، خاصة إذا طلب الذهاب إلى قضاء الحاجة، مع العلم بأنه لن يطلبها بلسانه، بل سيكتفي بتحريك أصبعه السبابة (الإشارة المعروفة)، وكثيرًا ما يطلب الأطفال ذلك.

معايشة القرآن

وتوضح د.منى سلامة أن من أكثر مصادر قوة الأمة الإسلامية هو تقديسها وتعظيمها للقرآن الكريم، ولا خلاف على أن القرآن هو سر نهضة الأمة وريادتها وسيادتها بل وقيادتها للأمم.

وتطرح د.منى سؤالا: لماذا مع وجود القرآن بين أيدينا ومن حولنا لم نصبح قادة الأمم علميًا وإيمانيًا وأخلاقيًا؟

وتؤكد أن السبب ليس القرآن، ولكنه عدم فهم وتفعيل معانيه في الحياة، وعدم تطبيق أخلاقه ومعاملاته.

ومن هنا، جاءت فكرة مشروع يعمل على تعليم الأطفال معاني القرآن وتطبيقه في حياتهم ومعايشته ليل نهار، حتى يستشعر الطفل أن هذا القرآن قد جاء له هو في عصره الذي يحيا فيه - في غرفة نومه وملعبه وفصله- ولم يجئ لقوم سابقين ولا لعصر ماض، فيدرس القرآن بالطرق العصرية التي يحبها الأطفال، ويتفاعلون معها، ويجدون في حصة القرآن الكريم التشويق والمتعة والحركة والمناقشة والنشيد واللعبة، ولكي تستكمل الفائدة نقوم ب تدريب المعلمين والمربين من خلال دورة تدريبية تؤهلهم لتعلم مهارات التدريس الأساسية لتطبيق البرنامج، وتوصيل المعنى القرآني بالأنشطة للأطفال في مختلف الأعمار.

وتؤكد د.منى أنه ما تم مراعاته في هذا العمل السعي لغرس ثلاثة معان أساسية لدى الأطفال، وهي:

- القدرة على النقد والتمييز بين الصواب والخطأ لإعطاء صورة حقيقية عن الواقع، ليعين الطفل، ليس فقط على فعل الخير والثبات عليه، ولكن أيضًا مدافعة الشر ومقاومته.
- تغليب الجانب العملي والابتكاري على الجانب القولي والخطابي، والسعي إلى إتقان العمل وجودته والتعاون مع الآخرين من أجل تحقيقه، والتوازن في هذه الأعمال بين ما يعود مردوده عليه شخصيًا أو المجتمع المحيط به، ووصولا إلى العالم والكون.
- التفكير المستقبلي الذي يجعل الطفل متطلعًا إلى الأفضل دائمًا ومقدمًا أحسن ما لديه من أجل حياة أفضل في الدنيا وثواب أعظم في الآخرة.

أهم الوسائل

- اختيار المحفظ المناسب أو توجيهه إلى الأساليب المناسبة.
- أن يحب الطفل المحفظ ويرتبط به وجدانيًا.
- عدم العقاب على عدم الحفظ (خاصة البدني)، ولكن يمكن استخدام الحرمان.
- أن تكون لدى المحفظ مهارات شخصية جذابة تشد الطفل (بشوش -حركي - يلعب مع الأطفال).
- استخدام مقترحات مختلفة للدرس حسب ذكاء الأبناء (ماذا يحدث لو - قصة - فزورة - تمثيل حركي- تصوير مكاني).
- تنوع الأساليب وعدم التركيز على التلقين وحده.
- عدم المقارنة بين الأبناء في مهارات الحفظ والاسترجاع.
- عدم الإلزام بالحفظ قبل ٧ سنوات.
- عدم قتل طفولة الأبناء لغرض الحفظ الجيد.
- وهناك وسائل مبتكرة لتدعيم حب القرآن، يرشدنا إليها د.سعد، منها:
- الوسائل المبتكرة في التحفيظ (كمبيوتر) وليس تلقينًا فقط.
- كتابة ما تم حفظه في لوحة جميلة والاحتفاظ بها.
- توفير برامج المحفظ الآلي ليستخدمها الطفل بنفسه.
- ابتكار وسائل تتحدى قدرات الأبناء، ولكن مع الترغيب.
- إعداد لوحات شرف لكل الحافظين وما يحفظون.
- اختيار الوقت المناسب في التحفيظ، فلا يكون (بعد يوم تعب - بعد وجبة ثقيلة - بعد توتر نفسي - في وقت اللعب - بعد يوم دراسي طويل).
- ابتكار وسائل عامة لتدعيم الحفظ (قصة - رحلة - شهادة تقدير - حفلة بسيطة بعد حفظ كل جزء (دون مقارنة)- وإشعاره بأن القرآن مصدر نفع مادي له).
- تحويل احتياجات الطفل إلى محفزات على حفظ القرآن.
- تقديم المحفزات بشيء من الذكاء والإبداع والإشعار بالحب.

الطفل والحضانة

بشرى شاكر

مع انتهاء فصل الصيف وانتهاء موسم العطلة وبدء الموسم الجديد، فإن الجميع يدخل في دوامة العودة لعمله أو دراسته، وبسبب إرهاصات الحياة المعاصرة فإن أغلب الأمهات العاملات أصبحن يفضلن أن يضعن أطفالهن في الحضانة إلى حين عودتهن من عملهن، وقبل أن نتحدث عن دورها في حياة الطفل لا بأس من أن نذكر ببعض الأمور المهمة.

يولد الطفل الرضيع على الفطرة أولا، فهو يصرخ ويبكي حين خروجه من بطن أمه، وهو ما يسمى في علم النفس بصدمة الميلاد «Trauma of bird»، إذ إن الجنين ينفصل فجأة عن جسد أمه، وينتقل من مكان مظلم دافئ، يمنحه القوت والحماية إلى وسط بارد جديد عليه، هاته الصدمة هي بداية تعرف الطفل الذي كان جنينًا على العالم المحيط به وانتقاله من الفطرة إلى الرغبة في التكيف، ويقول بعض العلماء: إنها رغبة في امتصاص قوة الصدمة الأولى لدى الطفل حديث الولادة، وقد نصح الطب الحديث بالرضاعة الطبيعية في هذه المرحلة العمرية الحديثة جدًا، والتي تدوم منذ الولادة سنة ونصف أو سنتين، وهذا ليس فقط لأن لبن الأم يحوي مضادات حيوية ويساعد على تقوية جهاز المناعة لدى الطفل وما إلى ذلك من المنافع الصحية للجسم، وإنما أيضًا لما في ذلك من انعكاسات إيجابية على نفسية الرضيع، تتجلى في تعويض انفصال الطفل المفاجئ عن طريق التلامس الجسدي بينه وبين أمه، وبالتالي تقوية الصلة والترابط بينه وبينها، وقد أسمت اخصائية علم نفس الطفل الدكتورة فرانسواز دولتو هذه المرحلة بمرحلة المرآة، أي إن الطفل يبدأ بتكوين صورة عن نفسه من خلال ما يراه من تفاعل والديه معه، وبالتعرف على صوتهما، وليس غريبًا أن جاء الإسلام معلنًا هاته الحقيقة قبل قرون عدة إذ ذكر القران الكريم في سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾.

فمن المستحسن إذن ومن الأفضل أن تكون العلاقة أكثر حميمية بين الأم وطفلها خلال السنتين الأوليين من عمره وأن تساعده على التعرف على محيطه الجديد، وأن تعطيه القدر الكافي من الحنان والانتباه، لأن هاته المرحلة تعد بداية تكوين النفسية المتوازنة لدى الطفل، واعترافًا من الدول المتقدمة بهذا فإن بعضها مثل فرنسا مثلا تبحث عن سن قانون لتمديد إجازة المرأة بعد الوضع إلى سنة على الأقل، ونساء عديدات بدأن يتوقفن عن عملهن لمدة سنة أو سنتين ليكن قرب أطفالهن دون الحاجة إلى وسيط ثالث قد تلعب الروضة دوره.

إذن السن المناسب لوضع الأطفال في الحضانة هو بعد السنتين، والأفضل في سن الثالثة، ولكن نحن نتحدث عن عالم تطور ولم يترك للمرأة مجالًا لأن تتفرغ كليًا لطفلها، ولذلك فهي تجد نفسها مرغمة على ترك ابنها في أيدي مربية الروضة، هنا يمكن أن ننصح الأم بألا تنسى دورها تمامًا، وإن كانت مضطرة

باحثة مغربية

لترك طفلها، فإن قلت ساعات حضورها قرب طفلها صباحًا، فيمكن أن تحسن جودة هذا الحضور مساء، بحيث تحدث توازنًا بين غيابها عنه وتواجدها قربه، فيمكنها مثلًا أن تتخلى عن قضاء بعض الأعمال المنزلية حينما تعود من عملها وتكرس وقتها للاهتمام بطفلها بدءًا من تحميمه بيدها وهي فترة يمكنها أن تستغلها أيضًا في مداعبته وتظهر له حنانها وعطفها، وأيضًا الاهتمام برضاعته وأكله والبقاء قربه إلى أن ينام، هكذا يمكنها أن تعوض ذلك الفراغ الذي تتركه في حياته حينما تتركه في أيد امرأة أخرى، وأيضا يستطيع الطفل أن يميز بين تواجد أمه وبين تواجد المربية ويفرق شيئًا فشيئًا بين دور كل منهما.

كما يمكن للأم التي تترك طفلها قبل ذهابها للعمل في دار للحضانة أن تحمل معها أشياء اعتاد عليها الطفل في البيت، مثل بعض ألعابه، وأيضًا شالًا عليه رائحة والدته مثلًا، هذه الأشياء تعد علامات مألوفة للطفل وتجعله يرتاح للمكان الجديد الذي يذهب له ويعتاد عليه شيئًا فشيئًا، بل يعتبره جزءًا من بيته.

أما داخل الروضة نفسها فيمكن للمربيات، كما قالت الاخصائية ماريا مونتسوري أن يجعلن الطفل يبني نفسه بنفسه، مع إرشاداتهن طبعًا وترك الاختيار له، فالطفل يحتاج إلى أن يكتشف عالمه الجديد وهو يضع نفسه في اختبار لطاقاته ومؤهلاته حتى يستطيع أن يندمج مع غيره من الأطفال ويعتاد على وجودهم قربه ووجود شخص ثان غير والدته في رعايته.

الجو العام لدار الحضانة أيضًا يساعد الطفل على التأقلم مع محيطه دون توجس ولا قلق، ويجعله يسعى للاختلاط بباقي الأطفال بعد أن يبتعد عن نزعته الفردية، حيث إنه يميل في بداية قدومه للدار إلى اللعب وحده والاعتماد على نفسه في الحركات التي يقوم بها ولا يحب أن يشاطره أحد لعبه ولكن شيئًا فشيئًا يمكنه أن يسمح بذلك بمساعدة المربية وبفضل محيط عام مشجع.

أما فيما يخص الأشياء التي يمكن أن تستفيد منها الأم من المربية، فيمكننا أن نذكر أهم شيء، وهو أن المربية قد تلاحظ أشياء لا تستطيع مشاهدتها الأم العاملة، وعليها أن تخبرها بذلك، مثلًا تركيز الطفل على نقطة معينة دون تحويل نظره عنها، أو عدم رغبته في اللعب وإنطوائيته حتى بعد مرور أيام عديدة،

أغلب الأمهات العاملات أصبحن يفضلن أن يضعن أطفالهن في الحضانة إلى حين عودتهن من عملهن

وكذلك قلة حركته في سن يميل فيها الطفل عادة إلى إثبات وجوده بواسطة حركيته، ولكن أيضا كثرة حركة الطفل الزائدة أو تكسيره للأشياء ورميها بحدة، كلها أمور يجب أن تعلم بها الأم، فقد تكون ناجمة عن اضطراب في السمع أو البصر لدى الطفل أو مشاكل عصبية أو جينية وأحيانًا نفسية، بما أننا قلنا إن الطفل يتأثر نفسيًا منذ أيامه الأولى بكل ما يحيط به.

كذلك من المهم جدًا أن تحب المربية ما تقوم به ولا تعتبره مجرد عمل، فحبها للأطفال وعملها في جو مريح سوف يجعلانها تعامل الأطفال بشكل صحي أكثر.

لذلك وجب ألا تكون دار الحضانة أو الروضة مجرد مكان تضع فيه الأم طفلها إلى حين عودتها، ولكن من المفترض أن تسأل عن سلوكيات طفلها وأن تحدث مربيته أمامه بابتسامة تجعله يثق فيها كما تثق أمه بها، وتنشأ بينها وبين هاته المربية علاقة طيبة، ولا يصح أن تأتي الأم لتأخذ ابنها بسرعة دون أن تمنح نفسها فرصة التعرف على تصرفاته والمحيط الذي تتركه فيه لساعات طويلة.

موسم جيد نتمناه للجميع وكل عام وأنتم بخير

هل نحن شباب مثقف؟

تحقيق: خالد محسن الحارثي

عند المساء.. كنا نلتف حول جدتي لتحكي لنا حكاية «العفريت الأحمر» و«أبو رجل مسلوخة».. وشيئًا فشيئًا نجد أننا نسحب أرجلنا لنضعها فوق الكرسي حتى لا يلتهمها العفريت. يعترينا الخوف تارة والإثارة تارة أخرى، ولا نمل أبدًا من حكاية العفريت، هكذا كانت ثقافة أطفال زمان.

لم تكن هناك وسائل إعلام متقدمة، لم يكن هناك تلفاز ولا فيديو ولا كمبيوتر، ولا «دش».. الخ، لم نكن نعرف القراءة بعد.

ويكبر الصغير ويجيد القراءة، ويشتري من الكتب ما يستطيع، ولكن المصاب بالداء لا ينساه.. نرجع دائمًا لثقافة العفاريت، والمشكلة اليوم ليست ثقافة العفاريت، ولكن هناك شرخ في جدار الثقافة العامة.. زيارة واحدة لأحد معارض الكتاب الدولية، والتي تقام سنويا بطول الوطن العربي، ربما تعطي صورة واضحة، ماذا يقول الشباب والناشرون وشركات الطباعة والمؤسسات الصحفية المشهورة ومنافذ بيع شرائط الكمبيوتر وتعلم اللغة؟! بل أيضا وباعة كتب الأزبكية؟

ما مدى إقبال الشباب على الكتب؟ وعلى الساندويتشات؟ ما مدى اهتمام الزائرين بالتقاط الصور التذكارية مع «بطوط وميكي ودبدوب»؟ تلك العرائس المتجولة بالمعارض، وما مدى اهتمامهم بحضور الندوات والمناظرات؟

ستجد المقارنة غير عادلة بين الكتب والساندويتشات! لكنها مقارنة تفرض نفسها من خلال قضية نطرحها للمناقشة، قضية تتلخص في سؤال واحد.. هل نحن شباب مثقف؟!

يقول محمد عطاالله (أحد الباعة بسور الأزبكية): أغلب الكتب التي تجد رواجًا اليوم هي الكتب التي تتحدث عن العفاريت وعالم الجن وقراءة الكف والأبراج.. وربما يرجع ذلك لمدى التشويق في المادة المعروضة، وبخاصة أن هذه المادة تباع بأسعار زهيدة بالمقارنة بكتب السياسة والأدب، لذلك أيضا نجد أن جمهور هذه المادة هم من الطبقات الشعبية الفقيرة.

يضيف رجب شلبي (بائع): أكبر مؤشر على تراجع الثقافة الحقيقية للشباب هو تراجع نسبة مبيعات كتاب «قصة الحضارة» وهو مكون من ٤٢ جزءًا ويعتبر ثمن الجزء الواحد زهيدا جدًا، هذا الكتاب يتعرض بالشرح لجميع العصور والحضارات الشرقية والغربية والرومانية واليهودية والقبطية والإسلامية، وقصص الغزوات والحروب وقيام الدولة وتطور القوى الدولية.. للأسف الشديد أصبح المقبلون على شراء هذا الكتاب فئة تنحصر في أساتذة الجامعات والمعيدين وطلبة الدرجات العلمية كالدبلوم والماجستير والدكتوراه.

عبدالسلام الشاعر (مكتبة عالم الفكر): نظلم الشباب إذا قلنا: إن مستوى الثقافة يتراجع بشكل ملحوظ، حيث تنحصر أهم مشترياتهم في القصص البوليسية والمغامرات والكتب السطحية والصغيرة الحجم، وبتعبير أكثر دقة يمكننا القول إن سوق الكتاب يعاني ركودًا شديدًا بسبب الاهتمام بالثقافة السهلة المطروحة من خلال الصورة المرئية والكمبيوتر والنت.

علي الحاكي (صحفي): يرجع انخفاض نسبة شراء الكتب إلى ارتفاع سعر الورق، والذي يؤثر بشكل مباشر في أسعار الكتب.. ولكن رغم كل المعوقات في سوق الكتاب، فإننا لا ننكر وجود نسبة كبيرة من المهتمين بشراء كتب الأدب السياسي الساخر وأدب الرحلات.. فالكثير من الشباب يرغب في اقتناء المعلومة ولكن بشكل خفيف وظريف ومشوق، وهذا ما ينجح في تنفيذه بعض الكتاب أمثال «محمود السعدني» و«أحمد رجب».

سناء الشهاوي (الشرقية للمطبوعات): لا نجد إقبالا من الشباب على شراء الموسوعات، حيث تنخفض تماما نسبة المبيعات في هذه الفئة من الكتب، لكن كثيرًا ما نجد رب الأسرة يسعى لاقتناء تلك الموسوعات كنوع من إثراء مكتبة الأسرة.

محمد مصلحي (تكنولوجيا المعلومات): لا يوجد إقبال من الشباب على المترجم الناطق، لكن الإقبال يكون من بعض الشركات أو المؤسسات، وربما يرجع ذلك إلى قلة اهتمام كثير من الشباب بالنواحي الثقافية، وعدم رصد ميزانية خاصة لشراء الكتاب أو تنمية معرفته بلغة معنية.

محمد يوسف (دار المعارف): هناك إقبال شديد من الشباب على الكتب الدينية.. أما المرأة فتركز اهتمامها على شراء كتب الطهي والعناية بالمنزل، وهذا ليس على سبيل التعميم، فيوجد من النساء من يقبلن على مصادر الثقافة العامة وفي مجال الأسرة وتربية الأبناء.

زينب عثمان (هيئة الإذاعة): من الملاحظ إقبال الشباب على تعلم اللغات الأجنبية وبخاصة الانجليزية، ولكن لا يكون ذلك بناء على خطة يضعها الشاب لتثقيف ذاته، أو لقراءة الأدب العالمي، أو الانفتاح على صحافة الغرب، لكنه يسعى لتلك المعرفة عندما يجد أبواب الوظائف مغلقة أمامه، ويجد أن السبيل الوحيد لفتح تلك الأبواب هو التعرف على لغة أجنبية، ومحاولة إتقانها سعيا وراء وظيفة مناسبة.

يحيى إسماعيل (إحدى شركات الكمبيوتر): لا نستطيع القول اننا بصدد محو أمية الكمبيوتر في الوطن العربي..

ربما سنأخذ بعض الوقت، بسبب عدم تزايد الإقبال على شراء الكمبيوتر بمعدل منتظم، فعملية الشراء من فئة الشباب تزداد جدًا وكذلك ترتفع بالنسبة لأولياء الأمور المهتمين بتثقيف أطفالهم.

ماجدة الشربيني (كلية الآداب): للأسف الشديد يفضل الشباب اليوم رؤية الكتاب معروضًا على شاشة التلفاز أو السينما في شكل فيلم مسل يضم الأغنية والموقف والضحكة ويوفر الاسترخاء، لم يعد الشباب يتحمل عناء الجلوس أمام كتاب «يحلق» في كل صفحاته وهو منفتح الذهن لم يعد يملك القدرة على الجلوس أمام كتاب خارج المنهج الدراسي.. والنتيجة تراجع الوعي الثقافي.

رضا رياض (كلية الطب): لا أستطيع إنكار اهتمامي بالكتب الطبية أكثر من الفروع العلمية الأخرى.. وذلك بحكم تخصصي، لكني لا أهمل اقتناء الكتب الدينية ووسائل تعليم اللغة، أما إذا تناولنا القضية بشكل عام فعلينا أن نلتمس العذر قليلا للشباب.. فثورة المعلومات تتهمه في كل لحظة بأنه مقصر في المعرفة.. مقصر مهما وصل حجم قراءاته.

وعلى سبيل المثال إذا كان احدنا يهتم بالطب مثلا.. فعليه أن يطالع كل القديم وهذا يحتاج أعمارا أخرى على عمر الإنسان، ثم يصل إلى ما يطرحه القرن العشرون والقرن الواحد والعشرون، ويتابع الدوريات الطبية التي تصدر بلغات مختلفة تصل إلى العشرات، ويشتري بمئات الألوف من الجنيهات مجلات متخصصة! وهكذا الحال في الأدب والسينما والسياسة.

ولكن هذا لا يعني إهمال الثقافة العامة والخاصة، أو إهمال القراءة التي تعطي الشباب دورًا ايجابيًا في حياته، فبقدر ما يعرف الشباب بقدر ما تكون قيمته عند التقدم لوظيفة، أو الارتقاء في عمله أو التقدم إلى عروسة، أو تربية أطفاله.. بقدر ما يعرف بقدر ما يكون وعيه عند شراء الخبز والخضر والصحيفة الصباحية، وكذلك بقدر ما يعرف يقدره الناس والمثقفون.

باقة ورد

محمد محمود غدية

تعيش الحياة الاعتيادية والأحداث اليومية مع زوج تحبه وابنتين جميلتين في عمر الزهور، هدية الحياة لهما، ما جعل الاستمرارية مبهجة مع زوج حنون يحب زوجت وابنته رغم مشاغله، لا يتوانى في سكب أعذب الكلمات الطيبة في أذن زوجته طوال الوقت، حتى وهي مشغولة بإعداد الطعام، يطيب له أن يأكل من يد زوجته، المتخم بالدسم، والذي يشبه كثيرا طعام والدته. يتذكر لقاءهما الأول بمؤسسة كبرى تعمل في مجال الاتصالات، كانت تشاركه المكتب، كسكرتير ثان، تتميز بإشراقة الوجه ونضارته، مازالت تحمل مسحة من جمال قديم، رغم السنوات، ومسؤوليات البيت والزوج والبنات.

مما لاشك فيه أن الضجر والملل يستنزفان بهجة الحياة وتنوع ألوانها، بنتان في كلياتهم والزوج في عمله. وهي من اختارت بالاتفاق مع زوجها، ترك العمل والتفرغ للبيت، وتربية البنات.. تتذكر أمسياتها الحلوة، و«كوز» الذرة المشوي في ليل القاهرة القارس.

وكيف أنه لا يتردد في شراء الورد الذي تحبه بعد أن يغلفه البائع في باقة رائعة، تضعها في أصيص أعدته لهذا الغرض، يزين غرفة الصالون.

حبهما يكبر ويكبر، وهم على ثقة أن الحياة دون حب عدمية، ليست مميزة، أوراق يابسة تكنسها رياح الأيام.

شيء وحيد عكر صفو هذه الحياة الجميلة، بالتحديد في هذا اليوم الذي يشير إلى عيد زواجهما، خرج زوجها في الصباح دون تهنئتها، هل أنسته المشاغل أهم يوم في حياتهما؟! أخذت الأفكار برأسها تتناطح، وتمسك برقاب بعضها البعض.. أهو الملل الذي تسرب إليه، أم حبه لها الذي تضاءل وأصبح شحيحا؟!

هي الأخرى مشغولة طوال الوقت، لكنها ما توقفت عن حبها له، الدقائق تلتهمها الساعات، والساعات تلتهم أحشاءها التي تتفجر يأسًا وضجرًا، فتقرر هجر البيت والذهاب إلى والدتها.

ستترك له رسالة تخبره فيها أن حزنها كبير بمقدار حبها له؛ لأنه نسي عيد زواجهما، وهي التي لم تنسه قط.

استوقفها أحدهم وهي تغادر باب العمارة، يسأل عن الشقة رقم سبعة في أي الأدوار، إنها شقتها، التمعت عينها بالفرح، وتسللت البهجة في بهو روحها.. وهو يسلمها باقة ورد، تحمل بطاقة من كلمتين: أحبك، زوجك.

كاتب صحفي

قصة قصيرة

الـــزم قـــدمـــيـــها

أحمد عبداللطيف النجار

الجنة تحت أقدام الأمهات، الجميع يعرف ذلك، لكن القليلين فقط يقدرون هذا القول حق قدره! قلة قليلة هي التي استلهمت روح الإسلام وقيمه النبيلة في معاملة الأم وتوقيرها وتقديرها، ولا أقصد هنا بالتقدير المادي فقط كما يُفعل فيما يسمى بعيد الأم وعيد الأب، بل حددوا يومًا معينًا في السنة لتكريمهم، أما باقي أيام العام فالأمر متروك للظروف والمزاج النفسي لكل فرد على حدة!!

ليتأكد كل شخص أهان والديه في حياتهما- وخصوصًا الأم- أن الله يمهل ولا يهمل وكما تدين تدان!

وهذا ما عايشته بنفسي في قصة صاحبي، الذي نشأ في أسرة ريفية بسيطة، وكان أبواه أميين متدينين، حيث التحق بكتاب القرية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وتعلم في أقرب مدرسة لقريته حتى أنهى تعليمه الثانوي، وحصل على مجموع كبير فالتحق بكلية الطب، وتمر أعوام الدراسة سريعًا كما تمر أيام العمر، ويكابد أبواه شظف العيش من أجل توفير المصاريف لدراسة ابنهم.

ولأترك صاحبي يقص علينا تطورات مأساته، يقول:

خلال سنوات الدراسة تعرفت على زميلة لي في الكلية وانجذبت إليها كثيرًا، رغم نفور جميع الطلاب منها لغرورها وحدة مزاجها وتبرجها الزائد، إلى جانب أنها لم تكن جميلة إطلاقًا ورغم كل شيء فقد تعلقت بها ولم أجرؤ على مفاتحتها في شيء، وللأسف الشديد فقد كان لذلك تأثير سلبي على دراستي فرسبت في السنة الأولى بكلية الطب، وسبقتني هي دراسيا، وتدهورت حالتي النفسية كثيرًا فكان نجاحي بطيئًا، أما زميلتي فقد سبقتني في التخرج من الكلية وانقطعت أخبارها عني سنوات عدة، وإن كانت لا تغادر مخيلتي أبدًا، وأخيرًا تخرجت أنا بعد جهد جهيد وذهبت إلى المستشفى الذي سأقضي فيه فترة الامتياز، ففوجئت بزميلة الدراسة وقد عينت طبيبة نائبة في المستشفى الجامعي الذي سأعمل به وأنها سترأسني خلال فترة الامتياز، ولاحظت كذلك أن جميع العاملين بالمستشفى ينفرون منها، ووجدت نفسي ودون أن أدري أتقدم لطلب يدها فوافقت سريعًا دون أي شروط، فكنت ساعتها مذهولًا لا أصدق نفسي، وذهبت إلى أهلي في بلدتي وأخبرتهم بما أنوي عمله، فلاحظت عليهم الوجوم والحيرة ونصحوني أن أبتعد عنها لأنها كانت السبب في أزمتي النفسية من قبل، ولأنها لا تناسبني ودنياها غير دنياي!

ولكني للأسف لم أطق أي معارضة

وأصررت على الزواج منها حتى لو رفض أبي مساعدتي ماليًا!

ومضيت في استعدادي للزواج، وخلال هذه الفترة توترت أعصابي فأصبحت حاد الطباع مع أسرتي وآذيت أبي وأمي كثيرًا بلساني، فكانا يصبران عليّ على أمل أن يهديني الله، وكلما اقترب موعد زواجي ساءت طباعي معهما، حتى حدث قبل أسبوعين من زفافي أن نشبت مشاجرة عادية بيني وبين أمي بسبب موضوع الزواج، فأنهلت عليها لومًا وتوبيخًا أمام أبي وإخوتي، ثم أعماني الشيطان فإذا بي أرفع يدي وأهوي بها على وجهها أمام الجميع الذين أصابهم الذهول مما حدث!!

وأسرعت أنا بالخروج وصوت أمي يشيعني بالدعاء أن أرى من أولادي ما أريتها!

والله يا صاحبي مازلت أسمع رنين ذلك الدعاء في أذني على مر السنين، وعندما ذهبت إلى عروسي لاهثًا مهزوزًا، ورويت لها ما حدث، متوقعا منها أن تلومني وتوبخني، إذا بها تقول لي إن هذا هو أقل ما كان ينبغي أن أفعله مع مثل هذه الأم السمجة!!

لقد أعمى الله بصيرتي ولم أشعر بخطورة الجرم الذي اقترفته في حق أمي، وتزوجت ومرت السنون تباعًا، أنجبنا خلالها البنات والبنين، وقاطعت أهلي نهائيًا كأنهم ليسوا على وجه الأرض ولم ينفقا علي كل ما يملكان لأصبح طبيبًا!

وتوجهت كل عنايتي وحياتي واهتماماتي إلى زوجتي وأسرتها ومعارفها ثم إلى أولادي الثلاثة، وفي الواقع كانت حياتي مع زوجتي سلسلة متواصلة من

ليتأكد كل شخص أهان والديه في حياتهما وخصوصًا الأم أن الله يمهل ولا يهمل

الكآبة والشجار والمشاكل، أما أبنائي الذين صبرت من أجلهم على كل ما لاقيته من عذاب وهوان من زوجتي، فقد شب الولدان الكبيران متشبعين بأخلاق أمهما وطباعها، وكلما تقدمت بهما السن زادا شرودًا عني والتصاقا بأمهما، حتى جاء يوم كنت أوبخ فيه ولدي الأكبر على تدخينه السجائر بشراهة أمامي فإذا به ينفجر في باللعنات فصفعته! فإذا به يبصق في وجهي!

تصور ابني يبصق في وجهي! وبالطبع اعتراني انفعال شديد وصياح عال على كل من في المنزل!

والله يا أخي وأنا في قمة انفعالي تذكرت وجه أمي المسكينة وهي مذهولة عقب تلقيها صفعتي الملعونة! وتذكرت أيضا صورة أبي وإخوتي وهم مشدوهون!

لقد خيل إلي أني سمعت صوت أمي وهي تلاحقني بالدعاء إلى الله أن يذيقني من الكأس الذي أذقته لها!

عرفت لحظتها فقط أن ما حدث لي من أولادي بمنزلة انتقام من الله لما فعلته بأمي، وأن وقت الحساب قد آن، وأشعر الآن بالندم الشديد على سلوكي مع أمي وأبي، وأرجو الله أن يتقبل توبتي بعد أن مات والداي ولم يعد هناك سبيل لصفحهما عني!

إنه درس قاس وبليغ أرجو أن نتعلم منه جميعًا ونعرف حقًا أن الجنة تحت أقدام الأمهات، وأن ما حدث لك يا صاحبي إنما هو عقاب من الله وفاتورة من فواتير جبروتك وطغيانك على أمك وظلمك لأهلك، كان لزامًا عليك سدادها!!

وأنت في الواقع بدأت السداد في وقت مبكر جدًا من حياتك الزوجية حين انقشعت أوهام السعادة مع زوجتك حادة الطباع، المكروهة من الجميع، فتجرعت معها كؤوس الشقاء حتى الثمالة، وقد بالغت أنت كثيرًا بتوهمك إمكان تغيير طباعها مع علمك التام بسوء طباعها وكره الآخرين لها!

فلو كانت فتاة أصيلة لما قبلت الارتباط بك بعدما رأت مبلغ وفائك لأمك وأبيك! أو على الأقل لأجبرتك على الرجوع عن الخطأ، لكن فاقد الشيء لا يعطيه، فكفاك قطعًا لرحمك، وابدأ على الفور بالاتصال بإخوتك، وصل علاقاتك المقطوعة معهم، وحاول تأدية فريضة الحج نيابة عن أبويك، لعل الله يغفر لك، ولعلنا جميعًا نعي ونفهم قرآننا الكريم بعقول واعية وقلوب سليمة، ولعلنا نطبق في حياتنا الدنيا قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

الرياضة النسائية.. ضرورة حياتية أم وجاهة اجتماعية؟

تحقيق: محمد عبدالشافي

تباينت الآراء حول تدريس التربية البدنية للنساء، وهو ما أطلق عليه بـ«الرياضة النسائية» ما بين المؤيدين والمعارضين والمتحفظين أو من هم بين بين! فالغرب قد قطع شوطا كبيرًا في هذا المضمار، ومارست النساء الرياضة بمختلف ألوانها منذ سنين بعيدة، والمجتمعات العربية والإسلامية التي يسمونها «المجتمعات الشرقية» لها تقاليد وعادات حالت دون الاقتراب من هذا الأمر أو مجرد اقتراحه في بعض البلدان!

المؤيدون لتدريس مادة التربية الرياضية أو ممارسة النساء للرياضة لديهم من الحجج والبراهين العقلية والمنطقية والعلمية ما يثبت وجهة نظرهم، ولا يروا مانعًا في شريعة الإسلام يحول بين تعليم النساء الرياضة، أما الفريق الرافض لفكرة مزاولة النساء للرياضة يمتلكون من الأدلة الشرعية والعقلية أيضًا ما يؤيد رأيهم، ويدحض أقاويل وظنون الآخرين، وهناك فريق ثالث اشترك معنا في هذه القضية، وأدلى بدلوه، هذا الفريق الوسطي لا مع المؤيدين المنبهرين والمقلدين لغيرهم في كل حادث وجديد وغريب حتى ولو على حساب الدين والوطن، ولا هم مع الرافضين الذين يحرمون كل شيء، ويرون أن أي جديد مس شيطاني أو بدعة وضلالة.. وكل ضلالة في النار! إنما يرون أنه لا حرج في هذا الأمر، لكن التدرج فيه ومراعاة التقاليد مطلوب، كذلك الالتزام بالضوابط الشرعية. وفي هذا التحقيق نعرض القضية من جميع جوانبها، وإلى التفاصيل.

مخالفة صريحة للشرع!

في البداية، يقول عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة فضيلة الشيخ يوسف البدري: إن فكرة الرياضة النسائية واحدة من سلسلة طويلة من البدع والمنكرات الاجتماعية والأخلاقية، فضلًا عن مخالفتها الصريحة للشرع الحنيف، وقد وفدت هذه الفكرة إلى مجتمعاتنا مع أفكار غازية أخرى أتتْ بها ريح الشمال العاتية وساعد في تكريسها من أجل التطبيق والممارسة ذلك الضخ الإعلامي الغربي، الذي يتقبله المساكين في بلادنا بخيره وشره، وحلوه ومرّه، وما يحمد منه وما يعاب، كما نادى بذلك كبيرهم في النصف الأول من القرن العشرين!

الأصل في الأشياء الإباحة وليس هناك نص واحد يحرم الرياضة النسائية

ويرى- فضيلته- أنه ليس كل ما يصلح لمجتمع ما شرطًا أن يصلح لمجتمع آخر، فلكل مجتمع ولكل أمة من الخصوصيات التي تحافظ على هويتها وعلى طابعها، فليس من الصواب إذا تعرتْ نساء الغرب أن تتعرى نساؤنا، أو إذا أدمنت نساؤهم التدخين وتعاطي المخدرات أن تفعل نساؤنا مثلهم وتحذو حذوهم، فبدلًا من أن يجرونا إلى الرذائل والمنكرات، كان الأولى بنا أن نقودهم إلى طريق الهداية واعتناق الفضائل، خاصة أننا أمة دعوة وأمة صاحبة رسالة عالمية لإنقاذ البشرية.

هذه المرأة التي يريدها العلمانيون!

ويؤيد هذا الرأي- أيضًا- الأستاذ بالجامعة الأزهرية فضيلة د. أحمد عبدالرحيم السايح- إذْ يقول: فكرة الرياضة النسائية من حبائل الشيطان وحلقة من حلقات إفساد المرأة وتخليها عما هي منوطة به من رسالة في مجتمعها، وإن الداعين لهذه الفكرة ليسوا حريصين على مكانة المرأة ولا هم الذين يتمنون صلاحها، بل أكبر همّهم أن يروها في أوساط الرجال وفي الملاهي والأندية والمحافل سافرة، وحاسرة الرأس، وشبه عارية، أو عارية إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا!

ويقول فضيلته: إن أصحاب هذه الدعوى من فلول العلمانيين والحداثيين وبقايا الماركسيين في بلادنا بعيدين كل البعد عن القيم، جاهلين بالحديث الشريف الذي يحفظ على المرأة عفتها.. ذلك الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، وقالت فيه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل» (الألباني- صحيح الجامع).

درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة

ومن جانبه يرى -أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية د. محمد كمال إمام

- أن المعترضين على الرياضة النسائية أقرب إلى الموضوعية والصواب من الداعين إليها والمحرضين عليها والمطالبين

بنشرها في شرق البلاد وغربها، فسد الذرائع مقدم على جلب المنافع، خاصة أن أنواعًا كثيرة من الرياضة تؤدي في كثير من الأحيان إلى ارتكاب المحرمات والخروج عن الحياء المطلوب إنْ كان بقي منه شيء في عصرنا!

ويتساءل د. كمال إمام - بحزن وحسرة: هل الرياضة النسائية هي أيضًا من وسائل التقدم والنهضة، وأن تخلفنا سببه عدم ممارسة النساء للرياضة؟ كما قيل من قبل: إن تخلفنا يكمن في اللغة العربية التي نتكلم بها! لذا أرجو أن يحسب أولياء الأمور ألف حساب لهذا الأمر، لأنه إذا فتح الباب فسيصعب سده وإغلاقه، وسيأتي منه شر مستطير.

الرياضة النسائية مطلوبة.. بشروط!

في المقابل، يرى عميد كلية أصول الدين السابق فضيلة د. عبدالمعطي بيومي أن الأصل في الموضوع هو الإباحة، وليس هناك ما يحرم تعليم التربية الرياضية للفتيات، وأن الحجج الشرعية التي استند إليها الآخرون بعيدة عن هذه القضية، وموضوعة في غير موضعها، فالتي تضع ثيابها في غير بيتها مقصود به شيئًا آخر، ليس له علاقة بالرياضة ولا السياسة، ولا نريد أن يصبح سلطان التقاليد هو الموجه لشؤون حياتنا ومعاشنا، فالرياضة مطلوبة للمرأة ما لم تخرج عن حدود الشرع والقيم والأخلاقيات المتعارف عليها، فليس من المعقول أن يخلو بالمرأة رجل أجنبي تحت ستار تعليمها الرياضة، أو ظهورها بلباس غير شرعي في أحد الأندية أو ما شابه ذلك مما لا يوافقه دين ولا منطق ولا عرف.. فالتوسط مطلوب وضروري في كل الأمور وجميع الحالات.

الرياضة النسائية «دلع» ووجاهة اجتماعية!

وتقول أستاذ علم الاجتماع بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية د. هالة سليمان:

نحن في حاجة لتدريس التربية البدنية لفتياتنا في مختلف المراحل التعليمية، لما فيها من أهمية للصحة النفسية والصحة البدنية للفتاة في حاضرها ومستقبلها معًا، وقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أهمية الرياضة بالنسبة للجانب الذهني والمعلوماتي، أو كما قيل «العقل السليم في الجسم السليم» وليس هناك مبرر واحد يمنع تعليم النساء أو مزاولتهن للرياضة سواء في المدارس أو في البيوت.. حتى وإن قيل إن الرياضة عند الفتاة العربية هي بمثابة نوع من «الدلع» والوجاهة الاجتماعية، فنحن نؤيد هذا «الدلع» مادام يعود بالفائدة على المجتمع.

قوّي ذاكرتك بالتمرينات الرياضية!

هذا، ويؤكد الأستاذ بطب عين شمس د. محمود أحمد كمال أن ممارسة الرياضة غاية في الأهمية بالنسبة للنساء في جميع الأعمار، وأوضح أن مظاهر النسيان وضعف الذاكرة عند النساء لا تعني بالضرورة بداية الإصابة بمرض الزهايمر، فقد ثبت أن حالات النسيان عند النساء في منتصف العمر قد تنتج عن التوتر والاكتئاب وضغوط الحياة. لذا، فإن تغيير نمط الحياة يمكن أن يلعب دورًا في تحقيق قوة الذاكرة مثل المواظبة على أداء التمرينات الرياضية، وأبسطها المشي لمدة نصف ساعة يوميًا مع الإقبال على تعلم مهارات جديدة مثل الشطرنج وغيرها من النشاطات الذهنية التي تنمي الذاكرة وتقويها، والمحافظة على الصحة قدر المستطاع.

ممارسة التمارين الرياضية صحة وعافية

ويدعو د. نبيل سلامة، إلى ضرورة المحافظة على ممارسة الرياضة للجنسين وفي جميع المراحل العمرية، لأن الذين يمارسون التمارين الرياضية يتمتعون بطاقة أكبر على الاستمرار والاحتمال، فقد أظهرت الدراسات أن التمارين حتى تلك التي تمارس باعتدال لمدة ساعة يوميًا ثلاث مرات في الأسبوع، يمكنها مضاعفة قوة الإنسان ومرونة جسده وجعله أكثر نشاطًا في حياته اليومية.

كيف نعزز السلوك الصحيح في أطفالنا؟!

ليلى محمد محمد

الأسرة هي البيئة التي تتعهد الطفل بالتربية، لأن غريزة الأبوة والأمومة هي التي تدفع بكل من الأب والأم إلى القيام برعاية الطفل وحمايته، ولاسيما في السنوات الأولى من طفولته..

تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل الحياة في تاريخ النشء، كونها الأساس الذي يعتمد عليه نمو الطفل، في المراحل التالية، لدرجة أن اعتبر الإسلام الأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان، أو من يقوم مقامهما من المربين، فالطفل يولد صافي السريرة، سليم الفطرة، وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» (رواه البخاري)، ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم».

وقد فهم الصحابي الجليل أبوهريرة رضي الله عنه أن الفطرة، هي استعداد المولود للدين القيم، دين التوحيد، وأن سنة الله لا تتغير في جميع المواليد البشرية، فساق الآية لإيضاح معنى الحديث.

ومن هنا يمكننا القول: إن غرس الإيمان الحقيقي في نفوس الأطفال، والإيمان المطلق بالله بصفاته الثابتة له، وحبه والخضوع له، والخوف منه، والالتجاء إليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة، خاصة إذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة التي تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتى يكون الإيمان هو مصدر السلوك وموجه الإنسان نحو الحياة.

إلا أن ثمة سؤال: «كيف نعزز السلوك الصحيح ونشجعه في أطفالنا؟ مادام مصدر السلوك هو الإيمان، وموجه الإنسان في الحياة، وحتى عندما نعلم الطفل السلوك الصحيح قد يخطئ، ويكون السبب انه لم يتلق التشجيع والتعزيز لسلوكه الصحيح، مما جعل

خبيره تربوية

ينبغي ألا يكون هناك تناقض بين المعلمين والأبوين في تعديل سلوك الطفل

احتمالات تكراره تضمحل، ثم قد يجد الطفل في الخطأ ما يشبع حاجاته ولم يجد البديل الصحيح، مما يؤدي بالطفل إلى الخطأ، ويحتاج منا أن نتفق معه على السلوك الذي ينبغي له أن يمارسه والسلوك الذي ينبغي ألا يمارسه.

وبناء على ما تقدم، إليك أهم الخطوات الواجب اتباعها من أجل تعديل سلوك طفلك:

١- تحديد السلوك الخاطئ.

٢- إيقاف السلوك الخاطئ.

٣- علّم طفلك السلوك الصحيح.

٤- عزّز السلوك الصحيح.

٥- أبرم عقدًا مع طفلك.

البداية الصحيحة والسليمة لتعديل السلوك بالنسبة لطفلك، هي تحديد السلوك الخاطئ، مما يوجب ملاحظة سلوك الطفل بدقة، مع اتخاذ الاجراءات التي تهدف الى التحكم بالسلوك، وذلك وفق معايير صحيحة، بعيدًا عن المزاج المتقلب، وعلينا معرفة دوافع سلوك الطفل في تصرفه، قد يكون التصرف الناتج عن الطفل خطأ، وربما يهدف هذا التصرف إلى محاولة من الطفل بغية تقديم مساعدة، وعلى سبيل المثال قد تبلل الطفلة الصغيرة ملابسها بالماء، مما يلجئ الأم الى معاقبتها على هذا التصرف، في حين أنها أرادت أن تقوم بملء الإناء بالماء من أجل تنظيف المكان، كما رأت أمها تفعل ذلك، فوقعت الطفلة وانسكب الماء إلا أن اللجوء

إلى إيقاف الخطأ عن طريق العقاب البدني، يعد عملية خاطئة، وعلينا أن نتغاضى عن الخطأ الصغير الذي يحدث للمرة الأولى، ونشعر الطفلة بأننا نلاحظ سلوكه، سواء بالنظر أو الاقتراب أو اللمس أو الإشارة، وبذلك نطلب من الطفلة التوقف عن سلوكها، ونحذرها من تكرار هذه المخالفة، إلا أن الأمر قد يستوجب العقاب، ومن طرق العقاب في هذه الحالة، حرمان الطفلة من بعض الامتيازات، وان تقوم بإصلاح ما أفسدته، واللجوء الى العزل لمدة محددة، وذلك في غرفة، في حال إذا كان السلوك عدوانيا، مع بيان عدم الرضا عن هذا السلوك الناتج عن الطفلة سواء بالكلام، أو بالايماءات المختلفة.

ويجب استخدام طرق مناسبة لتعليم السلوك الصحيح للطفل منها: أن نقدم للطفل نموذجًا فعليًا للسلوك الذي نرغب في تعليمه إياه «النمذجة» وأن نلقن ما يساعد الطفل علي تعلم السلوك الجديد «التلقين» وأن نشرح للطفل سبب ما نطلبه منه من مطالب والعواقب الناتجة عن فعل التصرف غير اللائق.

وثمة نداء للآباء والمعلمين كافة: من أجل تعزيز السلوك الصحيح علينا اتباع بعض القواعد المهمة، منها: عدم الاعتماد على التعزيز المادي فقط، لكي لا يصبح الشخص ماديًا، ومن القواعد أيضًا أن يكون الثناء على السلوك وليس على الطفل وحتى لا نضيع فرصة جيدة لتثبيت ودعم وتقوية السلوك علينا آباء ومعلمين الانتباه إلى السلوك الجيد أكثر من الانتباه للسلوك الخاطئ.

إبرام عقد مع الطفل

● اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل، يتضمن المهمة المطلوب تأديتها والمكافأة التي سيحصل عليها عند تأدية هذه المهمة.

مثال: ستأخذ طفلك إلى مدينة الألعاب، شريطة أن يحصل على درجة جيدة في الامتحان.

● اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل يتضمن بعض الأعمال والتصرفات التي يجب على الطفل تجنبها، وبعض انواع العقاب التي سيجنيها الطفل حين القيام بتلك التصرفات.

مثال: إذا قام الطفل بضرب أخيه الأصغر مرة ثانية، فسوف تقوم بحبسه في غرفته.

وبقي أن نقول: من المفيد ذكره ألا يكون هناك تناقض بين المعلمين والأبوين في تعديل سلوك الطفل.

شهد حلقات لكبار العلماء كالشافعي والليث بن سعد والعز بن عبد السلام

جامع عمرو بن العاص.. منارة الإسلام في إفريقية

القاهرة - دار الإعلام العربية

إذا أردت أن تعيش في زمن الفتوحات الإسلامية وأن تتخيل الصحابي الجليل عمرو بن العاص وهو يفتح مصر ويطهرها من فلول الرومان.. وإذا أردت أن تصلي في مسجد حدد قبلته ثمانون صحابيًا، فما عليك إلا أن تقصد القاهرة الفاطمية، وتصلي في مسجد الصحابي عمر بن العاص، أول جامع وجامعة إسلامية في مصر والقارة الإفريقية بأسرها.. وستعيش بين باحته أجواء العصور الأولى في دولة الإسلام.

لا يمكن لأي متابع أو مؤرخ للفتح الإسلامي لمصر عام ٢٠ هجرية- ٦٤١ ميلادية إلا أن يتوقف عند هذا المسجد العتيق الذي شرع ابن العاص في بنائه بتوجيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وظل على مساحته الأولى حتى العام ٥١ هـ- ٦٧٢م بعدها شهد توسعات من خلال حكام مصر الذين تعاقبوا على حكم مصر الإسلامية، حتى وصلت مساحته إلى ٢٤ ألف ذراع معمارية، أما مساحته الحالية فهي ١٢٠,٥٠ × ١١٢,٥٠ مترًا.

ومثلما شهد المسجد توسعات وتحسينات متتالية تعرض أيضًا لحريقين كبيرين، شب الأول عام ٢٧٥ هجرية- ٨٨٨ ميلادية، وقام حمارويه بن أحمد بن طولون بإعادة بنائه إلى ما كان عليه، أما الحريق الثاني فشب عام ٥٦٤ هجرية- ١١٦٨ ميلادية، وذلك إثر احتراق مدينة الفسطاط في عهد آخر الخلفاء الفاطميين، لكن إحدى الروايات تقول إن الوزير شاور خاف من احتلال الصليبيين للفسطاط فأشعل فيها النار بعد أن عجز عن الدفاع عنها، وعلى إثر ذلك تهدم المسجد، بعدها قام صلاح الدين الأيوبي بضم مصر إلى

لم يقتصر نشاط الجامع على الصلاة إنما كان محكمة وملاذًا للأيتام ومدرسة لمختلف العلوم

دولته، وأمر بإعادة إعمار المسجد من جديد خلال عام ٥٦٨ هجرية.

تكوَّن التخطيط الأصلي للجامع عند بنائه من مساحة مستطيلة وأرضية مفروشة بالحصباء، وكان سقفه مغطى بسعف النخيل فوق سواري من جذوع النخيل المغطى بالطين، لم يكن له صحن ولا محراب مجوف ولا مئذنة، بل منبر فقط، وقد بنيت جدران الجامع الخارجية من الطوب اللبن، وكانت خالية من الزخارف، وله ستة أبواب في جدرانه ما عدا جدار القبلة، أما ارتفاعه من الداخل فكان نحو ثلاثة أمتار كما المسجد النبوي.

وقد بنى عمرو بن العاص لنفسه دارًا في الجانب الشرقي من المسجد أطلق عليها دار عمرو الكبرى، كان يجاورها من الشمال دار لابنه عبدالله سميت بدار عمرو الصغرى، ثم بنيت دار ثالثة للصحابي الزبير بن العوام.

أما التخطيط الحالي للمسجد فيتكون من مدخل رئيس بارز يقع في الجهة الغربية، ويتكون من صحن كبير مكشوف تحيط به أربعة أروقة ذات سقوف خشبية بسيطة، أكبر هذه الأروقة هو رواق القبلة، ويتكون من إحدى وعشرين بائكة على جدار القبلة، تتكون كل بائكة من ستة عقود مدببة مرتكزة على أعمدة رخامية، وبصدر رواق القبلة محرابان مجوفان يجاور كلا منهما منبر خشبي، كما يوجد بجدار القبلة لوحتان ترجعان إلى عصر مراد بك.

وفي الركن الشمالي الشرقي لرواق القبلة قبة يقال إن تاريخها يرجع إلى عبدالله

بن عمرو بن العاص، أما صحن الجامع فتتوسطه قبة قائمة على ثمانية أعمدة رخامية ذات تيجان مختلفة جلبت من عمائر قديمة، ويتوج واجهات المسجد من الخارج شرفات هرمية مسننة، وله مئذنة يرجع تاريخها إلى عصر مراد بك تتكون من دورة واحدة ذات قيمة مخروطية، وعلى الرغم من التجديدات العديدة التي تمت له في العصور القديمة والحديثة مازال المسجد قبلة للمصلين، ومازال مكانه يحتفظ بعبق الماضي.

عطاء بلا حدود

منذ إنشائه وحتى يومنا هذا، لم يقتصر نشاط جامع عمرو على الصلاة فقط، إنما كان محكمة لفض النزاعات الدينية والاجتماعية التي تنشب من آن إلى آخر سواء بين المسلمين، أو بين المسلمين وبعض أصحاب الديانات الأخرى، كما كان فيه بيت للمال مخصص للإنفاق على اليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة، فضلا عن ذلك كان مدرسة لمختلف أنواع العلوم لاسيما الدينية منها، وفي العصر الحديث تواصل الدور الإشعاعي للجامع، فمع كونه ساحة رئيسة لصلاة التراويح في رمضان من كل عام، حيث يفوح عبير الماضي حول المسجد وداخله، ويمتد إلى حدود الكنيسة المعلقة والمعبد اليهودي الواقعين بالقرب منه، وأطلق على هذا المكان «مجمع الأديان» في حي مصر القديمة، فلذلك تحس أن لصلاة التراويح بالمسجد إحساسًا مختلفًا، ويحرص المسلمون على الصلاة فيه راضين بأقل مساحة تسمح لهم بالوقوف للصلاة.

أيضًا يتبنى الجامع فصول تقوية مجانية، وفيه مكتبة عامرة بعديد من الكتب والمراجع الدينية، فضلًا عن أنشطة اجتماعية أخرى من خلال المقرأة ولجنة الزكاة، ودروس العلماء مثل الدكتور إسماعيل الدفتار خطيب الجامع وعديد من الشيوخ الآخرين.

كبار العلماء

كما شهد المسجد حلقات دروس لكبار علماء المسلمين، منهم الإمام الشافعي، والإمام الليث بن سعد، والعز بن عبدالسلام البوابة العريضة التي دخل منها المصريون وكثير من العرب والعجم إلى الإسلام، حيث جاهد الأئمة والدعاة لنشر الإسلام وتعريب لسان أهل مصر، وكان أشهر من اعتلى منبره في العصر الحديث الداعية الإسلامي الراحل الشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق والدكتور عبدالصبور شاهين، رحمهم الله، كما اكتسب الشيخ الشاب محمد جبريل شهرته العريضة من خلال إمامته لصلاة القيام، لاسيما في العشر الأواخر من رمضان منذ أكثر من عشرة أعوام متتابعة.

أهمية كبيرة

ولا تتوقف أهمية المسجد على كونه أول مسجد بني في مصر وإفريقية كلها، إنما من اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي كان مدركًا لأهمية هذا المسجد وضرورته في حياة المسلمين الأفارقة، مما دعا إلى اهتمام كل المسلمين في مصر والدول العربية به، ويذكر عن يزيد بن حبيب أنه اشترك في تحديد قبلة المسجد نحو ٨٠ من صحابة رسول الله ﷺ، كلهم ممن شاركوا في فتح مصر، منهم الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، وعقبة بن عامر، ورافع بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وربيعة بن شرحبيل، وآخرون رضوان الله عليهم جميعًا، وكان هذا المسجد رابع مسجد أقيم في الإسلام، بعد مساجد المدينة، والبصرة، الكوفة.

وهناك جدل حول وجود قبر الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فيه، وهذا غير مؤكد ولم يوثق، خاصة في ظل اختلاف المؤرخين حول مكان دفنه وحتى في سنة وفاته، حيث لم يرد ذكر القبر في أقوال المؤرخين والرحالة في العصرين المملوكي والعثماني.

الكويت تودع أحمد بزيع الياسين رائد الاقتصاد الإسلامي

التحرير

فقدت الكويت أحد أبنائها المخلصين، ورائد الاقتصاد الكويتي، ومؤسس أول بنك إسلامي في الكويت ورئيس مجلس إدارته منذ إنشائه وحتى عام ١٩٩٣ العم أحمد البزيع الياسين، عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

ولد أحمد بزيع الياسين في ٦ من شوال ١٣٤٦هـ الموافق ٢٨ من مارس عام ١٩٢٨م، في حي القناعات وسط الكويت، يوم موقعة الرقعي الشهيرة، ونشأ في أسرة محافظة متدينة، وكان جده ياسين محمد القناعي يمتلك سفينة شراعية، وكان هو ربانها، لنقل الحجاج من الكويت والخليج العربي إلى ميناء جدة في المملكة العربية السعودية.

أما والده فقد عمل في تجارة الإبل، وكانت لديه حملة للحج حتى عام ١٩٤٥، وكان كثير الأسفار بين الكويت والشام والسعودية على ظهور الإبل، وكان ابنه- المغفور له بإذن الله- أحمد البزيع قد شارك معه في تلك الرحلات.

قبل «بيتك»

بدأ أحمد البزيع حياته العملية بعد تخرجه في الصف الثاني الثانوي عام ١٩٤٢وهو الصف الأخير في المدرسة المباركية، حيث عمل كاتب حسابات عند أحد التجار، وهو المغفور له العم سليمان إبراهيم المسلم- أحد المؤسسين لغرفة تجارة وصناعة الكويت- وذلك لأربع سنوات، فاستفاد خبرة واسعة في التجارة والإدارة وتعرف على طرق المراسلات التجارية، وبعدها توجه بطلب من خاله المغفور له عبدالعزيز العلي المطوع، وهو من أكثر الشخصيات التي أثرت في حياة أحمد البزيع، وذهب إلى لبنان وقضى هناك عامين، حيث كان للمطوع مكتب في بيروت مختص بالأقمشة والصيرفة، ثم انتقل للعمل في المملكة العربية السعودية لمدة ٦ سنوات لإدارة الشؤون التجارية لخاله عبدالعزيز العلي المطوع، وقد عرضوا عليه تأسيس فرع لأحد البنوك التقليدية الكويتية في الخبر لكنه رفض العمل في بنك يتعامل بمعاملات لا تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية..

ثمرات المطابع

مجموع خطب ابن سعدي

ترك الشيخ ابن سعدي آثار علمية نافعة من الخطب التي ألقاها في المناسبات والأعياد والجمع، هذه الخطب تشتمل على أحكام شرعية وقضايا عصرية ومواضيع مهمة يحتاج الناس إليها، وقد قام د. وليد العلي، الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت، بجمع هذه الخطب والعناية بها، وتحقيقها وتنسيقها في كتاب اسماه «مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي» طبعة دار البشائر عام ١٤٣٢هـ.

ويقع الكتاب في «٨٠٠» صفحة ذات طباعة فاخرة، وغلاف متميز، وقدم له العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، تلميذ الشيخ السعدي رحمه الله تعالى، والكتاب يحتوي على أربعة أقسام أولها: الخطب النافعة المحتوية على أهم المواضيع الجامعة، وثانيها: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، وثالثها: الخطب المنبرية على المناسبات، وآخرها: «٨٢» خطبة من نوادر الخطب التي لم تطبع من قبل.

السيرة النبوية في الكتابات الألمانية

كتاب جديد باللغة العربية عن السيرة النبوية في الكتابات الألمانية ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الكتاب يضم في ثناياه وثائق الندوة العلمية الدولية التي عقدتها مجموعة البحث في السعة والسيرة وقضايا الاعجاز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة سيد محمد بن عبدالله في فاس بالمملكة المغربية بالتعاون مع «الايسيسكو» يقع الكتاب في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط.

كلمة حب ووفاء
من شيخ قراء دمشق.. كريم راجح

لقد زرت الكويت من أجل التعارف العلمي، والروابط الإسلامية وتثمين العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض.

وتهيأ لي أن أزور مبنى مجلة «الوعي الإسلامي»، واجتمعت برئيس تحريرها «أبي الحارث» فيصل بن يوسف العلي، كما اجتمعت بالإخوة الذين يقومون على تحريرها وإصدارها، فسررت جدًا للهمة العلية التي وجدتها عندهم في إنتاج هذه المجلة، كما سررت بالروح الإسلامي الذي يدفعهم إلى العمل، وبالهمة العلية التي يرجون من ورائها نشر الوعي الإسلامي والوحدة الإسلامية، فإن هذه المجلة فيها من الأبحاث العلمية العامة، والأبحاث الإسلامية كذلك ما يدل على الغرض المقصود وهو إيجاد الأخوة الإسلامية وتنمية روابطها؛ حتى يكون المسلمون كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

وأنا أرجو الله لهذه المجلة الكريمة حسن الاستمرار على خط العلم والدين والفكر، فإنني أرى اليوم بوارق النهضة الإسلامية والوعي الإسلامي، بل وبوارق الوحدة الإسلامية أخذت تنتشر.

وإذا رأيت من الهلال غرة
أيقنت أن سيكون بدرًا كاملا

وفق الله القائمين على هذه المجلة، ووفق رئيس تحريرها.

والله ولي التوفيق.

حضارة الإسلام وصلت بلاد الصقالبة قبل ألف عام

ابن فضلان.. أول رحالة عربي في بلاد الروس (١-٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية

لا ينكر إلا جاحد الدور التنويري الذي ساهم به الرحالة والأدباء العرب في تجسيد الانفتاح الثقافي والمعرفي على العالم الخارجي خاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وعلى رأسهم الرحالة العربي أحمد بن فضلان أشهر من طاف ببلاد «الروس» وكتب عنها في وقت كانت الحضارة الغربية تفتقر إلى من يعرِّف بها.. وعلى مدى ثلاث سنوات نقل الرحالة العربي البارز كثيرًا من ثقافات وعادات وطباع بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا والخزر، وسجلها بدقة في كتاب اشتهر باسم «رسالة ابن فضلان».. السطور التالية تحمل مزيدًا من التفاصيل..

هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، عالم إسلامي من القرن العاشر الميلادي، كتب وصف رحلته كعضو في سفارة الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة «بلغار الفولجا» سنة ٩٢١م.. الذي كتب أقدم وصف أجنبي لروسيا عام ٩٢٢م، ففي عام ٩٢١م (٣٠٩هـ) خرجت من بغداد بعثة دينية سياسية بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى قلب القارة الآسيوية في مكان عُرف وقتها باسم «أرض الصقالبة» تلبية لطلب ملكهم في التعريف بالدين الإسلامي، لعله يجد إجابة للسؤال المثار وقتها «كيف استطاع ذلك الدين الآتي من قلب الصحراء أن يكوِّن تلك الإمبراطورية الضخمة التي لم تضاهها حتى إمبراطورية الإسكندر المقدوني؟» وفي بغداد كان أعضاء البعثة يرتبون أوراقهم بين فقيه ورجل دولة ومؤرخ، وفي مقدمتهم كان الرجل الموسوعي أحمد بن فضلان.. الذي لم يكن رجلًا موهوبًا أو صاحب رؤية سياسية فحسب؛ بل كان قد درب عينيه الثاقبتين على رؤية ما وراء المشاهد المفردة، وشاغل عقله بالتحليل دون الرصد، وحينما عمل لعقد من الزمان الساعد الأيمن للقائد العسكري محمد بن سليمان الذي قاد في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين حملات عسكرية امتدت إلى حدود الصين في الشرق- تعلم ابن فضلان الكثير، وأهلته معارفه المتراكمة وثقافته بالشعوب التي خالطها إلى الوصول إلى بلاط السلطان «المقتدر بالله» كرجل دولة وفقيه عالم.. استمر في الترقي في بلاط السلطان حتى عام ٩٢١م، حينما وصلت رسالة قيصر البلغار «ألموش بن يلطوار» طلبا لإرسال سفارة إلى القيصرية البلغارية لشرح مبادئ الإسلام، على أن يرسل الخليفة من يبني للقيصر مسجدًا يطل من محرابه على شعبه، وقلعة حصينة لمجابهة الأعداء، فاختار الخليفة «ابن فضلان» على رأس الرحلة تقديرًا لمكانته وقدرته على الحوار.

البعثة

ويبقى أحمد بن فضلان أشهر الرحالة الذين كان لهم السبق في الكتابة عن «الروس»

استغرقت رحلته ثلاث سنوات في بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا

وفي التعريف بهم لدى العرب، فقد ضمت البعثة إلى جانب ابن فضلان كلا من: سوسن الرسي مولى نذير الحرمي، وتكين التركي، وبارس الصقلبي، أما دليلهم فهو عبدالله بن باشتور الخزري رسول ملك الصقالبة إلى المقتدر، وانضم إلى البعثة فقيه ومعلم وغلمان.. وغادرت هذه البعثة بغدادَ في صفر عام ٣٠٩هـ- ٩٢١م، ووصلت إلى بلاد البلغار في محرم ٣١٠هـ- مايو (أيار) ٩٢٢م؛ حيث زار الوفد بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا والخزر، ومن ثم عاد الوفد إلى بغداد، وقام ابن فضلان بتسجيل وقائع رحلة السنوات الثلاث في تقرير أو كتاب رسمي اشتهر باسم «رسالة ابن فضلان»، موثقا الرحلة التي تعد أهم مصدر لتاريخ الروس والبلاد التي زارها في بداية القرن العاشر الميلادي؛ أي في فترة يفتقر فيها العالم الغربي اليوم إلى مصادر تخصها؛ لذلك استحقت عناية استثنائية من الباحثين والمحققين؛ لأنها دونت حقائق تاريخية نادرة، وشكلت نقلة نوعية في فن كتابة الرحلة العربية التي كانت غارقة في مفاهيم السرد، فنقلتها إلى مستوى التحليل الإثنوغرافي لشعوب وقبائل لم يكن العالم يعرف عنها شيئًا، كما تضمنت معطيات ثمينة للغاية؛ لأنها استندت إلى المعاينة والملاحظة الدقيقة، وإلى شدة حب الاطلاع الذي ميز الرجل، وشملت هذه المعطيات بهرج السلطان ومراسمه في بلاط ملك البلغار وملك الروس،

استحقت كتابات ابن فضلان عناية استثنائية من الباحثين لأنها دونت حقائق نادرة

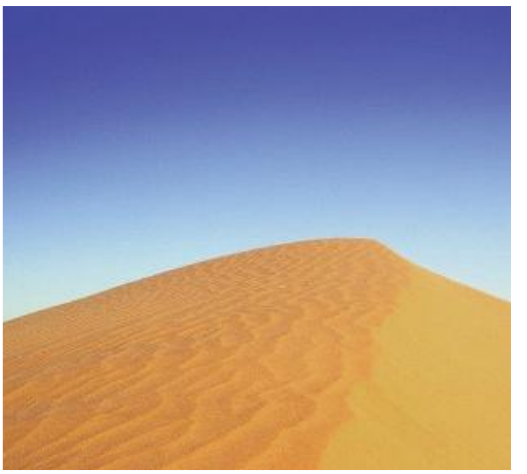

كما شملت نمط عيش السكان وظروفهم وعاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية.

ووصف ابن فضلان لباس الروس وزينة نسائهم وصفًا واضحًا ودقيقًا، واسترعت انتباهه هيئة الروس وتركيبتهم الجسدية، فكتب يقول: «لم أرَ أتمَّ أبدانًا منهم كأنهم النخل، شقر حمر لا يلبسون القراطق (قميص يصل إلى منتصف الجسم) ولا الخفاتين (الصدريات)، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه وسيوفهم صفائح مشطبة أفرنجية».

وأشار إلى تقليد عندهم كان منتشرًا عند الذكور منهم يتمثل في توشيح كامل الجسد بصور أشجار وأشكال شتى «ومن ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك».

أما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية للروس فقد أشار ابن فضلان إلى أن مورد رزقهم الرئيسي هو التجارة، ويرى أن تجارتهم كانت مربحة وموفقة، وكانت تقوم على بيع الرقيق الأبيض، خاصة النساء، وعلى الفراء الجيد الذي تعرف به حيوانات المناطق الباردة.

وذكر ابن فضلان بعض معاملاتهم الاجتماعية التي تتعلق بالمريض والسارق «وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئًا من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه، بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لاسيما إن كان ضعيفًا أو مملوكًا، فإن برئ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه».

أما عن معتقداتهم الدينية فما يستنتج من رسالة ابن فضلان هو أن الروس كانوا عبدة أوثان إذ يقول «وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها».

قيمة علمية

ورغم مرور ما يزيد على ألف سنة على الرحلة، مازال صاحبها محط إعجاب الباحثين والمهتمين على مر العصور، وذلك بعد أن تخطى حدود القومية إلى أفق الإنسانية الرحب، فحفظ لشعوب عدة ذخيرة فريدة من ماض ما كان له حضور بينهم لولا تلك السطور الخالدة التي دونها في بغداد بعد عودته من رحلته تلك، محملا بكنز من حقائق عاشها فخلدته على امتداد الزمان، فقد ثمن الباحثون القيمة الأدبية والعلمية لرحلة ابن فضلان لما تضمنته من أسلوب قصصي ولغة ثرية، علاوة على دقة وصف مؤلفها وتسجيله الجوانب المؤثرة فيما يشاهده من مخلوقات وأشياء بأسلوب سلس دقيق الألفاظ، يتجنب القوالب ويسرد الحوار، وتعجبوا من توافر تلك الصفة في فقيه مبشر اعتاد الأسلوب القضائي الجاف.. ولفتوا كذلك إلى مصداقيته العالية وحرصه باستمرار على ما كان ينقل إليه من طباع الروس، فكل ما ورد في كتابه بشأنهم، وصف لمشاهدة مباشرة، حيث اختلط بالعامة، وعاين التجار، ودقق النظر في الألبسة والزينة، وتمعن في العادات والطقوس، علاوة على خلو رسالته من التناقضات، وذلك خلافا لما تضمنته مصنفات كثير من الرحالة من أخبار متعارضة تعبر إما عن عدم التمحيص في المعلومة، أو عن عدم استنادها إلى المعاينة الذاتية.

وإلى جانب أهمية الرحلة التاريخية والاجتماعية والحضارية، تبقى رحلته شاهدًا على أن الحضارة الإسلامية وصلت إلى بلاد الصقالبة الروس منذ القرن التاسع الميلادي، ومثلت بُعدًا من الأبعاد التاريخية لشخصيتهم وثقافتهم في حوض الفولغا (تتارستان الحالية) وجنوب جبال الأورال (في بشكيريا) وفي سيبيريا في قلب الأراضي الصقلبية قبل القوقاز، وبلدان آسيا الوسطى، وقبل دخول وانتشار المسيحية الأرثوذكسية بثلاثة قرون على الأقل في روسيا وتأثيرها في تقاليدهم وعاداتهم.

احتفاء عالمي

واعترافًا من الغرب بفضل رحلة ابن فضلان في تدوين اكتشافات حضارية نادرة، سطّروا اسمه بحروف بارزة في تاريخ التواصل الحضاري بين الإسلام و«الآخر»، وأكدوا أنه أحدث نقلة نوعية في فن كتابة الرحلة العربية.. كما كانت رحلته أساسًا لرواية مايكل كريتشتون «أكلة الموتى».. كما صدر كتاب «مغامرات سفير عربي» لأحمد عبدالسلام البقالي، من مطبوعات تهامة للنشر، وهي عبارة عن جمع لروايتين للرحلة إحداهما غربية والأخرى عربية، وقد نقل ياقوت الحموي في «معجم البلدان» أجزاء ومقاطع من رحلة ابن فضلان، وكان قد اكتشف جزء من المخطوط في روسيا عام ١٨١٧م، ونشر باللغة الألمانية من قبل أكاديمية سانت بطرسبورج في عام ١٩٢٣م، وظهرت باللغة العربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدانماركية والسويدية والإنكليزية فيما بعد، ومن جميع هذه النسخ قام النرويجي بير فراوس دولوس بجمع ما تناثر من الرسالة بلغات مختلفة ونقلها إلى اللغة النرويجية قبل أن يرجمها إلى الإنجليزية العالم الأمريكي ميخائيل كريكتون، ومنها ترجمت مرة ثانية إلى اللغة العربية.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٤/٤٧/ع/٨٤ التأمين ضد الحوادث والأخطار

ما حكم شركات التأمين؟ وما حكم التعويض الذي يتقاضاه رجل شوّهته سيارة وأحدثت له عجزًا معينًا؟ سواء أكان العاجز (المصاب) سائرًا على قدميه، أو راكبا سيارة؟ والتعويض- طبعًا- تدفعه شركة التأمين؟

أجابت اللجنة بما يلي: شركات التأمين التجارية أمرها لا يزال مطروحًا للبحث أمام المجامع الفقهية، والذي تراه اللجنة (مؤقتًا) جواز التأمين ضد الأخطار المادية، على أن يكون التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي.

وأما التعويض الذي يتقاضاه المصاب من شركة التأمين فيجوز أخذه في حدود الدية الشرعية التي تجب في مثل تلك الإصابة.

١/١٨/٨٣ التأمين على الحياة

نرفق لكم عرض التأمين على الحياة الذي ستقوم به إدارتنا على موظفيها، راجين البت في الموضوع من حيث الجواز ونرجو البت فيه بأسرع وقت ممكن.

وقد اطلعت اللجنة على المشروع المرفق مع الاستفتاء، والمكون من سبع صفحات، كما اطلعت على الملاحظات المتعلقة بالتأمين.

وبعد الاطلاع أجابت اللجنة: إن ما بين تلك الجهة وموظفيها تبرع محض لا غبار عليه، وإن مابين تلك الجهة الرسمية وشركة التأمين عقد تأمين على الحياة أو ضد الحوادث، ولا يزال العلماء إلى اليوم لم يبتوا في مثل هذا النوع من التأمين، على أنه يسوغ للموظفين الاشتراك لئلا تفوت فرصته المحدودة، إلى أن يتبين الأمر، ولو أن هذا التأمين صيغ بصيغة تعاونية لكان مقبولاً، ومع هذا لابد من إبداء الملاحظات التالية:

الأول: لابد من النص على أن المنتحر من غير مرض عقلي يسقط حقه في التعويض مطلقًا من غير تحديد مدة، حتى لا يكون هناك تشجيع أو تسهيل للانتحار.

الثانية: لم يبين المشروع مصير القسط الذي دفع عن موظف بلغ السن القانوني (٦٥سنة) أو انتهى عمله قبل ذلك من غير وفاة ولا حادث موجب للتعويض.

الثالثة: في أي مشروع يجب أن ينص على أن المبالغ المتحصلة من الأقساط لابد أن تستغل استغلالاً مشروعًا. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١/٢١/ع/٨٤ إنهاء عقود العمال دون إنذار

وقعت عقدًا مع شركة محدد المدة بسنتين، على أن أجتاز فترة التجربة ومقدارها ٩٠ يومًا، وبعد تجاوز فترة التجربة قامت الشركة بإنهاء خدماتي دون إنذار.

والسؤال: ما موقف الشرع من هذا الأمر؟ وما موقف الشرع من مدير الشركة إذا رفض منحي حقي كاملاً؟ الرجاء الرد كتابيًا.

● تبين للجنة بعد الاطلاع على العقد الموقع بين السائل والشركة، والخطاب الصادر من الشركة إليه، أن السائل تعاقد لمدة سنتين اعتبارًا من ١٩٨٤/١/٣م، وتضمن أحد بنود العقد أنه تسلم العمل في ذلك التاريخ، وأن الفترة التجريبية التي يحق فيها للشركة الاستغناء عنه دون إبداء الأسباب وهي تسعون يومًا تنتهي بانتهاء يوم ١٩٨٤/٤/١م. وبما أن كتاب الشركة بالاستغناء عنه مؤرخ بتاريخ ١٩٨٤/٤/١٢ يكون هذه الاستغناء قد جاء بعد انتهاء مدة التجربة، وبانتهائها يصبح العقد ساريًا لمدة سنتين، لذا أجابت بأن الشركة ملزمة بمضمون العقد (أي بتشغيله لديها لنهاية السنتين)، وليس لها التحلل منه إلاّ باتفاق الطرفين، أو بسبب آخر مما تقضي به الأنظمة واللوائح، ويطبق على سائر الموظفين.

هذا ما أجابت به اللجنة السائل على إفادته على العقد والخطاب اللذين قدمهما، واحتفظت اللجنة بصورة منهما، فإن كان للشركة وجهة نظر أخرى فعليها البيان.

٣/٤٨/ع/٨٤ تحمل الشركاء الخسارة

اتفق طرفان على ما يلي:

١. يخصص الطرف الأول مبلغًا وقدره ٩٠٠,٠٠٠ دينار لشراء البن والهيل.

٢. يدفع الطرف الثاني مبلغًا وقدره ٣٠٠،٠٠٠ دينار لمشاركة الطرف الأول لهذين الصنفين فقط.

٣. يتقاضى الطرف الأول ٥٠٪ من الأرباح في نهاية العام وذلك مقابل قيامه بأعمال الاستيراد والتسويق والتخزين ودفع الرواتب والإيجارات وكل ما يلزم للبيع والشراء.

٤. يتقاضى الطرف الأول كذلك ٤٠٪ من الأرباح مقابل ما دفعه من رأس المال.

٥. يتقاضى الطرف الثاني كذلك ١٠٪ من الأرباح مقابل ما دفعه من رأس المال خلال السنة.

وبعد استيراد البضائع تم بيع الهيل بالكامل، وبيع جزء من البن، وبقي مخزون قدره ١٤٧٩٧ كيس بن بلغت قيمة تكلفتها الشرائية ٣١٨,٥٠٥ دنانير. وفي هذه الأثناء شب حريق في المخزن بفعل امتداد النيران إليه من مخازن مجاورة شب فيها حريق، وأتت النيران على محتويات المخزن ومن بينها مخزون البن المشار إليه، وقد تفاوتت نسبة التلف في المواد المحترقة بين ٧٠ - ١٠٠٪.

والسؤال هو:

على ضوء ما تقدم كم نسبة ومبلغ الخسارة التي سيتحملها الطرف الثاني بسبب احتراق البضاعة (موضوع الشركة) وهي البن؟

أجابت اللجنة بما يلي:

نظرًا لأن ثلاثة أرباع رأس المال للطرف الأول، والربع للطرف الثاني فإن الخسارة المتحققة في الشركة تكون بهذه النسبة،

فيتحمل الطرف الأول ثلاثة أرباع الخسائر والطرف الثاني الربع، وتوزع الخسارة المتحققة في هذه الشركة على هذه النسبة.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) رقم (١٦/٣) بشأن حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية

في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافقه من: ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، قد نظر المجمع في موضوع حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية، وبعد استعراض البحوث التي قدمت، والمناقشات المستفيضة حول الموضوع، قرّر ما يلي:

أولًا: إن حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية بوجّهيها الوقائي والعلاجي أمر مطلوب ومشروع، إذا استخدمت لتحقيقه الوسائل المشروعة؛ لأنه يحقق مقصد الشريعة في حفظ المال.

ثانيًا: يجب على المصارف الإسلامية أن تتبع في أثناء إدارتها لأموال المستثمرين الإجراءات والوسائل الوقائية المشروعة والمعروفة في العرف المصرفي، لحماية الحسابات الاستثمارية، وتقليل المخاطر.

ثالثًا: إذا وقع المصرف المضارب في خسارة، فإن المجمع يؤكد قراره القاضي بأن: «الخسارة في مال المضاربة على ربّ المال في ماله، ولا يُسأل عنها المضارب إلا إذا تعدى على المال أو قصّر في حفظه، وبذل العناية المطلوبة عرفًا في التعامل به».

رابعًا: يحثّ المجمع الجهات العلمية، والمالية، والرقابية، على العمل على تطوير المعايير والأسس المحاسبية الشرعية التي يمكن من خلالها التحقق من وقوع التعدي أو التفريط، كما يحث الحكومات على إصدار الأنظمة والتعليمات اللازمة لذلك.

خامسًا: يجوز لأصحاب الأموال مالكي الحسابات الاستثمارية التأمينُ على حساباتهم الاستثمارية تأمينًا تعاونيًا، بالصيغة الواردة في القرار الخامس للمجمع في دورته الأولى من عام ١٣٩٨هـ.

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) رقم ١٣٦ (١٥/٢) بشأن المشاركة المتناقصة وضوابطها الشرعية

إن مجلس المجمع بعد اطلاعه على البحوث الواردة إليه بخصوص الموضوع، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

المشاركة المتناقصة: معاملة جديدة تتضمن شركة بين طرفين في مشروع ذي دخل، يتعهد فيها أحدهما بشراء حصة الطرف الآخر تدريجًا، سواء كان الشراء من حصة الطرف المشتري في الدخل أم من موارد أخرى.

أساس قيام المشاركة المتناقصة: هو العقد الذي يبرمه الطرفان، ويسهم فيه كلٌّ منهما بحصة في رأس مال الشركة، سواء أكان إسهامه بالنقود أم بالأعيان بعد أن يتم تقويمها، مع بيان كيفية توزيع الربح، على أن يتحمل كل منهما الخسارة- إن وجدت- بقدر حصته في الشركة.

تختص المشاركة المتناقصة بوجود وعد ملزم من أحد الطرفين فقط بأن يتملك حصة الطرف الآخر، على أن يكون للطرف الآخر الخيار، وذلك بإبرام عقود بيع عند تملك كل جزء من الحصة، ولو بتبادل إشعارين بالإيجاب والقبول.

يجوز لأحد أطراف المشاركة استئجار حصة شريكه بأجرة معلومة ولمدة محددة، ويظل كل من الشريكين مسؤولًا عن الصيانة الأساسية بمقدار حصته.

المشاركة المتناقصة مشروعة إذا التُزم فيها بالأحكام العامة للشركات، وروعيت فيها الضوابط الآتية:

أ- عدم التعهد بشراء أحد الطرفين حصة الطرف الآخر بمثل قيمة الحصة عند إنشاء الشركة، لما في ذلك من ضمان الشريك حصة شريكه، بل ينبغي أن يتم تحديد ثمن بيع الحصة بالقيمة السوقية يوم البيع ، أو بما يتم الاتفاق عليه عند البيع.

ب- عدم اشتراط تحمّل أحد الطرفين مصروفات التأمين أو الصيانة وسائر المصروفات، بل تحمّل على وعاء المشاركة بقدر الحصص.

ج- تحديد أرباح أطراف المشاركة بنسب شائعة، ولا يجوز اشتراط مبلغ مقطوع من الأرباح أو نسبة من مبلغ المساهمة.

د- الفصل بين العقود والالتزامات المتعلقة بالمشاركة.

٥- منع النصّ على حق أحد الطرفين في استرداد ما قدّمه من مساهمة (تمويل).

إعداد: خالد خلاوي

ناقش ولا تجادل

إذا أردت كسب قلوب من حولك والتأثير فيهم فاحرص على أسلوب التحاور معهم وانتقاء القول المناسب في الموقف المناسب، فأسلوب الحوار يمكن أن يكون سببًا في بناء أو هدم العلاقة بين المتحاورين، فحسن الحوار مطلوب لربط القلوب ببعضها بدلًا من تفريقها، وكسب القلوب مقدم على كسب المواقف، ولقد دعانا الإسلام إلى الحوار بالتي هي أحسن والقول الحسن لتقوية العلاقة بين أفراد المجتمع، وتحقيق سلامة الصدر بين أبنائه، قال الله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣) . وقال تعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣) وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل: ١٢٥).

فأيًا كان نوع الحوار لابد فيه من إحسان القول والإبقاء على روح المودة والألفة بين الناس، وكان هذا من أخلاق السلف الصالح في محاوراتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «...وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين».

وكان ابن عون رحمه الله إذا أغضبه رجل في حوار، قال له: بارك الله فيك.

وورد عن عبدالله بن قدامة أنه كان لا يناظر أحدا إلا وهو يتبسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم!

ولذلك كان أسلوب النقاش في الحوار أفضل من أسلوب الجدل، فالنقاش حوار هادئ يسمح باستعراض جميع وجهات النظر، والاستفادة من المعلومات المطروحة من كلا المتناقشين واستبيان الحقيقة والاتفاق على أحد الحلول، ويشترط وجود النية الحسنة من الأطراف المشاركة بالاستماع والاقتناع للوصول إلى نتيجة فيها الخير للجميع .

وعرفت المناقشة أيضًا بأنها: «قيام جماعة متعاونة فيما بينها على اختيار مشكلة معينة، وتحديد أبعادها، وتحليل جوانبها، واقتراح الحلول لها، واختيار الحل المناسب بعد ذلك عن طريق الإجماع أو عن طريق الأغلبية».

ولقد بين ابن عقيل في كتابه «فن الجدل» أسلوب النقاش بين المتحاورين فقال: «وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه».

أما الجدل أو الجدال أو المراء فهو حوار يتسم بالحدة والهجومية، وليس له أي قواعد تضمن مشاركة الآراء، وعقيم النتائج في جميع الأحوال، لأنه إما أن ينتهي بفرض رأي أحد الأطراف وخروج الطرف الآخر مغضبًا غير راض بالنتيجة، أو ينتهي بخلاف وعصبية، وأحيانا تنفض الجلسة دون نتيجة لتقليل الخسائر قدر الإمكان.

ويعرفه الإمام الجرجاني بقوله: «هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة».

وقيل: «هو لا يكون إلا بمنازعة المرء غيره».

والجدل نوعان محمود ومذموم، ولكن إذا أطلق لفظ الجدل قصد به المذموم، وهو المقصود في قول النبي ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

وحذرت الآثار المروية عن الصحابة والسلف الصالح من خطورة الجدل والمراء على المجتمع المسلم، ليس لأنه يوغر الصدور ويحدث الفرقة وحسب، بل لأنه أيضا يضيع الوقت فيما لا يفيد، قال الإمام الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل».

قال عبيدالله بن حنبل: «حدثني أبي قال: سمعت أبا عبدالله يقول: عليكم بالسنة والحديث وينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يُفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلا خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال والكلام وأهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة».

وقال سفيان: قيل لعبدالله بن مالك: لا تماري إذا جلست. فقال: ما تصنع بأمر إن بالغت فيه أثمت وإن قصرت فيه خصمت.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم.. بالمراء والخصومات».

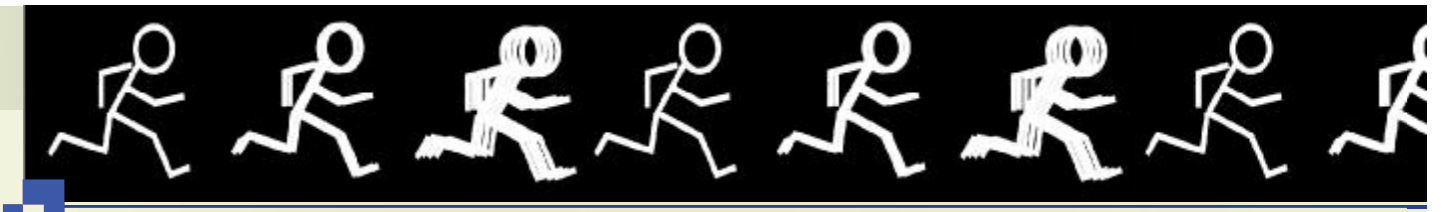

صور من حياة المتميزين

الإمام الشافعي والحوار

كان الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- يقدم نموذجًا راقيًا في الحوار مع أقرانه من العلماء ومع تلاميذه وكان يقول: «ما كلمتُ أحدًا قط إلا وأحببت أن يُوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه»، وقال الحسن الزعفراني: «سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا في الكلام إلا مرة وأنا استغفر الله من ذلك» .

وروي في طبقات الشافعية العديد من الأمثلة والنماذج من حوارات الإمام الشافعي، ومن ذلك حوار جرى بين إسحاق بن راهويه رحمه الله- إمام من أئمة أهل الحديث- وبين الشافعي.. يقول إسحاق: إن الإمام أحمد لمَّا كان في مكة، قال: لماذا لا تذهب للشافعي وتستفيد منه؟ قلت له: كيف أترك ابن عيينة والمشايخ وأذهب إلى الشافعي؟ قال له: يفوت وهم لا يفوتون. قال: فذهبنا إليه فتناظرنا في كراء (أي تأجير) بيوت مكة، هل تكرى، أو لا تكرى؟ قال: فتكلمت مع الشافعي وتحمست؛ ولكن الشافعي كان متساهلًا، فتكلَّمت بالفارسية مع رجل جانبي، وذكر كلمة بالفارسية معناها: هذا ليس عنده كمال- يعني الشافعي-، قال: فعلم الشافعي أني أسبه، وإن كان لا يجيد اللغة، فقال: هل تريد أن تناظرني؟ قلت: من أجل المناظرة جئت!

قال: أرأيت قول الله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ» (الحشر: ٨)، أليس الله نسب الديار إلى أربابها، أو إلى غير أربابها؟ قال: قلت: بل إلى أربابها، قال: عمر لما اشترى دار السجن بمكة، اشتراها من إنسان يملكها، أو لا يملكها؟ قلت: ممن يملكها، قال: قول النبي ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور» الدور لهم، أو ليست لهم؟ قلت: لهم.

قال إسحاق: فقلت: الدليل على صحة قولي أنه قال به من التابعين فلان وفلان وفلان، قال: فالتفت الشافعي إلى رجل بجنبه وقال: من هذا؟ قال له: هذا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟! قلت: هكذا يزعمون! قال: ما أحوجني أن يكون غيرك في مكانك فآمر بعرك أذنه (هذا أدب يؤدب به الطالب الصغير) قال: أقول لك: قال الله، قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: قال: عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم؟! وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟

كلمات في التميز

الحوار بالتي هي أحسن

١- الحسن البصري:

«إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثه حتى يسكت».

٢- ابن تيمية:

«المجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل، فنوع من النفاق في العلم والجدل، والكلام والعمل».

«وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين من بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

٣- عبدالله بن الحسين:

«المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة».

٤- العكبري:

«إياك والتكلف بما لا تعرفه وتمحل الرأي والغوص على دقيق الكلام»

٥- أبوقلابة:

«لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم».

٦- ابن الجوزي:

«المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب، وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر، لأن المقصود كان إظهار الحق».

إعداد: هيفاء حسن

أكبر كتاب في العالم عن حياة النبي محمد ﷺ

أعلن عن إطلاق أكبر كتاب في العالم يتناول حياة وشخصية النبي الكريم محمد ﷺ بعنوان «هذا محمد» الذي سيسجل في موسوعة جينيس للأرقام القياسية العالمية.

ويتمثل أكبر كتاب في العالم عن حياة وشخصية الرسول محمد ﷺ بأن وزنه يبلغ ١٥٠٠ كيلوجرام ويحتوي على ٤٢٠ صفحة وتتراوح أطواله بين ٤ إلى ٥ أمتار.

وقال صاحب فكرة مشروع الكتاب رئيس مجلس إدارة مجموعة مشاهد الدولية د.محمد سعيد العولقي في دبي أمام عدد من الكتاب والمفكرين والإعلاميين: إن الكتاب من إعداد الكاتب والأمين العام لمجمع بحوث الفقه الإسلامي بالرياض د.عبدالله عبدالعزيز المصلح.

وأضاف العولقي أن أهداف فكرة إطلاق مشروع أكبر كتاب في العالم جاءت في توقيت يشهد فيه وضع الأمة الإسلامية الراهن أزمات وإساءات بلغت إلى حد غير مسبوق وطالت النبي الكريم محمد ﷺ.

وأكد العولقي الحاجة لنشر الوعي عن الإسلام والمسلمين والتركيز على إبراز حياة وشخصية النبي محمد ﷺ من خلال إصدارات عالمية كهذا الكتاب وأن فترة إنجاز المشروع من المتوقع أن تتراوح بين سبعة وتسعة أشهر.

وأشار إلى وجود خطة لتسويق الحدث من خلال التعاقد مع أكثر الوكالات المتخصصة في العمل بمجال الإنتاج الإعلامي والتسويق.

بنك للدهون!

أعلن جراح تجميلي في ولاية فلوريدا الأميركية عن عزمه افتتاح «بنك للدهون» يمكن للمرضى أن يلجأوا إليه لتخزين الدهون التي شفطت من أجسامهم بغية استخدامها في المستقبل، وقال جرّاح التجميل «جيفري هارتوج»: إنه فيما يعمد جراحو التجميل عادة إلى تحويل الدهون التي تشفط مباشرة إلى أجزاء أخرى من الجسم، غالبًا الوجه أو الثديين، فإن «بنك الدهون» سيتيح للمرضى فرصة سحب الدهون وتخزينها بغية استعمالها لاحقًا مع تقدمهم في العمر، وأضاف هارتوج «سأقدم هذا الأمر كخيار لأي مريض يخضع لعملية شفط دهون»، موضحا أنه في هذا البنك سيتم تجفيف الدهون التي تشفط وتنظف ثم توضع في مستوعبات لتجميدها.

كوكب «تيشي» أكبر من المشتري بأربع مرات

ثمة عالما فضاء على الأقل يؤمنان بوجود كيان فضائي أكبر من كوكب المشتري بالقرب من منظومتنا الشمسية، ويزعم هؤلاء أن ذلك يتبين من العدد الكثير للمذنبات التي تتوجه نحونا من مكان وحيد في سحابة «أورت» التي تلفت منظومتنا الشمسية، وهذا المكان هو بمنزلة خزان للمذنبات.. الكوكب المزعوم، الذي يحمل اسم «تيشي»، هو أكبر أربع مرات من المشتري، الذي هو بدوره أكبر كواكب المنظومة الشمسية، ويقر بإمكانية وجود مثل ذلك الكوكب علماء الفيزياء الفضائية جون ماتيس ودانييل ويتماير من جامعة لويزيانا، لكن مازال عليهما إثبات نظرياتهما في هذا الخصوص من خلال الرصد والمراقبة، أما العلماء الآخرون، فلا يزالون مشككين في هذا الرأي، يعتمدون بالتالي على نظريات أخرى لتفسير الطرق غير العادية التي تسلكها المذنبات، لكن حتى لو كان كوكب «تيشي» موجودًا فعلًا، فإنه لن يكون ذلك الكوكب الأسطوري نيبيرو، ولذلك تفسير بسيط: فهو لن يتمكن حتى العام المقبل من قطع مسافة أطول بمقدار خمسة عشر ألف مرة من المسافة بين الأرض والشمس.

صاروخ جديد لاستكشاف جاذبية القمر

انطلق مؤخرًا صاروخ أميركي غير مأهول إلى الفضاء من قاعدة «كيب كنافيرال» في ولاية فلوريدا لتوصيل مسبارين فضائيين إلى القمر بغرض دراسة باطنه، وانطلق الصاروخ الذي يبلغ طوله ٣٧,٨م من قاعدة إطلاقه المطلة على المحيط الأطلسي ليتخذ مساره فوق الأطلسي قبل أن يدخل في مداره حول الأرض، ومن المقرر أن يوضع المسباران الفضائيان في نقطة في الفضاء على بعد ١,٥ مليون كم حيث تتعادل جاذبية الشمس مع جاذبية كوكب الأرض.

تشيكيا تتآكل سكانيًا!

على شاكلة معظم الدول الأوروبية، الغربية منها والشرقية، نبه أخيرًا مكتب الإحصاء التشيكي إلى أن عدد سكان تشيكيا سينخفض بمقدار ١,٨ مليون نسمة حتى عام ٢٠٦٥، إذا لم يرتفع عدد المهاجرين الأجانب على المدى الطويل.. المكتب أكد في دراسة سكانية حديثه له أن عدد سكان المحافظات التشيكية الأربع عشرة سينخفض بنسب تتراوح بين ١٣٪ و٢٣٪ في حال عدم تدفق الأجانب إليها، مشيرا إلى أن النقص الأكبر ستشهده العاصمة «براج» وسيكون بحدود ٢٨٠ ألف نسمة، ونبه إلى أن عدد الولادات سيقل عن عدد الوفيات بدءا من عام ٢٠١٦ وإلى أن معدل الأعمار سيرتفع خلال الخمسة والخمسين عاما القادمة بمقدار ١٠ سنوات، أما عدد المسنين الذين تزيد أعمارهم على ٦٥ عاما فسيتضاعف، الأمر الذي سيثقل النظامين الصحي والتقاعدي، وأشار إلى أن المعدل الوسطي لأعمار الرجال سيرتفع من ٧٤,٢ عاما إلى ٨٦,٥ عاما فيما سيرتفع المعدل الوسطي لأعمار النساء من ٨٠,٣ عاما إلى ٩١ عاما.

وعلى الرغم من أن عدد الأجانب في تشيكيا قد تضاعف خلال الـ١٢ عاما الماضية حيث كانت نسبتهم في عام ١٩٩٧م (٢,٠٤٪) فيما شكلوا نهاية العام الماضي (٤,٢٪) بعد أن ارتفع عددهم إلى ٤٣٧,٢٥١ نسمة من أصل عدد سكان البلاد البالغ ١٠,٥٠١,١٩٧ نسمة.

من هنا وهناك

■ عدد سكان الكرة الأرضية في زيادة مستمرة وخلال العام الحالي وحده سجلت البشرية نموًا صافيًا بلغ ٥١ مليون إنسان ومن المفترض أن يبلغ عدد الذين يعيشون على كوكب الأرض ٧ مليارات نسمة خلال شهر أكتوبر الجاري.

■ قال باحثون نمساويون: إن اختبارًا بالموجات فوق الصوتية يمكن أن يرصد خطر الإصابة بجلطة لدى الأشخاص الذين يعانون من ضيق في الشريان الذي يصل القلب بالدماغ والذي يزيد خطر الإصابة بالجلطة.

■ بدأت (جوجل) في توسيع خدمتها لخرائط الشوارع في بعض الأماكن الأكثر عزلة في العالم، وهي منطقة غابات الأمازون.

■ سيتم التقاط الصور لنهري الأمازون وريو نيجرو شمال غربي البرازيل في شراكة مع المؤسسة الخيرية للأمازون.

■ أعلن مدير عام الدفاع المدني السعودي الفريق سعد التويجري أن ١٧٠٠ كاميرا تلفزيونية تتابع حركة المعتمرين داخل وخارج المسجد الحرام في مكة المكرمة.

■ اقترح باحثون يابانيون إمكانية انضمام بصمات الأقدام قريبا إلى ركب الإجراءات التي تسمح بتثبيت الهوية من قبيل الكشف على شبكة العين والتعرف على الصوت والصور الأنثروبومترية، وكانت دراسات سابقة قد أظهرت أن كل فرد يتمتع بطريقة مشي فريدة من نوعها يتيسر على الحواسيب تحليلها والتعرف عليها بدقة تبلغ نسبتها ٩٠٪.

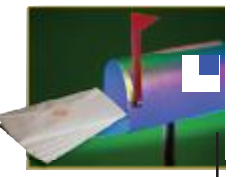

إعداد: التحرير

نبوة الرجل المؤمن من آل فرعون

نشرت صحيفة الأهرام الغراء مقالًا بعنوان «الوصايا المصرية العشر»، وقد ذكرت فيه عددًا من الأنبياء الذين ينسبون إلى مصر الحبيبة، ويشير المقال إلى نبي مصري ورد ذكره في عدد من السور القرآنية في سياق الكلام عن موسى ﷺ، وذلك بعبارة: «الرجل المؤمن من آل فرعون» أو عبارة: «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى»، فأما أن يكون هذا النبي من آل فرعون فمعنى ذلك أنه من خلطائه وأهل مشورته، وأما مجيئه من أقصى المدينة فإن من شأن الطبقة العليا أن تكون إقامتها وسكناها في ضواحي المدن، أي في أقصى المدينة، وأما أنه صاحب رسالة تعزز رسالة موسى وهارون فيتضح من قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾ (يس: ١٤)، كما يتضح من كلامه الذي روته عنه سورة يس وسورة غافر وغيرهما من سور النص القرآني الكريم، وإليك البيان:

كان موسى بالنسبة لامرأة فرعون في مقام الابن، إذ قالت عند العثور عليه: ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ (القصص: ٩)، فكانت إقامته في بيتها في ضواحي المدينة، فإذا أراد موسى أن يذهب إلى المدينة جعل ذلك ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ (القصص: ١٥)، تجنبا لاستطلاع العامة، لأنهم لو عرفوه لازدحموا حوله كما يفعل العامة عندما يرون أحدًا من علية القوم، ومع هذه الحيطة نرى موسى يندفع عندما يرى ﴿رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ (القصص:١٥)، عندئذ تناقل الناس قصة هذه الواقعة حتى علم بها الملأ من آل فرعون، وبدأ التشاور بين فرعون وحاشيته في شأن العقوبة التي يستحقها موسى.. فقال كل منهم ما يراه عقابا له، كانت هذه هي الفرصة الأولى للرجل المؤمن فجاء: ﴿من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (القصص:٢٠)، لعل إقامة موسى في حدود القصر الملكي كانت سببًا في معرفته برجال الملأ من آل فرعون ومنهم هذا الرجل المؤمن، ولهذا سارع إلى قبول هذه النصيحة ﴿فخرج منها خائفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (القصص: ٢١).

كان موسى على علم بأن الصحراء الغربية لا تصلح مهربًا له لأنها غير مأهولة، وأن شمال سيناء لا يصلح كذلك لأنه طريق القوافل والهجرات فمن الصعب على من يريد الهرب أن يختفي فيه، ومن هنا استقر رأيه على الهرب إلى جنوب سيناء، وهكذا توجه تلقاء مدين.

كان أهل مدين مستقرين على ماء في الساحل الغربي لجنوب سيناء يسمى ماء مدين ويعرف الآن باسم عيون موسى، ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما﴾ (القصص: ٢٣-٢٤)، كانت هذه السقيا سببًا في زواجه بإحدى المرأتين واتفاقه مع أبيها على أن يكون المهر خدمة للأب تستمر قرابة عشر سنين، ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ (القصص: ٢٩)، وتدل فاصلة الآية على أن هذه الرحلة كانت في الشتاء.

كان من الطبيعي أن تكون حركة هذه الرحلة إلى الشرق استمرارا للهرب من بأس فرعون بدليل قول موسى لربه حين قال له: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (طه: ٢٤)، ﴿رب إني قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلون﴾ (القصص: ٣٣) فمن الطبيعي أن تكون بداية الرحلة من مكان يقع إلى الغرب من الطور، ويصدق هذا على عيون موسى، طمأن الله موسى وأخاه وقال لهما: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ (طه: ٤٦)، فعادا إلى مصر ليدعو فرعون إلى عبادة الواحد الأحد وقد امتلأ قلب موسى بالأمان الذي جعله قادرًا على مجادلة فرعون في إحساس بالندية والمساواة، لم يرق لفرعون أن يرى هذه الجرأة من رجل كان هو من رباه وليدًا وآواه صبيًا، فجمع الملأ من القوم للتشاور في أمر موسى وبعد المناقشة قال للملأ: ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ (غافر: ٢٦)، هنا سنحت الفرصة الثانية للرجل المؤمن للدفع عن موسى فقال وهو لا يزال يكتم إيمانه عن فرعون وملئه: ﴿أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم..﴾ (غافر: ٢٨)، فلما رأى إصرار القوم على عقاب موسى لم يجد مفرًا من إعلان نبوته بطريقة صريحة جاء تلخيصها في سورة غافر بدءا من قوله تعالى: ﴿وقال الذي آمن يقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب...﴾ (غافر: ٣٠-٣٥، ٣٨-٤٠).

هذا هو ملخص خبر النبي المصري الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويبقى بعد ذلك أن نشير إلى أن ما ورد في سورة يس من قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ (يس : ١٣-٢٧) إنما يحكي قصة موسى وهارون والرجل المؤمن من آل فرعون، والدليل على ذلك مبسوط في الجزء الثاني من كتابي: البيان في روائع القرآن، تحت عنوان : «بنو إسرائيل في القرآن الكريم».

د.تمام حسان
عميد كلية دارالعلوم سابقًا- عضو مجمع اللغة العربية

القصاص عقوبة قرآنية.. وتحقيق العدل من أهم مقاصد الشريعة

تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع من أهم مقاصد الشريعة، بغض النظر عن الغنى أو الفقر، أو امتلاك السلطة أو النفوذ، ويجب علينا أن نعلم أن القصاص عقوبة قرآنية لابد من تطبيقها في المجتمعات المسلمة، لأنه يحقق الردع ويمنع الانفلات الأمني والأخلاقي، ويسهم بفاعلية في منع انتشار الجريمة.

وإذا كانت الرحمة الإسلامية هي التي جاءت بها الرسالة المحمدية فلاشك أن إقامة العدل تدخل في عموم هذه الرحمة ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (الحديد: ٢٥).

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل: ٩٠).

إن العقوبة في الإسلام تتجه إلى العدالة وحماية المجتمع وحماية الفضيلة، وبالتالي يجب أن تكون العقوبة متساوية مع الجريمة وآثارها: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ (المائدة: ٤٥).

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩).

والقصاص عقوبة عادلة، فالمجرم الذي يرتكب جريمة عقوبتها الإعدام إذا أحس بأنه سوف يعدم فلاشك أنه سيتردد كثيرًا قبل أن يقدم على جريمة قتل عمد أو اغتصاب أو اتجار في المخدرات.

إن الشريعة الإسلامية تعطي كل ذي حق حقه، وتفرض معايير قانونية ملزمة للجميع لا يستطيع أن يمتلكها أو يسيطر عليها أحد.. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (المائدة: ٤٥).

يقول الرسول ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم».

ولا يصح أن يذهب فرط الشفقة بالجناة إلى نسيان جريمتهم، فإن كل شفقة تمنع إنزال العقاب الرادع بهم تمكين لشرهم، وتعرض المجتمع لفسادهم، ومن العدل أن من ارتكب شيئًا استحق عقابه، وأن يتساوى الناس في العقوبات إذا ارتكبوا ما يوجبها.

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

إن القصاص عقوبة أساسية في الإسلام بالنسبة للجرائم الواقعة على الأشخاص؛ لأنه يحقق العدل بين الناس؛ ويشفي غيظ المجني عليه، ويغلق الباب أمام انتشار الجرائم وأمام الفتنة والفوضى بكل أشكالها.

وقانون المساواة يوجب أن تتساوى العقوبة مع الجريمة، وأن يتساوى الأذى الذي نزل بالمجني عليه مع الأذى والضرر الذي ينزل بالجاني عقوبة له على ما اقترف من جرائم.. فمن قتل نفسًا بغير حق يقتل والظلم كل الظلم في أن يترك الجاني من غير قصاص.

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩).

محمد السيد عامر

الدعاة ومطابقة العمل للعلم

إن الداعية في الإسلام قبل أن يكون واعظًا للناس بقوله، عليه أن يعظهم بفعله وعمله، ذلك لأن الوعظ كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل: أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلا له؛ لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة؟

وفاقد النور كيف يستنير به غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

ويقول الإمام ابن القيم فيمن خالف فعله قوله:

«علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق».

حفصة محمود محمد

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

ذو الحجة

شهر الحج، وهو من الأشهر الحرم، وكان العرب في الجاهلية يحجون فيه إلى الكعبة ويعظمونه، فيه تقام أعمال الحج، وفيه يوم عرفة، وفيه عيد الأضحى وأيام التشريق.

قوت الأتقياء

حضّ أحدُ جُلَساء محمد بن حُمَيد الطوسي على قتل من وقع في قبضته من أعدائه، إلا أنه أدخله مجلسه وأطعمه وأكرمه، ولم يعاتبه على جُرُم ولا جناية، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحبَ على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسَّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنّا إذا جازينا من أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح مِنَ الظفر؟! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمْسِكَ إلا عن قول سديد وأمر رشيد، فإن ذلك أدوم للنِّعمة، وأَجْمَعُ للألفة.

(نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري)

من عاب الناس عابوه

قال أبوحاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه. وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه. وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه.. من عاب الناس عابوه».

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١١٤)

الحجر الأسود

عن ابن عباس مرفوعًا: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسوَّدته خطايا بني آدم» (أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح).

وعن ابن عباس أيضًا مرفوعًا: «إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهدان لمن استلمه يوم القيامة بحق» (أخرجه ابن خزيمة، وقال الترمذي: حسن صحيح).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مسح الحجر والركن اليماني يحطّ الخطايا حطّا» (رواه أحمد وابن حبان).

وذكر صاحب تحفة الراكع والساجد (ص:٨٧): أن أبا طاهر القرمطي لمَّا وافى مكة اقتلع الحجر من مكانه وحمله إلى الكوفة وهلك تحته في الطريق إليها أربعون جملًا، ثم حُمِلَ الحجر إلى «هَجَر» سنة ٣١٧هـ، وبقي الحجر عند القرامطة اثنين وعشرين سنة إلا شهرًا، ثم رُدَّ إلى مكانه في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ.

خِصَالُ اللسان

قال بعض البلغاء: في اللسان عشر خصال محمودة.. أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وواعظ ينهى عن القبيح، وناطق يردّ الجواب، وشافع تُدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، ومُعْرب يُشكر به الإحسان، ومُعزّ تذهب به الأحزان، وحامد يُذهب الضغينة.

(زهرة الآداب للقيرواني)

من حِكَم السلف

- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «سادات النّاس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».
- وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقوّدوها إلى المحامد، وعلّموها المكارم، ولا تقيموا على خُلُق تذمونه من غيركم، وصِلوا من رغَب إليكم، وتحلَّوا بالجود يُكسِبكمُ المحبّة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

(أخبار العرب ١٢/١).

ضحك وبكت

اشترى رجل جارية بديعة في الحسن، وكان في غاية القبح، فلما صارت في داره، نظر إليها فضحك، ونظرت إليه فبكت، فقال لها كالمغضب: أنظر إليك فأضحك وتنظرين إلي فتبكين؟ فقالت: نظرتَ أنت إلى ما يسرك فضحكت، ونظرت أنا إلى ما يسوؤني فبكيت!

(روائع الدرر)

أجوبة مسكتة

قيل لعيسى عليه السلام: من أدَّبك؟

فقال: ما أدَّبني أحد، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

أُتي هشام برجل له جناية، فأقبل يحتج، فقال هشام: وتتكلم أيضًا؟!

قال الرجل: إنَّ الله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: ١١١)، أفيُجَادِلُ اللهُ جدالًا ولا تُكَلَّمُ أنت كلامًا؟!

قال: تكلَّم بما أحببت.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت: ٣٢٢هـ)

فضل الإعادة والحفظ

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود: وهو حرصهم على الكتابة-خصوصًا المحدثين- فيستغرق ذلك زمانهم عن أن يحفظوا ويفهموا، فيذهب العمر وقد عروا عن العلم إلا اليسير.

فمن وفق جعل معظم الزمان مصروفًا في الإعادة والحفظ وجعل وقت التعب من التكرار للنسخ فيحصل له المراد.

والموفق مَنْ طلب المهم، فإن العمر يعجز عن تحصيل الكل، وجمهور العلوم الفقه. وفي الناس من حصل له العلم وغفل عن العمل بمقتضاه، وكأنه ما حصل شيئًا، نعوذ بالله من الخذلان».

(صيد الخاطر)

إمام النّحو

قال الخطيب البغدادي: تعلّم الكسائي النحو على كِبَر، وسببه أنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا و أنت تلحن؟! قال: وكيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردتَ من انقطاع الحيلة فقل: عييت، وإن أردت من التعب فقل: أعييت؛ فأنف من هذه الكلمة، وقام من فَوْره، وسأل عَمّن يُعَلِّمُ النحو، فأُرشد إلى معاذ الهراء، فلزمَه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، وجلس في حَلْقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسَد الكوفة وتميمًا وعندهما الفصاحة، و جئت إلى البصرة؟!

فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز و نَجْدٍ وتهامة، فخرج ورجع؛ وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس، فجرت بينهما مسائل أقرّ له فيها يونس، وصدّره موضعه.

(نوادر الفوائد: ١/ ١٢)

تسعة تحتاج إلى تسعة

العقل محتاج إلى التجارب، والعمر محتاج إلى الصحة، والمال محتاج إلى الكفاية، والنجدة محتاجة إلى الأمن، والشرف محتاج إلى التواضع، والحب محتاج إلى الأدب، والقرابة محتاجة إلى الصداقة، والسؤدد محتاج إلى الكفاية، والاجتهاد محتاج إلى التوفيق.

(روائع الدرر)

خطبة الوداع.. ضرورة عصرية

عندما أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يؤدي شعائر الحج (حجة الوداع) استشعر الرسول الكريم ﷺ، أن المسلمين في أمس الحاجة إلى من يوقظهم من غفلتهم ويجدد لهم إيمانهم ومبادئ حياتهم حتى يواجهوا أنفسهم أولا وأعداءهم ثانيًا، فكانت خطبة الوداع التي وضع بها الرسول الكريم ﷺ، أروع المواثيق وأقوى الوصايا البشرية لبناء الإنسان المسلم وبقاء تلك الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، تلك الخطبة التي أيقن الرسول ﷺ، أنه لو تمسكت بها أمته لكان لها حياة العزة والشموخ بقوة دينها وعقيدتها وسيادتها على الأمم الأخرى تميزًا وتفوقًا.

لقد وضع الرسول الكريم ﷺ في خطبته التاريخية- بما أوتي من جوامع الكلم- المفاهيم الصحيحة والمبادئ الحقة السليمة دستورًا ومنهجًا وطريقًا يسلكه كل من أحب الله وسار على هدي رسوله الكريم، فكانت تلك المفاهيم واضحة جلية تنير طريق من يتمسك بها قولا وعملا.

وبالقراءة المتأنية لعناصر تلك الخطبة نجد أنها توحي بالدلالة الواضحة أن صاحبها قد فرغ من الدنيا وأنه يتهيأ للحياة الجديدة في الدار الآخرة رغبة وانتظارًا لما وعده سبحانه وتعالى حيث يقول ﴿وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾(الضحى: ٤-٥) فنجد الرسول الكريم ﷺ، قد شرح ما يريد وما يتمناه من خير وفلاح وصلاح لأمة الإسلام والمسلمين حيث بين لهم مناسكهم وأعلمهم بأحكام دينهم وكيفية ممارستها في حياتهم قولا وعملا بناء على ما تركه لهم من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فما كان من السماء إلا أن تشاركه وجدانه وتنزل عليه بقرآن الخالق عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ (المائدة: ٣).

والمتأمل.. قراءة وفهمًا وتدبرًا- لتلك الخطبة يجد أنه أمام محاور فكرية متباينة مستنيرة ترسي دعائم قيام المجتمع الإنساني كما يريد خالق البشر، ومن هنا تظل خطبة الوداع بمفاهيمها ومبادئها وثيقة أبدية لحقوق الإنسان قبل أن تعرف المجتمعات المتحضرة وثائق الحقوق والواجبات، وذكرت المسلمين بما بين دفتي كتاب الله عز وجل من مبادئ إنسانية سامية لم يشهد التاريخ حتى اليوم لا أسمى ولا أنفع منها للإنسانية، فهي بقدر ما كانت خطبة في شكلها وهيئتها بقدر ما كانت وصية رائعة تشير كل فقرة منها إلى ما كان يحسُّ ويشعر به الرسول الكريم من قرب الأجل ونهاية العمر فهو يبرئ ذمته حتى لا تعظم مسؤوليته أمام رب الناس وهو يشهد الناس في كل فقرة أنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة.

لقد باتت خطبة الوداع وما تحويه من تلك القوانين والمبادئ الإنسانية ضرورة في بناء المجتمعات سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا وثقافيًا وأخلاقيًا، وعلى المجتمعات أن تضع تلك الوثيقة أمامها كطريق للتقدم والرقي وبناء الإنسان المسلم بناء عقليًا وفكريًا ونفسيًا يضمن له حياة كريمة حرة عزيزة، يشعر الإنسان من خلالها أنه خليفة الله في الأرض بما ناله من تكريم إلهي يحيا من خلاله حياة آدمية كما ينبغي أن تكون.

عثمان حسين

جديد

إصدارات

الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

القِسْمَة

بحث أعدّه خبير الموسوعة الفقهية الكويتية
عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الحميد إبراهيم سلامة

الإصدار
الرابع والعشرون
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

يبحث هذا الكتاب قضية، كثيرًا ما يقع التنازع والاختلاف بسببها، تلك هي آلية القسمة وتكييفها، وتسليط الضوء على مشروعيتها وحكمتها، وبيان اعتبارات أنواعها، وشرائط القائم بها (القاسم) وأجرته، وكذا المقسوم له، وهو كتاب أكثره فائدة للمتخصصين وعموم القارئين.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

صدر حديثا

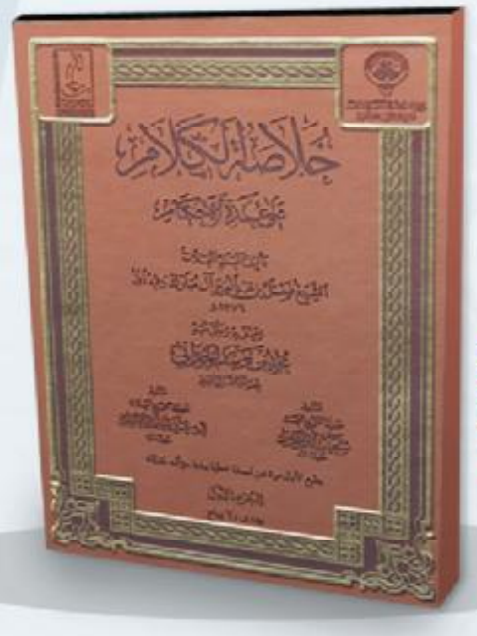

2011
إدارة الثقافة الإسلامية
الريادة عالمياً في العمل الإسلامي

www.islam.gov.kw/thaqafa 99255322 - 22487310